لابـد مـن مجـاوزة السـلفية

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مع أن الفكر الإسلامي السائد والمقرر هو فكر سلفي، سواء في ذلك فكر الأزهر أو الإخوان المسلمين أو المفكرين الإسلاميين، إلا أن هذه السلفية كانت مرنة.. ومتسعة.. وبعيدة تمامًا عن السلفية الوهابية، بالإضافة إلى فكرة «الوسطية» التي دعا إليها الشيخ القرضاوي وإن لم تكن بعيدة عن السلفية، فإنها أوجدت فكرة أثرت على السلفية أثرًا يحد من غلوائها، ولكن عوامل عديدة سنشير إليها في الكلمات التالية أعطت السلفية قوة وزخمًا وجعلتها «موجة» قوية تكتسح ما عداها بحيث يمكن أن تستوعب شتات المذهبيات والاتجاهات الإسلامية.

وأذكر إني سمعت أحد دعاتها، وقد ساله سائل: هل السلفية هي الفرقة الناجية في الحديث المشهور؟ فقال: إن السلفية ليست فرقة إنها جميع المسلمين، لأن السلفية تطبيق لما قاله الله وقاله الرسول، كما رواها السلف الصالح، وهذا هو الإسلام الصحيح.

وبالنسبة لدعوة مثل «دعوة الإحياء الإسلامي» تؤمن أن لا تَــقـَدُّم إلا بعد مجاوزة السلفية، فإن هذا يمثل كارثة ماحقة داهمة تستهدف القضاء على فكرتها.

من حسن الحظ أن بعض أسباب هذه الموجة التي دفعت السلفية إلى الأمام.. ذاتي.. وآني، بمعنى أنه لا يتعلق بالفكرة نفسها ولا يمثل إيماناً يقوم على اقتناع، ولكن يعود إلى أسباب خارجية مثل قوة وظهور السعودية، بقدر انتكاس وتراجع الدول الأخرى، وأن هذا بقدر ما زلزل الإيمان السُـني أو المذهب

السلفي في هذه المنطقة، بقدر ما أضفى قوة على السلفية الوهابية.

على أن هذا يجب أن لا يدفعنا للاستهانة بهذه الظاهرة فالسلفية لها جاذبية وتكسب تأييد العوام بما تقدمه من صور للأسلاف وما اتسموا به من ورع وإقبال على العبادة وزهد في الدنيا.. إلخ، وتؤثر عليهم خطوة بخطوة حتى يجدوا أنفسهم وهم في عمق التوحيد الذي قامت عليه السلفية السعودية.

وقد أصدر بعض المفكرين الإسلاميين كتبا في نقد السلفية، ولكنها كلها تقريبًا تركز على السلفية الوهابية أو «المتسلفين» ولكنها لا ترفض السلف، بل ترى فيه أصل الإسلام، في حين أن «دعوة الإحياء الإسلامي» ترى أن فكرة السلفية والسلف كائنة ما كانت وكائناً من كانوا لا تعني إلا التخلف وبناء الحاضر على الماضي وإهمال العقل والأخذ بالنقل، وهذه جوانب لا يقدرها معظم الكتاب الإسلاميين قدرها، ولا يعني هذا إطراح الماضي تمامًا، أو إلقاءه في البحر، ولكن أن نستأنس به دون أن نتقيد به.

لهذا كله أصدرنا هذا الكتاب الذي يعالج الموضوع من منظور جديد، منظور حمله اسم الكتاب «لابُـد من مجاوزة السلفية».

القاهرة في
شـعبان 1433هـ
يونيــه 2012 م

جمال البنا

جــذور الســلفية

تعبير السلفية ــ فيما نرى ــ له مدلولان:

المدلول الأول: هو السلفية العامة، أي التي عليها عموم المسـلمين السُـنة.

والمدلول الثاني: السلفية الخاصة، وهي السلفية الوهابية المتشددة الـتي تـُعنى بتحـريم التوسـل والشـفاعة وتـرفض التصـوف وتجمـع بين توحيـد الربوبيـة وتوحيـد الألوهيـة، هي باختصـار الوهابيـة الـتي وضـع جذورها أحمد بن حنبل، وابن تيمية، ومحمـد بن عبـد الوهـاب، ويمكن أن يقال لها الوهابية وإن كان أصحابها ينكرون ذلك لما حاق بمحمد بن عبـد الوهاب من شبهات، أو لأنه لا يمكن أن يُسامي أئمـة مثـل أبي حنيفـة أو الشافعي أو مالك أو أحمد بن حنبـل أو ابن تيميـة أو من تلاهم من أئمـة في التفسير أو الفقه.. إلخ.

ويمكن أن نقول إن الأمة الإسلامية اليوم تضـم ثلاثـة مـذاهب كـبرى المذهب الأول: هو السُـنة والجماعة الذي عليـه عامـة العـالم الإسـلامي، والثاني: الشيعة وأهمها الاثنـا عشـرية في إيـران، والزيديـة في اليمن، والثالث: الوهابية التي تؤمن بهـا السـعودية، بالإضـافة إلى بقيـة ضـئيلة تؤمن بالإباضية في عُمان.

ولما كانت الوهابية تدعى السلفية، بل ترى أن سلفيتها دون غيرهـا هي السُـنة والجماعـة، مغالطـة في ذلـك الواقـع العملي والتـاريخي، مستقوية بدفع دولة غنية، فإننا نقول إن سـلفية عامـة الأمـة تـؤمن بمـا ترفضه الوهابية لأنها تقوم على:

(1) الإيمان بمذهب من المذاهب الأربعة.

(2) قبول تفسير القرآن كما وضعه الطبري وابن كثير بما فيه من نسـخ أو أسباب نزول.. إلخ.

(3) قبول تصنيف الأحاديث كما وضعها أحمـد بن حنبـل ويحـيى بن معين وبقية محدثي الأجيال الأولى.

(4) اعتبار أن الصحابة هم كل من صحب الرسول لمدة طالت أو قصرت، والإيمان بهم وغض النظر عما حـدث بينهم من اختلافـات والترضـي عنهم جميعًا (أي قول رضي الله عنهم).

(5) قبول التصوف بضوابط معينة.

وهذه كلها هي ما ترفضه عمليًا الوهابية لأن أصولها تبدأ من أحمد ابن حنبل ثم ابن تيمية ثم محمد بن عبد الوهاب متجاوزة كل ما عدا هؤلاء الثلاثة.

ولما كانت السلفية الوهابية رغم مخالفتها لسلفية الأمة والجماعة فإنها تدعي أنها هي ما كان عليه الرسول والسلف الصالح، وتأتي بما يدق على العامة من مغالطات فنحن في هذا الفصل عن جذور السلفية سنتحدث عن هذه السلفية الخاصة، سلفية محمد بن عبد الوهاب التي تتبعها السلفية المصرية حتى نوضح خصائصها التي تختلف عن خصائص السلفية العامة.

ونحن لم نعن بهذا التمييز القول أن السلفية العامة هي المذهب الصحيح وأن السلفية الخاصة هي المذهب الخاطئ، و أن نأخذ بالأولى ونرفض الثانية، كما يذهب إلى ذلك عامة المفكرين الإسلاميين لأننا ــ في دعوة الإحياء الإسلامي ـــ نرى أن السلفية سواء كانت عامة أو وهابية لا تصلح أساسًا للإسلام، فالإسلام الحق هو إسلام القرآن وما جاء من الرسول منضبطاً بالقرآن ومبيناً له، أما ما عدا ذلك من أقوال أسلاف أو أحكام أئمة فلا تقوم عليه عقيدة الإسلام وشريعته، ولأن السلفية العامة والسلفية الوهابية سواء في أن كلاً منهما «سلفية»، ونحن في النهاية ننقد الاثنين، وإن كنا نرى في الوهابية نوعًا من الغلو والتشدد يناقض منهج الإسلام.

* * *

بعد هذه المقدمة الموجزة عن مدلول السلفية، سنبحث في هذا الفصل عن جذور السلفية الوهابية.

وتعود جذور السلفية الوهابية إلى ثلاثة:

الأول: أحمد بن حنبل وهو واضع أساسها (164 ــ 241هـ).

الثاني: ابن تيمية (661 ــ 628هـ)، وهو الناهض بها والمكون لمعظم معطياتها.

الثالث: محمد بن عبد الوهاب (1115 ــ 1206هـ) المحيي لها في العصر الحديث بحيث يُطلق عليها «الوهابية».

أولاً: أحمد بن حنبل يضع الأساس:

كان الإمام أحمد رجلاً تقيًا ورعًا، شهد له الجميع بهذا، وقد تخصص في علم الحديث، فإذا كان الشافعي قد وضع أصول الفقه، فإن أحمد بن حنبل هو الذي وضع أكبر موسوعة في الحديث في عهده إذ يضم «المسند» الذي وضعه ثلاثين ألف حديث.

وهو من الناحية الزمنية يُعد من تابعي التابعين، فإذا فرضنا أن آخر الصحابة موتاً كان سنة 100 هجرية، فإن جيلين تلا ذلك يدخلان أحمد بن حنبل في تابعي التابعين.

كان الإمام أحمد بن حنبل بحكم تخصصه وتكوينه رجل حديث ـــ ومن هنا ــ كان:

- يأخذ بالحديث الضعيف ويفضله على القياس.
- يأخذ بالآثار المروية عن الصحابة.
- يرفض الرأي.

أدت هذه المرجعية إيجابًا وسلبًا لأن تعطي السلفية بعض خصائصها كالسماح بالحديث الضعيف وآثار الصحابة والتابعين وبالتالي أدخلت فيها ما يفتات على أصل الأصول «القرآن»، وهي من الناحية السلبية ــ رفض الرأي ــ أغلقت الباب أمام أي تجديد، فدخل العقيدة الكثير من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي اشترك في وضعها أعداء للإسلام يريدون الكيد له، وسدنة من الإسلام يريدون إرهاف الحاسة الإيمانية، وهذه الأحاديث وضعت قبل أحمد بن حنبل بوقت كبير، بل ربما في زمن الرسول نفسه ونسبت إلى كبار الصحابة مثل عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر.. الخ، أدت إلى أن تكون العقيدة كما رواها الإصطخري «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السُنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السُنة وسبيل الحق.

وأهم المسائل التي نص عليها أئمة السُنة في معتقداتهم وخالفوا بها أهل البدع هي:

مسألة الإيمان، وأنه قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية خلافاً للمرجئة الذين لا يعدون العمل من الإيمان وينفون عنه الزيادة والنقصان، وللخوارج الذين يكفرون بالذنب.

ومسألة القدر وإثبات القدر خيره وشره من الله ــ ــ خلافاً للقدرية وللجبرية.

ومسألة إثبات الصفات لله ــ ــ كما وردت في القرآن والسُنة وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل، خلافاً للمتكلمين أصحاب مناهج التحريف والتأويل الفاسد، وللمشبهة الذين مثلوا صفات الله ــ ــ بصفات المخلوقين.

ومسألة القرآن وأنه كلام الله عز وجل منه بـدأ وإليـه يعـود، وإثبـات صفة الكلام لله ــ ﷻ ــ خلافاً للمعتزلة والجهمية الذين ينفون صـفة الكلام ويقولـون: القــرآن مخلـوق وللأشـــاعرة الـذين يقولـون ببدعـة الكلام النفسي والكلام اللفظي، فيثبتون الأول وينفـون الثـاني عن اللـه ــ ﷻ ــ فينتهي بهم إلى القول بخلق القرآن.

ومسـائل الشـفاعة والحـوض وعـذاب القـبر ورؤيـة اللـه ــ ﷻ ـ يـوم القيامـة، خلافـاً لأهـل البـدع الـذين يقولـون: إن خـبر الآحـاد لا تثبت بـه عقيدة، ويزعمون أن هذه السُـنن لم تثبت بالنصوص المتواترة».

ثانيًا: ابن تيمية (الناهض بها):

مرت قرون عديدة استشرى فيها الضـعف والفسـاد في المجتمعـات الإسلامية وانتشر التصوف وظهر معه عالم كامل من الأقطـاب والأوتـاد والأولياء الذين ينـالون قداسـة من الجمـاهير تجعلهم يتوسـلون بهم إلى الله رجاء العفو والمغفرة، وعندما يموتون تبـنى فـوق مقـابرهم قبـاب، وهذا عنصر لم يكن موجودًا ــ أو على الأقل موجودًا بكثرة ـــ أيـام أحمـد بن حنبل، ومن هنـا فـإن دعـوة ابن تيميـة تجـردت لحـرب هـذه الظـاهرة بحيث أصبحت الشفاعة (وقد يطلـق عليهـا التوسـل أيضًـا) وبنـاء القبـور وتشييد القباب من أهم ما عُني ابن تيمية بتفنيده، وما دعا إليه واعتــبره جزءًا بارزًا من مضمون السلفية.

ولكن هـذا ليس إلا جانبًا لما تعرضت له العقيدة من انحراف، فهنـاك انحرافات عديدة خلال (الفترة الطويلة من سنة 241هـ تاريخ وفاة أحمـد بن حنبل و 661هـ وهي سنة ميلاد ابن تيمية)، كما أن ابن تيمية كـان لـه شخصية حركية قوية وتوفرت له جرأة أثـارت عليـه العلمـاء والسـلاطين، كما هاجم العلماء والسـلاطين «ولم يقتصـر على ذلـك بـل هـاجم بقلمـه ولسانه كل الفرق الإسـلامية كـالخوارج والمرجئـة والرافضـة والقــدرية والمعتزلة والجهميـة والكراميـة والأشــعرية وغيرهـا، وطعن كـذلك على الرجـال الـذين يعتـبرون حجـــة في الإسـلام، فقـال على منـبر جـامع الصالحية، إن عمر بن الخطاب وقع في كثير من الأخطاء، وقال أيضًا: إن علي بن أبي طالب أخطأ ثلاثمائة مرة، ولم يـتردد في مهاجمـة كثـير من الأعلام الذين سبقوه وانعقد إجماع الناس على تفردهم بـالعلم والتفقـه في الدين والفلسفة فهاجم الغـزالي بشـدة، كمـا هـاجم محي الـدين بن عربي وعمر بن الفارض والصوفية بوجه عام، ودعا النـاس في كثـير من الجــرأة والقـوة إلى إصلاح شأنها، وتقويم أمرها، ووصفَ للنـاس سـبيل هـذا الإصـلاح والتقـويم، بـأن نصـحهم بـالرجوع إلى القـرآن والحـديث والاكتفـاء بنصـيهما» (الشـرق الإسـلامي في العصـر الحـديث، حسـين

مؤنس، ص 188–189، وقد عاد في هذا الاقتباس إلى دائرة المعارف الإسلامية، وجزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة).

وموقف ابن تيمية من الفرق المنحرفة وأهل البدع يختلف عن موقف ابن حنبل، فإن ابن حنبل لم يكفرهم، ولكن بدعهم، بيد أن ابن تيمية صرح بأنهم كفروا، وأن الذين لا يكفرونهم يكونون كفارًا أيضًا، فاكتسبت السلفية إضافة جديدة لم تكن في دعوة أحمد بن حنبل.

وكان من أبرز ما أضافه ابن تيمية إلى العقيدة التركيز على قضية الصفات، فقد كان الإمام مالك يقول عن الاستواء «استوى على العرش» الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، ولكن ابن تيمية كان يتقبل الصفات كما جاءت في القرآن وإن لم تكن مماثلة لما لدي البشر، وكان له جولات وصولات في قضية نزول الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى الثلث الأخير من الليل، فيقول من يدعوني فأستجيب له.. الخ، فأكد أن النزول حقيقي لأنه لا يُعرف في العربية معنى للنزول غير ما هو مفهوم، وفاته أن القرآن أنزل ليقرب المعنى إلى الناس، ولا يمكن أن يكون النزول هنا هو المعنى المادي له.

وكان يرى أن صفات الله حقيقية وليست مجازية وإن كانت لا تشبه البشر، ولذلك يقولون عن صفة اليدين أن لله تعالى يدين اثنين ويعتقدون أنهما يدان حقيقيتان تليقان بجلال الله تعالى، ولا تماثلان يدي المخلوقين وهي من صفات الله تعالى الذاتية الثابتة له بالكتاب والسُنة وإجماع السلف.

وجاء في العقيدة الواسطية لابن تيمية «ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر وعذابه ونعيمه، فأما الفتنة أن الناس يمتحنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، وأما المرتاب فيقول: ها.. ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح للأجساد».

ثالثاً: محمد بن عبد الوهاب (المطبق لها):

مرت خمسة قرون على ابن تيمية زاد فيها الانحراف وكثرت الأهواء، وخيم الجهل على علماء الإسلام بصفة عامة بحيث تطلب الأمر داعية جديد ينفض هذا الغبار الكثيف، وتم هذا بظهور محمد بن عبد الوهاب.

ولـد محمـد بن عبـد الوهـاب المشـرفي التميمي النجـدي (1115–1206هـ / 1703–1791م) ببلـدة العيينـة القريبـة من الريـاض، وتلقى علومـه الأولى على والـده فـدرس شـيئاً من الفقـه الحنبلي والتفسـير والحديث، وحفظ القرآن وعمـره عشـر سـنين وذهب إلى مكـة حاجًـا، ثم سار إلى المدينة ليتزود بالعلم الشرعي، وفيها التقى بشيخه محمد حياة السندي (ت 1165 هـ) صاحب الحاشية على صحيح البخاري، وكـان تـأثره به عظيمًا، وعاد إلى العُيَيِّنَة، ثم توجه إلى العراق عام 1136هـ ـــ 1724م لـيزور البصـرة وبغـداد والموصـل، وفي كـل مدينـة منهـا كـان يلتقي بالمشايخ والعلماء، ويأخذ عنهم وغادر البصـره مضـطرًا إلى الإحسـاء ثم إلى حريملاء، حيث انتقل إليها والده الذي يعمل قاضيًا.

وفي هذه الفترة تعرف محمد بن عبد الوهـاب على دعـوة ابن تيميـة فأعجب بها، وتجاوبت بسـاطتها وصـرامتها مـع طبيعتـه البدويـة، ووجـد فيما اتسمت به من القطـع والحسـم، والوضـوح والصـراحة مـا يمكن أن يحسم شأفة مظاهر الخرافة التي سادت العقيـدة، والـتي رأى فيهـا ابن تيمية نوعًا من الشرك، وأفتى بكفر من يعتقـدها وقتلـه، مثـل قولـه في الإقناع: «إن من دعا ميتاً، وإن كان من الخلفـاء الراشـدين، فهـو كـافر، وإن من شك في كفره فهو كافر»، وقوله في الرسالة السُـنية: «أن كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقـول ــ يـا سـيدي فلان ـــ أغثـني أو انصـرني، أو ارزقـني أو أجـرني وأنـا في حسبك ونحو هذه الأقوال ؛ فكل هذا شرك وضلال يُستتاب صـاحبه، فـإن تاب نجا وإلا قـُتـل».

مثل هذه الأحكام في جُرأتها أعجبت محمد بن عبد الوهاب ؛ فتبناها، ووجد فيها ما يتسلح بها ليقضي على ظاهرة بناء القبـور ورفـع القبـاب والتمسح بالأضرحة والتشفع بالأولياء، وبدأ في نشـر دعوتـه عنـدما كـان في حريملاء عام 1143هـ ــ 1730م، ولكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها عليه لقتله.

«فتوجه إلى العُيَيِّنَة وعـرض دعوتـه على أميرهـا (عثمـان بن معمـر) الذي قام معه بهدم القبور والقباب، وأعانه على رجم امرأة زانية جاءتـه معترفة بذلك.

أرسل أمير الإحساء عريعر بن دُجين إلى أمير العُيَيِّنَة يأمره فيها بأن يمنع الشيخ عن الدعوة، فغادر الشيخ البلدة كي لا يحرج أميرها.

توجه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود، ونـزل ضـيفاً على محمـد بن سويلم العريني عام 1158هـ حيث أقبل عليه التلاميذ وأكرموه.

علم الأمير محمد بن سعود الذي حكم خلال الفترة (1139–1179هـ) بمقدم الشيخ، فجاءه مرحبًا به، وعاهده على حمايته وتأييده، وجرى بينهم الحوار التالي:

الأمير: أبشرك ببلادٍ خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة.

الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة «لا إله إلا الله» من تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وهي ما دعا إليها رسل الله كلهم، فالأرض يرثها عباده المسلمون.

ثم اشترط الأمير على الشيخ شرطين:

- أن لا يرتحل عنهم، وأن لا يستبدل بهم غيرهم.
- أن لا يمانع الشيخ في أن يأخذ الحاكم وقت الثمار ما اعتاد على أخذه من أهل الدرعية.

أما عن الشرط الأول، فقد قال له الشيخ: ابسط يدك.. أبايعك الدم بالدم، والهدم بالهدم.

وأما عن الشرط الثاني فقد قال له: لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها.

وقال أيضًا لابن سعود: «أنت كبيرهم وشريفهم أريد منك عهدًا على أن نجاهد في هذا الدين والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك وأن المشيخة والخلافة في الدين فيَّ وفي آلي من بعدي بحيث لا ينعقد أمر ولا يقع صلح ولا حرب إلا ما نراه كذلك، فإن قبلت هذا أخبرك أن الله يُطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين، وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله لأنك اتبعت الدين ونصرته !! ولم تقصر رتبك عن رتب الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله ﷺ، وأية منزلة أعلى من هذه؟؟ فقال محمد بن سعود قبلت وبايعتك على ذلك»[1] !!

وقد ظل هذا الحلف قائمًا من أيام محمد بن عبد الوهاب حتى الآن وحمل أولاده اسم «آل الشيخ».

العقيدة عند محمد بن عبد الوهاب:

جاء في كتاب «التوحيد» للشيخ محمد عبد الوهاب مقدمة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السُنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسُنة وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

---

1) مشاهير علماء نجد، م س، ص 28 و 29. وعنوان المجد، ج 1، ص 41 استشهد بها في كتاب «الحالة السلفية المعاصرة في مصر»، ص 66.

فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال فيعبدونه وحده، مخلصين له الدين.

وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء.

وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار، علو الذات وعلو القدر، وعلو القهر.

وأنه على العرش استوى، استواء يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب.

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر، فهو ينزل كما يشاء، ويفعل كما يريد، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق.

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا، والسخط والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد ولا تبيد.

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفاً بأنه: يفعل ما يريد ويتكلم بما شاء ويحكم على عباده بأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو الحاكم المالك، ومن سواه مملوك محكوم عليه، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه.

ويؤمنون بما جاء به الكتاب وتواترت به السُنة، أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عياناً جهرة، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم واللذة.

ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو خاتم

النبيين، أرسل إلى الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك، ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بياناً، فيعظمونه ويحبونه ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه.

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، لا يفرقون بين أحد من رسله.

ويؤمنون بالقدر كله ــ وأن جميع أعمال العباد ــ خيرها وشرها قد أحاط بها علم الله، وجري به قلمه، ونفدت فيها مشيئته، وتعلقت بها حكمته، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيء منها، بل جعلهم مختارين لها، وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته.

ويرون الجهاد في سبيل الله ماضيًا مع البر والفاجر، وأنه ذروة سنام الدين، جهاد العلم والحجة، وجهاد السلاح، وأنه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع.

ويؤمنون بأن أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وأفضلهم أصحاب رسول الله ﷺ، خصوصًا الخلفاء الراشدون، والعشرة المشهود لهم بالجنة، وأهل بدر، وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فيحبون الصحابة، ويدينون لله بذلك، وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم.

ويدينون لله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل، ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق وسوء الأخلاق، وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى الممات.

التطورات المعاصرة للوهابية:

كان المؤمنون بالوهابية يحملون اسم «الإخوان» وأطلق عليهم «الغطغط»، وقوي أمرهم، واستطاعوا أن يهاجموا شرق الأردن عام 1927م، وروى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في كتابه «القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي» (1936م) أنه: «في الحملة النجدية التي شنت الغارة على شرق الأردن منذ نحو عشر سنوات (أي حوالي 1927م) هجم بدوي من الغطغط في جملة من هجموا على قرية تدعى «أم العمد» ليجاهد في سبيل الله أعداء الدين من المرتدين الذي يُجيزون زيارة القبور وطلب الشفاعة من أصحابها، فرأى امرأة في

حجرها ابنها ؛ فنادت تستغيث وتطلب الأمان، ولكن لا أمان للمرتد فـذبح الطفل أولاً، ثم ذبحها وهو يهلل ويكبر وينشـد النشيد المعروف:

هبت هبوب الجنــة   رائح فين يا باغيها

وفي واقعة «اليتيمة» سنة 1265هـ حيث قال ابن بشر واصفاً الفتح المبين لمغاوير الإسـلام الوهـابي: «فكـرَّ عليهم المسـلمون كـرّة واحـدة كأنهم أقبلوا للسلام أو دعوة إلى مائدة فغابت عنهم الشمس قبـل وقت غيوبها وأظلم بحالك الغبار شمالها وجنوبها، فوطأهم المسلمون كـأنهم لا يرون ولا يسمعون، فلم يقفوا لهم حين سمعوا ضرب الهـام، وحـامت عليهم السـام، حـتى ولُّــوا منهـزمين، وعلى وجـوههم هـاربين، وذهـل الوالد منهم عن ولـده، والمنهزم أشـفق على السـلامة فـرمى مـا بيـده، واستمر الضرب والطعـن في أقفيتهم بعد أن كان في صدورهم !!! فلم تــر إلا رؤوسًــا مقطوعــة وأســلابًا منزوعــة، وأشــلاء مطروحــة وجلــودًا مجروحة، فلم ترجع عنهم خيل المسلمين ورجـالهم وأبطـالهم !!! حـتى قتلوا فيهم قتلاً ذريعًا، وفتكوا فيهم فتكاً شنيعًا، فلمـا رأى عبـد اللـه أن المسـلمين يقتلـونهم ولا يرحمـونهم، وأنهم مستسـلمون للقتـال دخلتـه الرحمة لـه، وكف عنهم باقي القتل وهـرب رئيسـهم عبـد العزيـز، حملـه فارس من قومه وزين مـع شـريدتهم قصـر الطعميـة المعـروف، وأشـار بعض المسـلمين على عبـد اللـه أنـه يحصـرهم فيـه، فقـال: كفـاهم مـا وطأهم فتركهم وأخذ المسـلمون جميـع جيشـهم ومـا معهم من السـلاح الثمين»[(1)].

ولاقى الملك عبد العزيز منهم عنتاً في الأيام الأولى لحكمه ؛ عنـدما حرَّموا التليفون والراديو والتصوير الفوتـوغرافي.. الخ، وجـاء وقت كـان الطـبيب المصـري والمهنـدس المصـري يمتحن «مـاذا تقـول في آيـات الصفات!!»، ولكن الملك عبـد العزيـز روَّضـهم شـيئًا فشـيئًا، وبعـد عنـاء طويل.

وحمل أبناء الشيخ دعـوة أبيهم وأصـبحوا يطلـق عليهم «آل الشـيخ» وظلوا في أمـور العقيـدة والـدين شـركاء الحـاكم واسـتحدثوا «بوليسًـا» أهليًـا لــه سـلطة الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنــكر، بمـا في ذلـك الإشـراف على إغلاق المحال وقت الصلاة، وأن الناس جميعًا يصلون في المسـجد ويقبضـون على كـل من يـدخن أو يطيـل شـعره، ولا يسـمحون بخـروج المــرأة إلا متنقبـة في ثـوب أسـود لا يظهـر منهـا إلا عيناهـا، ويتثبتون أن الذي يسير معها محرم لها.

---

(1) عنوان المجد، م س، ص 263 و 264. استشهد في «الحالة السلفية المعاصرة في مصر»، ص 79، وصيغة الحديث تؤكد أن الوهابيين يعتبرون أنفسهم المسلمين، وأن الآخرين كفارًا.

كما أن القضاء بأسره يقوم على ما يـرون أنـه الشـريعة، وتجـرد من كل الضمانات التي يوجدها القضاء لضمان الحكم بالعـدل كمـا أنـه يصـدر أحكامًا يدعي أنها الشريعة، والشريعة منها براء.

وكمثـال على ذلـك نشـير إلى إحـدى قضـايا الاغتصـاب، والتفاصـيل تقول بأن فتاة خرجت مع شاب وهـو (خطيبهـا) بقصـد سيئ، ولكن مـع عــدم وجــود أي إثبــات على ارتكـاب الفاحشــة المبينـة، وبالتـالي فـإن الحكم بحقهما اقتصر على قضية الخلوة غير الشرعية، وأضاف أن اثــنين من المتهمين لاحظـا الفتـاة برفقـة الشـاب وتابعاهمـا ثم أخـذوهما في السيارة نفسها إلى مزرعـة، ومن ثم ارتكبـا مـا نسـب إليهمـا واسـتدعيا غيرهما للمشاركة فيها.

وخلص تــداول القضـــية إلى الحكم بســجن الأربعة وجلـــدهم على التوالي: 5 سنوات و1000 جلدة، 4 سنوات و800 جلدة، 4 سـنوات و350 جلدة، ســنة و80 جلدة، كما خلص إلى الحكم بجلد الفتـاة والشـاب الـذي كان برفقتها قبيل الاختطاف بـ 90 جلدة لكلّ منهما.

وأفـاد مصـدر أمـني في المنطقـة الشـرقية أن: «الحكم صـدر على الجميع كل حسب علاقتـه بالجريمـة»، في حين قـال مصـدر قضـائي في المحكمــة لــجريدة (الــوطن): «إن الحكم بحـدّ الحرابـة الـذي طـالب بـه المدعي العام اسـتبعد، لعدم اجتماع شروط إقامة الحدّ»، مشــيرًا إلى أن التُهم التي تدارسها القضاة الثلاثة، برئاسة الشيخ سـعد المهنـا، بمـوجب اعترافات جميع الأطراف، توصلت إلى فعل بعض المتهمين الفاحشة مـع الفتاة على سبيل الاغتصاب والقهـر، وفعـل بعضـهم الفاحشـة بالشـاب الذي كان برفقتها، طبعا على سبيل الاغتصاب والقهر أيضًا.

وفيما يخصّ الحكم على الفتاة والشاب بالجلد بـ 90 جلدة لكل منهما أوضح المصدر القضائي ذاته أنهما: «مُدانان بالخلوة غير الشـرعية قُبيـل أخذهما من قبل بعض المتهمين».

فإذا كان قد ثبت أن الأربعة المتهمين قد ارتكبوا الفاحشة مع الفتاة باعترافهم، وأن ذلك تم اغتصابًا وقهـرًا، فضلاً عن ارتكاب الفاحشــة مــع الشـاب الذي كان مع الفتاة، اغتصابًا وقهرًا، فإن تشريعات العالم ــ بمــا في ذلك تشريعات أوروبا وأمريكا ــ تعاقب على الاغتصاب بالقتل، وهــذا هو ما يحكم به الإسلام فيما نرى.

ولا ندري من أين جاء القانون السعودي بهـذه الأحكـام، والمفـروض أنها تحكم بالشريعة، وأقصى حد جاءت به الشريعة هـو 100 جلـدة، ففي أي مذهب إسلامي يجوز الجلـد بــ 1000 جلـدة و800 جلـدة و350 جلـدة، وعلى أي أساس يعاقب الشاب على (الخلوة غير الشرعية) بــ 90 جلـدة،

وتعاقب المرأة الضحية لهذا الجــرم الفظيـع، بـأن تجلـد 90 جلـدة، علمًـا بأنها خطيبته ولم يؤخذ عليهما أي إثم.

وقد تلقينا من الإنترنت بياناً باسم «بيان ثـورة النسـاء السـعوديات» مرسـل من زينب البحـراني في 24/3/2011م تضـمن ثـورة عارمـة على «المحرم» أو «ولي الأمر» الـذي يجب عن طريقـه إتمـام كـل شـيء عن المرأة، وهذا المحرم الذي قد يكـون الأب أو الـزوج أو الأخ أو حـتى الابن بحيث يفرض وصاية ذكورية على المرأة فلا يحق للمرأة التقـدم لوظيفـة أو السفر، ولا الانتظام في تعليم إلا بعد إذن الولي أو المحرم، وجاء في البيان فضلاً عن تقرير حقـوق الإنسـان لسـنة 2009م أن المـرأة تحتـاج لمحرم لدخول المستشفى والخروج منها وإن جاءت من غير محرم فإنها تظل محبوسة في المستشفى حتى يأتي أحد محارمها ويخرجها.

ولابد من الإشارة إلى أن الوهابيين قد قضوا على كل معالم التـاريخ الإسلامي القديم فهدموا كل المقابر، وكل المساجد القديمة، وبنــوا في مكان ينسب إلى الرسول ﷺ دورة ميـاه حتى لا يمكن الصلاة فيــه، وكـانوا في عهدهم الأول قد جـردوا الكعبـة والروضـة الشـريفة من كـل الـذهب والفضـة واللآلئ المزينـة بهمـا، وإن كـان من الحـق القـول إنهم بفضـل عوائد البترول قاموا بتوسعات ضخمة، وإن كـانت هـذه أيضًـا قضـت على البقية الباقية من معالم الآثار القديمة.

وجاء في كتاب «الحالة السلفية المعاصرة في مصر» للأسـتاذ أحمـد زغلول شلاطة، ص 82: عن بعض أوجه الانتقادات فيما يلي:

(1) توسعها في أمر البدع حتى أنهم توهموا أمورًا لا صلة لهـا بالعبـادات بدعًا.

(2) غلوهم في استئصال المخالفين، واعتقـادهم أن رأيهم هـو الصـواب وأن رأي مخالفيهم خطأ لا يقبل التصويب.

(3) الحملات القاسية والعنيفة على التصوف وإنكار أن له صلة بالإسلام.

(4) أن الدعوة الوهابية لم تقدم النمـوذج العملي للمجتمـع المسـلم ولم تتصد لمشكلات المسلمين الاقتصـادية والاجتماعيـة وأعطت ظهرهـا للمخترعات العلمية الأوروبيـة»[1]، فعنـدما تكـون السـلطة المرجعيـة واقعة خارج الواقع وتقدم نفسها كأصـل ـــ نمـوذج السـلف ـــ فـإن الفعاليـة الفكريـة تكتسـي شـكلاً قياسـيًا فقهيًـا قيـاس الفـرع على

---

(1) محمد عبد العزيز داوود: الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي، 1992م، ص 49.

الأصل أو الغائب على الشاهد، والشاهد هنا هو ما يقدمه «النموذج السلفي» أما الغائب فهو القضايا المستجدة.. قضايا الواقع الحي[2].

(5) الشعائرية والشكلية والمظهرية والفرعية، والدخول في معارك تم كسبها من قبل والمسلمون فيها منتصرون وترك معارك مازالت قائمة والمسلمون فيها منكسرون مثل الاحتلال والتخلف والتجزئة والسلبية، وعلى هذا الأساس يتم فهم الشريعة وتطبيق الحدود مع أن أحكام الشرع وضعية كما يقول الشاطبي تقوم على معرفة السبب والشرط والمنع فالحدود واجبة بعد الحقوق[3].

(6) يشيع التقليد ويغلق باب الاجتهاد، فلا يواكب الفكر الديني متغيرات العصر، ويظل علماؤه أسرى أفكار الأسلاف، لا يملكون سوى أن ينظروا إلى متغيرات عصرهم والنظر إلى كل جديد بمنظور قديم إلا إذا أمكن قياسه على قديم سبق[4].

(7) أفضى التحالف الديني السياسي إلى قيام العرش السعودي، وكان لابد للسياسي أن يرسم مسار الدين في حركة الدولة، فقبول علماء الوهابية بالتحول إلى طبقة إكليروس داعمة للدولة السعودية قد خفضهم تبعًا لقوة الدولة في فرض سلطانها، على أن الدولة حفظت لهذه الطبقة جزءًا من المكتسبات الدينية الضرورية كمتطلب لاستقرار المملكة ومشروعيتها وهيمنتها[5].

والعجيب أنه لم يشر إلى موقفهم من المرأة، وهو شر المواقف وأكثرها تخلفاً وجهلاً، فلا يسمح لها بالخروج إلا بعد أن تصبح شبحًا أسود مخيف لا يرى منه شيء، وإذا كانت برفقة رجل فيمكن أن يسأل من «المطوعة» عن علاقة النسب بها، فإذا لم يكن أبًا أو أخاً أو زوجًا فالويل له ولها، وحرم عليهن قيادة سياراتهن، ولما قام قرابة أربعين سيدة من كرائم العائلات بقيادة سياراتهن، أحيط بهن وقبض عليهن، وصدرت الصحف تصفهن «بالفواجر».

---

2) محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/1982م، ص 202 و 203.

3) حسن حنفي: الإحيـاء الديني كيف يخدم التقدم؟ ورد في مصر في القرن 21، تحرير د. أسامة الباز، ص 168.

4) الفضل للمتقدم، جابر عصفور، جريدة الأهرام، الاثنين 21 سبتمبر 2009م، العدد 44849.

5) السلفية الجهادية في السعودية، م س، ص 69.

وفي نظري أن موقف الحكومة السعودية من المرأة هو أسوأ ما يؤخذ عليها وما يجعل الإنسان يندهش من هذه الازدواجية في الشخصية.

وبعد هذا، فلا داعي للإشارة إلى موقفهم من الفنون التي ترتبط بالمرأة كالغناء والتمثيل والسينما لأنها ترفضها جميعًا وترى أنها من عمل الشيطان، ولهذا فالسعودية بلد كبير، مقفر يثير الانقباض، ويبعث على الاكتئاب.

الموقف من التراث

أي حديث عن السلفية هو بمعنى ما حديث عن التراث، لأن السـلفية هي ميراث الأجداد للأبناء، وتفعيل هذا التراث حتى لا يكون هناك خلل أو لبس، ونحن نعـني بـالتراث مـا خلفـه لنـا الأئمـة الأعلام من العلمـاء والفقهـاء في مجـالات المعرفـة الإسـلامية، ففي التفسـير نرجـع إلى الطـبري وابن كثيـر، وفي الحـديث نرجـع إلى الإمـام أحمـد ويحـيى بن معين، وفي الفقـه نتقبـل الأحكـام الـتي أوردهـا الأئمـة الأربعـة في مـذاهبهم، وربمـا أيضًـا غـيرهم في بعض المـذاهب الأخـرى كالشـيعة أو الإباضية أو الزيدية.

ويمكن أن نصعد فلا نقف عند «الأئمة الأعلام» ولكن نصـعد بهـا إلى التـابعين وإلى الصـحابة أنفسـهم، حـتى لـو كـانوا الخلفـاء الراشـدين أو العشرة المبشرين بالجنة، فهؤلاء رغم منزلتهم العظيمة «بشر»، ليسـوا ملائكة وليسوا معصومين ولا يملكون تشريعًا ولا تحليلاً ولا تحريمًـا، ولأن ما وصلنا عنهم من أخبار لا تصل إلى اليقين، وقد تأثر بعض هذه الأخبـار بالاتجاهات السياسية وغيرها.

هذا هو التراث.

فلا يدخل فيه القرآن الكريم، فالقرآن ليس تراثاً إنـه أصـل، بـل هـو أعظم الأصول، وهو كلام الله، وقد وصل إلينا بطريقـة قطعيـة فلا يمكن الطعن فيه.

ولكن تفسـير القـرآن يـدخل في الـتراث، لأنـه عمـل رجـال بـدءًا من الطبري حـتى سـيد قطب، بـل هـو أكـثر أجـزاء الـتراث تـأثرًا بـالظروف الخاصة بكل مفسر على حده، وبظروف وزمان التفسـير ومـا سـاد فيهـا من فكر أو ثقافة، كما تعرض لغزو عناصر فكرية بعضها بعيد عن الإسلام والعربيـة، وخضـع لما كـان سـائدًا من حكم فـرض كبتـاً للحريـات وضـيقاً بالآراء التي تمس الوضـع من قـريب أو بعيـد، فهـذا كلـه جعـل التفسـير يشغل مكاناً بارزًا في التراث.

أما السُـنة، فالسُـنة العمليـة الثابتـة بتـواتر العمـل كالصـلاة الـتي صلاها المسلمون خلـف الرسـول ﷺ تطبيقـاً لأمـر الرسـول ﷺ «صـلوا كمـا رأيتموني أصلي»، ومثـل بيـان مناسـك الحج الـتي جلاَّهـا الرسـول ﷺ في حجة الوداع فطبقوها كما فعلهـا تطبيقـاً لقولـه «خـذوا عـني مناسـكم»

ومثل توزيع الزكاة هذه السُــنة العملية التي وصـلت إلينـا بتـواتر العمـل بها من أيام الرسول ﷺ حـتى الآن تعـد من الأصـول، وإن كـانت تـأتي بعـد القرآن وتحكم تبعًا له وتضبط إن كان ثمة خلاف في تفاصيلها.

ولكن الأحـاديث ــ أي كلام الرسـول ﷺ ـ لا يُعـد من الأصـول لسـببين الأول: أن ليس كل مـا تكلم بـه الرسـول ﷺ يُعـد تشـريعًا، والثـاني: أن مـا وصل إلينا عن طريـق الرسـول لم يُـــدَّون إلا من سـنة 150 هجريـة، أمـا قبل ذلـك فكـانت تـروى شـفاهًا «حـدثنا فلان عن فلان حـتى ينتهي إلى الرسـول ﷺ»، ومن كـان هـذا شـأنه فلا يخلـو من شـبهة نسـيان من أحـد الرواة، أو أن أحدهم لا يُعد «عدلاً» متمكناً بحيث يؤخذ بروايته، وإذا تـوفر في راوٍ فقلما يتـوافر في الـرواة الآخـرين حـتى يصـلوا إلى الرسـول ﷺ، فإن قالوا إن دهاقنة الحديث من أيام الصـحابة قـد قضـوا أعمـارهم في تمييز الرواة وتتبعهم وتوصلوا إلى درجة كل واحد، كما بينوا أيضًا طريقة فهم الحديث وطبيعته بحيث نزلوا بها من مئات الألوف إلى بضعة ألـوف، فنحن نقول لهم «اتسع الخرق على الراتق»، ونحيلهم إلى كتابنا «جنايـة قبيلة حدثنا» الذي أثبتنا فيه كيف أن وضع الأحاديث أصبح ضرورة عنــدما بلغت الدولة الإسلامية مرحلة الإمبراطورية، وكيف أن هذه الضرورة في مناخ الاسـتحلال أصـبحت فضـيلة، من أجـل هـذا فنحن لا نضـع الأحـاديث المروية في منزلة الأصول، وإن كنا لا نرفضها ولكن تضبط بضــوابط من القرآن.

ولا يدخل في التراث الذي نتكلم عنه تراث كبار علماء المسلمين في العلـــوم والرياضـــة والطبيعـــة والطب مثـــل البـــيروني وابن الهيثم والخــوارزمي وجــابر بن حيــان الــذين توصــلوا إلى اكتشــافات بــاهرة استفادت منها أوروبا وبدأت نهضتها بفضلها، لأنه وإن كـان تراثـاً إلا أنـه عن موضـوعات حسـابية، هندسـية، رياضـية لا يمكن الاختلاف فيهـا وإذا وجد فإنه يكون كالخلاف في العقيدة أو الفقه.

* * *

إذا كـان مـدلول الـتراث قـد اتضـح بالصـورة الـتي عرضـناها، فـإن الموقف فيه لا يَعْدُو أحد ثلاثة:

الموقف الأول: أن نأخذ به كله باعتبار أن الذين وضعوه كانوا صـفوة الأمة وكبار علمائهـا وفقهائهـا، وأنـه خضـع للعديـد من الدراسـات حـتى انتهى إلينا، بالصورة الراهنة، وأن الأمة قد تقبلته عبر تاريخها الطويل.

الموقف الثاني: أن نرفضه كله، فلا نأخذ به لأنه يرتب أحكامًا للحرام والحلال، والتشريع كله في الإسلام مقصـور على اللـه تعـالى، ولا يمكن حتى الرسول ﷺ أن يحلل ويحـرم، وأخـذنا بـه قبـولاً لمبـدأ يخـالف أصـول

الإسلام، فضلاً عن وجود حشو وأحاديث ركيكة وإسرائيليات تحول دون أن تجعله الفصل في الأحكام، فضلاً عن أنه وضع منذ ألف عام.

وقد يقال إنهم لم يحللوا أو يحرموا من تلقاء أنفسهم، ولكن بناء على أسس من القرآن والسُنة، فأحكامهم هي أحكام القرآن والسُنة، وأنهم كانوا أقرب عهدًا وأوثق صلة بالقرآن والرسول ﷺ منا.

فنقول إنهم توصلوا إلى هذه الأحكام بفهمهم الخاص، لأن النص ليس له لسان يتكلم به، وإنما هو فهم القارئ له، فما أصدروه من أحكام هو ثمرة فهمهم لنص القرآن الكريم، وليس المعنى المؤكد للنص نفسه، ولأن الفهم يتفاوت ويتأثر بشخصية صاحبه وعصره وبقية المؤثرات التي يكون لها تأثير بالغ على الحكم.

من هنا فلا يكون هناك إلزام «أصولي» بهذه الأحكام.

<u>الموقف الثالث</u>: تنقية التراث مما شابه من عناصر دخيلة، وربما مناقضة لروح الإسلام، لغلبة الضعف البشري على الناس ولعسف نظم الحكم وما حفل به المجتمع الإسلامي من عناصر ومؤثرات من ملل ونحلل ورواسب حضارية فارسية أو هندية أو بيزنطية ومن تراجم يونانية ومن إسرائيليات بحيث لا تكون مهمة التنقية سهلة أو يسيرة، ولأن التراث الإسلامي ضخم وكبير تضمه مجلدات يجاوز عددها المئات إلى الألوف وبعضها في أجزاء عديدة، وكل جزء من مئات الصفحات، يكون من الضروري العكوف عليها صفحة صفحة لاستبعاد الدخيل، كما يجب أن نلحظ أن التنقية يجب أن تقوم على أساس وبمعيار وهذه قضية جدلية تحتمل أراءً عديدة قد تتعرض للنقد أو لا تكون محل تسليم، وقد شبهنا الصحيح من التراث بعرق ذهب في أعماق جبل من الأباطيل ولابد من نقض هذا الجبل حتى تصل إلى عرق الذهب، ولو نجحنا في هذا لوجدنا أننا أضعنا أعمارًا، وبذلنا جهودًا، وأنفقنا أمولاً لا تتوازى مع ما وصلنا إليه، ولو أننا أعملنا فكرنا لوصلنا إلى ما يماثل أو يفضل عرق الذهب.

وقد كتب الدكتور عبد المنعم النمر مقالاً طويلاً لمجلة العربي منذ عشرين عامًا عن تنقية التراث ولم يحرك ساكناً، حتى عندما تولى الدكتور عبد المنعم النمر نفسه الأمر لم يفعل ما خطط له، ومنذ مدة ارتفعت الصيحات تطالب الأزهر بتنقية التراث، وهناك قضيتان على الأقل مرفوعتان عليه واحدة منا، وأخرى من محام بالإسكندرية لطلب تنقية التراث وهو يتهرب لأنه لا يؤمن بالفكرة، ولا هو قادر عليها، وهو أصلاً قلعة الحفاظ السلفي[1].

---

1) من المؤسف أن رفضت القضية التي رفعها محامي الإسكندرية، فبعد أن كان القاضي مناصرًا للتنقية، وقرع مندوب الأزهر لتخلفه، فإن القضية عندما نظرت أمام قاض آخر عام 2012م، وتقدم الأزهر بدفاع هزيل، وتغافل عن أسوأ ما تضمنه البخاري،

وهكذا يتضح أن المواقف الثلاثـة مسـدودة، فلا يمكن أن نقبلـه على علاته ويصعب علينا أن نرفضه جملة واحدة، كمـا أن تنقيتـه أمـر يطـول، ويغلب أن لا ننجح.

ولكننا قبل أن نغلق الباب، سنسمح بعرض فكـرة قـد تطـرأ أو لعلهـا غالبة رغم كل ما قلناه على كثير من الناس تلك هي لماذا لا نفترض فيه الصحة، وحتى لو وجد ما يشيبه، فليس هذا داع لاستبعاده.

نقول إننا حتى ولو فرضنا صحته وسـلامته، فسـيكون هنـاك أسـباب تجعلنا لا نلتزم ضرورة به.

من أهم هذه الأسباب أن الله تعالى خلـق لنـا عقلاً نعـرف بـه الخطـأ من الصواب والصحيح من السقيم، ويهدينا في حياتنا اليومية، بل قل هو الميزة التي يتميز بها الإنسان عن بقية الكائنات.

فكيف يجوز لنا أن لا نعمل عقلنا، وأن نقنع بتقليد الآبـاء والأسـلاف واجترار أقوالهم؟ ألا يُعد هذا إغفالاً للعقل؟ أفلا يجعلنا نستحق ما أنذرت بـه الآيـة «أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَـامِ بَـلْ هُمْ أَضَـلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَـافِلُونَ» (الأعـراف 179).

إن هذا في نظري أهم سبب يدعونا ـ مهما كـان الـتراث ــ أن نعمـل عقلنا وأن نرفض التقليد، لأن هذا إغفـال لإنسـانيتنا، وتطـبيق لمـا أراده الله، ولأن إعمال العقل سبيل التقدم والصلاح.

وهذه اللفتة تنقلنا من عالم الـتراث إلى عـالم العقـل، فمهمـا كـان التراث صائبًا وعظيمًا.. إلخ إلخ.. فلابـد من إعمـال العقـل حـتى لا يصـدأ ونصبح كالأنعام.

وليس هذا وحده هو الذي يجعلنا نعـزف عن جعـل المرجعيـة لنـا في فهم الإسلام وتطبيق أحكامه هو التراث، فهنـاك سـببان آخـران سنشـير إليهما فيما يلي:

فأول هذين السببين أن التراث إذا كان ممتازًا عندما وضـع من ألـف عام وعندما كان يتطابق مع عصره، بـل يسـبقه في بعض الحـالات، فـإن هذا لا يعني أنه يصلح للتطبيق في العصـر الحـديث، وصـلاحه في العصـر القديم لا يستتبع أنه يصلح لهذا العصر.

لماذا...؟؟؟

لأن العصر الحديث يختلـف عن العصـر القـديم في كـل شـيء، فقـد كانت البشرية تزرع وتصـنع وتتـاجر وتفكـر بطريقـة واحـدة حـتى حـدثت الثورة الصناعية في بريطانيا (منتصـف القـرن الثـامن عشـر) باكتشـاف

فإن القاضي استجاب له، وأن كل ما في البخاري صحيح وأطلق على من يريدون تنقية التراث «المخبولين».

البخار كقوة لتوليد الطاقة واستخدام الآلات الحديدية والتوصل إلى صنع القطارات البخارية والسفن التي تعبر المحيطات كلها من الحديد، وكلها تسير بقوة البخار.

فحلت الآلة محل «العدة»، وحلت القوة البخارية محل الكدح العضلي للإنسان وانتهى هذا العهد القديم وبدأ العصر الحديث، وانتهى العمل الحرفي والحرفيين وظهر العمل الآلي والرأسماليين الذين يملكون المصانع كما ظهر العمال «البلوريتاريون»، أي الذين لا يملكون إلا قوة العمل، وبدأت الرأسمالية مسيرتها التي غيرت تاريخ العمل وصورة المجتمع، وأسلمت إلى سلسلة من الاكتشافات والاختراعات كل واحدة تسلم لأخرى، فظهرت الكهرباء التي أحالت الليل نهارًا ولم يعد يوم العمل ينتهي مع غروب الشمس ولكن يستمر من الشروق للشروق، وأدت لسلسلة من الاكتشافات وفتحت الباب أمام بحوث الذرة التي مكنت الإنسان من الإفلات من قانون الجاذبية وظهر التليفزيون وظهرت القنوات الفضائية، وأصبحت السماوات مجالاً مفتوحًا أمام الجميع، وتغير كل شيء في المجتمع بحيث يمكن القول إن ما تضمه البيوت من أثاث وعتاد ومتاع لا يعود إلى أكثر من مائة عام.

قبل هذا التطور الكاسح لم يكن في أوروبا وسيلة للاستمتاع الفني سوى المسرح ورقصات الباليه ولم يكن ليحضره إلا اللوردات والنبلاء والأرستقراطيون، اليوم أصبح بفضل التليفزيون يوجد في كل بيت سينما خاصة ومسرح خاص، بل عدد من دور السينما والمسارح ينتقل المشاهد وهو يعبث بيده في جهاز التشغيل عن بعد (ريموت كونترول) لتتوالى القنوات وتتوالى المسارح ودور السينما.

في العهد القديم كانت زوجة الإمبراطور نيرون تستصحب عندما تسافر موكبًا من ثلثمائة أتان ليمكن عمل حمام لبن يكسب البشرة نعومة خاصة، واليوم تستطيع أي عاملة أمريكية أن تجد في حمامها اللامع المعطر من معلبات أدوات التجميل ما يفضل ما وصلت إليه الإمبراطورة.

في الماضي كان الكتاب يكتب باليد، وكان الصاحب بن عباد يتخذ قافلة من الجمال تحمل كتبه وتسير بها حيث سار، واليوم ظهرت المطابع التي تطبع كل يوم في العالم ملايين الكتب والصحف، كما وجدت اسطوانة رقيقة كأنها صفحة من كتاب وتستوعب مكتبة الصاحب بن عباد وتحل محل قافلته .

وأحدثت الثورات الإنتاجية الملايين من السيارات والقطارات والمطارات والمطاعم والفنادق، ويسرت الطعام معلبًا، والسير بمختلف وسائل النقل، وأنتجت ملايين السلع لم تكن معروفة في العالم القديم.

إن الزمان لم يعد يقتصر على النمو العضوي الذي يجعل الطفل رجلاً، أصبح التطور الذي يوجد مجتمعًا جديدًا.

وقد كانوا يقولون «الوقت من ذهب»، ولكن الإمام حسن البنا كان يضع على مكاتب الإخوان لافتات «الوقت هو الحياة».

* * *

كل هذه الاختراعات والاكتشافات غيرت خصائص المجتمع وأثرت عميقاً على نفس الفرد، وكيفت عقله وفكره.

فكيف يمكن لتراث ألف سنة مضت أن يصلح أو يغير هذا العالم المعقد المركب الصعب للعصر الحديث.

كان من المعقول أن يعتبر الإمام مالك عمل أهل المدينة مرجعية فقهية، فقد كانت المدينة كما تركها الرسول ﷺ وفيها صحابته، ولكن هل يمكن لفقيه في هذا العصر أن يعتبر عمل أهل المدينة اليوم مرجعًا فقهيًا؟ من الواضح أن هذا مستحيل، ولكن هذا المستحيل فرض نفسه على العصر لأن كل الذين يؤمنون بالمذهب المالكي اليوم يقضون بعمل أهل المدينة !! وما من مثال كهذا يصور ما يمكن للتراث أن يصل إليه من مفارقات.

آن لنا أن نفهم أن ما يصلح عليه الماضي لا يمكن بالضرورة أن يصلح عليه الحاضر والمستقبل.

بقي عامل آخر لم نشر إليه.

إننا في خضم حديثنا عن التراث نسينا نقطة هامة تلك هي أن التراث حجب القرآن، وأنه عندما فرض نفسه، فإن هذا كان يعني إقصاء القرآن.

حقاً إن الأسلاف عندما بدأوا في وضع منظومة المعرفة الإسلامية رجعوا إلى القرآن واستلهموا القرآن، ولكنهم عندما استكملوا التراث ابتعدوا عن القرآن، كانوا كالطفل الذي يرضع من ثدي أمه، قبل أن تظهر له أسنان، فلما ظهرت له أسنان لم يعد في حاجة للرضاعة، لأنه يمكن أن يأكل بأسنانه بعيدًا عن صدر أمه.

قد يقولون إننا عندما نعيش في التراث فإننا لا نبتعد عن القرآن، لأن الأسلاف أقاموا مذاهبهم وأحكامهم على القرآن، ولأنهم كانوا أقرب إلى عهد نزوله، وأعظم تمكناً من العربية التي نزل بها، ولكن هذا إنما يقال لتعزيز التراث، ولكنه لا يعني ولا يجوز أن يؤدي إلى الابتعاد عن القرآن.

وكائناً ما كانت المبررات، فلا يسع مسلم أن يفصل بينه وبين قرآنه فاصل أو يحول بينه حائل، أو يضع بينه ترجمان.

كما أن أهل التراث لم يعتمدوا على القرآن قدر ما اعتمدوا على السُنة، فالسُنة هي لحمة الفقه وسداه، لأن القرآن لا يذكر التفاصيل وإنما توجد في السُنة، وقد كانت السُنة من الأبواب التي أوتى الإسلام منها فدخلها أعداء الإسلام بما بثوا فيها من كيد دفين ومن تشويه للعقيدة، بل وتشويه شخصية الرسول ﷺ كما خضعت للوضاع الصالحين وسدنة الشريعة وفقهاء السلطان والعناصر الغريبة على الإسلام، بل إن السُنة كانت هي التي أوجدت شخصية المسلم النمطي الذي يبدأ يومه ويختمه بالأدعية وكل ما يفعله خلال ذلك هو ما حددته له السُنة.

* * *

بل يمكن القول أن التراث لم يحجب القرآن وحده، إنه حجب أيضًا «الحكمة» التي قرنها القرآن «بالكتاب»، فأغلق النافذة على العصر وتجاهل الروافد العديدة التي تزود الإسلام بآراء الآخرين فلا يقتصر على كلام الفقهاء بينما الإسلام يريد الحكمة أينما كانت.

وأخيرًا فإن العودة إلى القرآن مباشرة (دون الأخذ بتفاسيره) لا يعني ضرورة إطراح التراث، فسيظل موجودًا ويمكن الاستئناس به، بل يمكن الأخذ بما تفتقت عنه عباقرته من نقط أصالة خاصة في العهد الأول له قبل أن يتطرق إليه الوهن، فهناك فرق بين أبي حنيفة والسيوطي، فالأول يُبدع، بينما الثاني يجمع.

السلفية بين المؤمنين بها والناقدين لها

أصبح موضوع السلفية يستأثر بالصدارة في الموضوعات الإسلامية التي تشغل الأذهان.

لنبدأ أولاً بتحديد معنى ومضمون الكلمة حتى لا تضللنا مفاهيم أخرى، فنحن نعني بالسلفية:

أولاً: الإيمان بالمذاهب الأربعة المقررة والانتماء إلى أحدها.

ثانيًا: قبول تفسير القرآن و«علوم القرآن» كما وضعها الطبري وابن كثير.. إلخ، بما فيها من ناسخ ومنسوخ وأسباب النزول.

ثالثاً: قبول تصنيف الأحاديث كما وضعها الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث.

رابعًا: تقدير السلف الصالح من الصحابة حتى تابعي التابعين واستلهامهم والترضي عنهم وعدم مسهم بسوء.

بهذا المعيار نقول إن أنصار السلفية والهائمين بها هم الأغلبية العظمى للمسلمين وأن أغلبية الهيئات القائمة هي هيئات سلفية سواء كانت في مصر أو السعودية أو سوريا أو غيرها من بلاد المسلمين.

بل أكثر من ذلك يكاد يكون من المقرر أن أي مفكر يشذ عن ذلك أو يرفض أصلاً من الأصول الأربعة ـ دع عنك كلها ـ فإنه يُعد خارجًا عن شرع الإسلام، ويقف ما بين المبتدع في الملة والخارج منها.

فنحن جميعًا سلفيون رغمًا عنا، لأننا نكاد أن لا نعرف الإسلام إلا من السلف، فقد أغلق باب الاجتهاد منذ ألف عام، ونأخذ جميعًا بالتقليد.

وهذا هو السر في أن فقيهًا مثل الشيخ القرضاوي يُعد من أكبر الفقهاء مرونة وانفتاحًا، لا يستطيع أن يخالف حديثاً يعدونه من الصحاح، ولهذا يتوقف في مصافحة المرأة، لأن السلف جميعًا يؤمنون بما قاله الشافعي «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

كما أن هذا هو السر في أننا لا نجد مفكرًا من المفكرين المعترف بهم يعالج موضوعًا مثل «إعادة النظر في تصنيف الأحاديث» أو «استبعاد ما يزعمون أنه من علوم القرآن مثل الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول»، لأنهم يرون أن العلم بها هو الذي يؤهل كاتبًا لأن يكتب عن هذا الموضوع، وكانوا يقولون «جهلت الناسخ والمنسوخ..

هلكت وأهلكت»، بل إن الأزهر لا يزال متلكأ في تنقية كتب الأحاديث التراثية رغم رفع أكثر من قضية تطالبه بذلك.

وما دمنا قد قلنا إن الأغلبية العظمى للفقهاء المسلمين والهيئات الإسلامية سلفية فلا داعي للحصر، وإنما يمكن القول إن الأزهر، وأن الإخوان المسلمين، والشيخ القرضاوي، واتحاد علماء المسلمين.. إلخ، كلهم داخلون في إطار السلفية مع درجات متفاوتة بين المرونة أو التشدد، ولكنها في النهاية ملتزمة بأصول السلف.

والسلفية وإن كانت في أصولها واحدة، إلا أن فهم هذه الأصول يمكن أن يأخذ طابع التشدد والتضييق، كما هو في الفكر الوهابي، كما يمكن أن يتوسع أو يمرَّن شيئاً كما هو في الإخوان المسلمين والشيخ القرضاوي، ولكنه كائناً ما كانت المرونة لا يمكن أن يخالف «حديثاً صحيحًا».

ويمكن في هذا المجال أن نضرب مثلاً للسلفية المجددة التي بشر بها المفكر الإسلامي الدكتور سليم العوا والذي نشرت عنها مجلة «العربي» مقالاً في (9/8/2009م) بقلم الأستاذ ياسر غنيم تحت عنوان «السلفية المجددة طريقك إلى الحداثة» وجاء بها:

[السلفية.. كما يعرفها الدكتور سليم العوا فى كلمتين هي: أن <u>تتبع طريقة السلف لا أن تقلد عملهم</u>، أى أنه وفق هذا التعريف فإن كل من يتقيد بمذهب موروث عن شيخ ما، وإن كان هذا الشيخ من أعلام السلفية، خاصة إن كان من عصر غير الذى نعيشه، لا يكون سلفيًا، بل يكون مقلدًا، <u>وكل من يأخذ الدين من أصوله على طريقة السلف الصالح فهو سلفي وإن خالفهم فى بعض أقوالهم وأعمالهم، أو ما ذهبوا إليه من فهم للنصوص أو رأي فى الفتوى</u>.

السلفية.. منهج وليست مذهبًا بعينه، لذلك قد يكون شيخك من أعلام السلفية وأئمتها المجددين، لكنك حين تحمل نفسك أو غيرك على مذهبه ومدرسته بحذافيرها فلست سلفيًا ولكنك منسوب إلى شيخك وليس للسلف، وأنت حين تحذو حذو أحد أو طائفة من أهل الإسلام حذو القذة بالقذة تجعل من حذوك حذوه على منزلة الوحي الإلهي ورسالة النبي ﷺ المعصوم، فإن هذا يخرجك من السلفية.

السلفية.. هى العمل بمنهج السلف الصالح وطريقتهم النقية السوية فى فهم الدين وإقامته، وإن خالفتهم فى كثير من عملهم وآرائهم] أ.هـ.

ولسنا نرى في السلفية المجددة تجديدًا جذريًا، فهي كما ذكر المقال «أن تتبع طريقة السلف لا أن تقلد عملهم»، وكذلك «السلفية هي العمل بمنهج السلف الصالح وطريقتهم النقية السوية في فهم الدين، وكذلك «السلفية منهج وليست مذهبًا بعينه، وإن كل من يأخذ الدين من أصوله على طريقة السلف الصالح فهو سلفي وإن خالفهم في بعض أقوالهم».

إننا عندما حددنا السلفية قلنا أنها الأصول الأربعة وهي في إجمالها منهج وكل من يتبع منهجها لا يُعد مجددًا، وغاية ما يمكن أن يصل إليه هو المرونة أو التشدد وهو ما أشرنا إليه، صحيح إن «فهم» هذا المنهج قد يتفاوت، ولكنه في جميع الحالات يتبع الأصول التي تمثل منهج السلفية.

فلا تجديد في المنهج السلفي، وإنما العمل من خلاله.

والتجديد الحقيقي هو في «مجاوزة منهج السلفية» وما وضعته من أصول إلى أصول أخرى، وهذا ما لم يجرؤ عليه أحد، إلا «دعوة الإحياء الإسلامي» التي تُحارب من كافة جبهات السلفية.

ذلك لأن السلفية هي من العمق والتمكن بحيث اعتبرت أنها وحدها هي «أصول الدين» وليست «فهمًا» ويحق لها وحدها أن تضع أصول الدين أو أنها وحدها وصلت إلى ما لا يمكن أن يصل إليه غيرها.

وهذا حجر على العقل البشري.

* * *

بالإضافة إلى السلفية المجددة التي دعا إليها الأستاذ الدكتور سليم العوا، فهناك هيئة سلفية أخرى لها طرافة خاصة لأن مؤسسها رجل ولد في بانجوك من أب تايلندي وأم مصرية واسمه رضا صمدي وقضى سنواته الأولى في ماليزيا حيث كان والده يعمل في السفارة التايلندية في كوالالمبور، ولما نقل إلى السعودية بدأ رضا دراسته في جدة ثم انتقل إلى مصر حيث أتم الدراسة الثانوية والجامعة في الأزهر وتخرج في كلية الشريعة عام 1992م وأتم الماجستير في جامعة القرويين في المغرب.

وخلال إقامته في مصر تعرف على شيوخ السلفية في القاهرة والإسكندرية مثل الشيخ محمد حسين يعقوب والشيخ أبو إسحاق الحويني والشيخ محمد بن إسماعيل المقدم والشيخ ياسر برهامي.. إلخ، وعمل معهم كما اعتقل وأفرج عنه سنة 1999م، وطرد من مصر وهو ممنوع من دخولها.

ركز العمل في تايلند حيث تسمح حرية الفكر بحرية الدعوة وحيث توجد أقلية تايلندية مسلمة وأطلق عليها الحركة السلفية من أجل

الإصلاح (حفص)، وتحاول أن تمثل صوت الضمير الحي للأمة الإسلامية، وتمثيل الشخصية الحضارية لأمتنا، وأخيرًا تمثيل نداء الشرع المطهر لهذا الجيل.

ومع أن الحركة مجالها الأساسي تايلند، إلا أنه كان لها حضور في القاهرة خاصة في مظاهرة مسجد الفتح بميدان رمسيس في أكتوبر سنة 2010م، وكانت لافتتهم هي اللافتة الوحيدة التي نجت من التفتيش وأثار إعلانها انزعاج المسئولين عن المظاهرة.

وبدأت الحركة العمل في تايلند في أغسطس سنة 2005م، ولكن اضطرت للاحتجاب حينا ثم أعلن عن نشاطها في سبتمبر سنة 2010م حيث تنعم بالحرية وتقوم بعقد الندوات والمحاضرات والمخيمات الصيفية والمؤتمرات، ولها عدد من المواقع وصحيفة باسم «تايلند نيوز دار السلام»، وأنشأت صندوقاً تكافليًا يعني بتقديم القروض.

ولكن باستثناء لمسة تجديد حضارية بحكم قيامها في مجتمع مفتوح، فتظل السلفية هي السلفية حتى وإن كان ثمة تحوطات من شيوخ السلفية عليها.

* * *

حتى الآن أشرنا إلى أن السلفية هي الفهم السائد للفكر الإسلامي بلا استثناء، وعرضنا كنموذج لكتابات معاصرة «السلفية المجددة» للأستاذ الدكتور سليم العوا والسلفية للإصلاح التي ينادي بها التايلندي رضا صمدي في تايلند، ولاحظنا أن الكتابات الجديدة حتى عندما تصدر عن مفكر بارز مثل الدكتور سليم العوا فإنها تسلم بالسلفية كمنهج وقصارى ما نصل إليه أن هذا لا يقتضي تقليد الأئمة السلفيين، ولكن أن يبدع المجددون ولكن في إطار المنهج السلفي.

وليس أدل على تجذر السلفية من أن ناقدًا من أحدث ناقديها بدأ نقده بعبارة «لا مساس بالإسلام.. لا مساس بالسلف» لينفي أي ظن للسلفية مساس بالإسلام، وليؤكد أنه لا ينقد الأسلاف ولكن ينقد من سماهم المتمسلفين، فكأنه بدوره لم يبعد عما ذهب إليه الدكتور سليم العوا.

على أن من المهم أن نشير إلى أن السلفية بالمعنى الواسع الذي أبرزناه، وأبرزه كذلك الدكتور العوا قد لا يكون هو المقصود عندما يتحدث المتحدثون ويكتب الكتاب عن السلفية، إذ يكون هنا السلفية التي تعود إلى محمد بن عبد الوهاب، وهي كما قلنا أضيق دوائر السلفية وأشدها تشددًا وأخذاً بالقديم ورفضًا للعصر الحديث، كما أنها من الناحية العقدية تتميز بالتفرقة ما بين الربوبية وتوحيد الألوهية، فهى ترى إن كل الكفار يؤمنون بوجود الله وبأنه هو الخالق، بل هم يرون إن ما

يتخذونه من أوثان إنما «لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، أما ما يميز ما جاء به الإسلام فهو توحيد الألوهية بمعنى أن الله تعالى وحده الخالق الوهاب الذي يدير الكون بإرادته، وأن أي فهم أو تصور لوجود غيره ليساعده مثلاً أو يتوسل به فإنه يكون شركاً، وقد تعمقوا في هذه الناحية وأوغلوا فيها دون رفق حتى توصلوا إلى نتائج تجعل معظم المسلمين على حظ من الشرك، وإنهم في قضية الصفات يثبتون المعنى فعندما نقول ما معنى «يَدُ اللَّهِ»، أو ينزل الله إلى السماء يعنون المعنى الحرفي ولكنهم يقولون إنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، فلا يماثل ما في الحياة الدنيا، وتكون يداه شيئاً يليق بعظمته.

بالإضافة إلى هذه الخصائص للسلفية الوهابية فإنه يقرن بها مجموعة من المفاهيم البعيدة عما في أفهام بقية المسلمين كما في قضية المرأة، فهم يرون أن حجابًا يكشف عن الوجه والكفين ليس حجابًا بل سفورًا، أما الحجاب فهو النقاب الذي يغطي جسم المرأة من فرعها حتى قدميها ولا تترك ظاهرًا إلا عيناً واحدة، وسنوضح في فصل تال شيئاً عن هذه المفاهيم وآراءهم في بقية المسلمين، وكبار شيوخهم وعن مذاهبهم، ويكفي هنا أنها مختلفة، لا تلتزم بصحيح الإسلام.

من هنا يكون علينا أن نعلم أن كل ما سيرد في هذا الكتاب عن السلفية بما فيها السلفية المصرية إنما يراد به السلفية الوهابية، فهذه هي المنتشرة بحكم أنها عقيدة دولة إسلامية كبيرة هي السعودية وهي تعمل بكل السُبل لنشرها ودعمها.

وسنبدأ حديثاً عن «نقد السلفية» بالمعنى الذي أشرنا إليه آنفاً ما جاء به الشيخ أبو عمر المحمدي الذي كتب ست مقالات مسهبة تحت عنوان «مقالات في حقيقة السلفية» وأرسلها إليَّ حتى أنشرها في «المصري اليوم» أو غيرها من الصحف، فقلت له أن هذا متعذر، ولكن يمكن أن أطبعها في كتيب ونسلم إليه أي عدد يريده من نسخها، وفي الوقت نفسه فإني سأكتب عنها، وسُر الرجل بهذا.

في المقالة الأولى عُنى الشيخ أبو عمر المحمدي بنقد «اسم» السلفية لأنها تسمية بديلة من الاسم الذي اختاره الله لنا وهو «المسلمين»، فقال «هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»، وأورد ما قاله المفسرون، كما أورد ما قاله ابن عباس «من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام»، وقال ميمون بن مهران «إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام»، وقال مالك بن مغول: إذا تسمَّى الرجل بغير الإسلام والسُنة ؛ فألحقه بأي دين شئت».

وفرق الكاتب ما بين التسمية والانتساب، أما التسمية فلا خروج مطلقاً عما سمانا الله تعالى في كتابه العظيم، أما الانتساب فلا محيص

للأمـة عن انتسـابها إلى منهج السـلف الصـالح رضـي اللـه عنهم، إذ هـو منهج الإسلام منذ الدعوة الأولى.

والتفرقة بين التسمية والانتسـاب ملاحظـة دقيقـة، كمـا أنهـا كـانت المناسبة التي أظهر فيها الكاتب أنه لا يقـل ولهًـا وهيامًـا بالأسـلاف عن غيره من الذين حملوا اسمهم، بل أنه يخصـص فقـرة كبـيرة يشـيد فيهـا بالأسلاف فيقول:

«إن السلف الصـالح رضـي اللـه تعـالى عنهم هم خـير القـرون على الإطلاق، كما أنهم عدول بتعديل الله تعالى لهم ؛ حيث قال تعالى: (لَقَـدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّـجَرَةِ فَعَلِمَ مَـا فِي قُلُـوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا). [الفتح: 18].. بـل وقـد قـال رسول الله ﷺ – فيما صحَّ عنه – : «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الـذين يلـونهم، ثم يجيء أقـوام تسـبق شـهادة أحـدهم يمينـه، ويمينـه شهادته».. إلخ.

وهكذا يتضح أن ناقد السلفية لا يمس الأسلاف ولا يقل حبًا وتمسـكاً بالأسـلاف وأنـه لا يقصـد بنقـده السـلفية الحقيقيـة ولكن فئـة أسـاءت استخدام هذا الاسم.

ولعل من حقنا أن نقول رأينا في السلف والأسـلاف، فنحن أيضًـا لا نغمضهم حقهم ولا ننقصهم قدرهم، بل إننا كذلك نشـعر نحـوهم بـالحب والتقدير، ولكن هذا لا يجعلنا نقلـدهم، ولا حـتى نتبـع منهجهم، إن الحب والتقدير شيء، والتقـديس والإتبـاع والتقليـد شـيء آخـر، فنحن لا نقلـد مخلوقين ولكن نعمل عقلنا.

وأوضح الشيخ أبو عمر المحمـدي في آخـر مقالتـه الثانيـة عن سـبب كتابته لها، فقال: إن هؤلاء المتمسلفين اتصفوا بصفات ذميمة هي:

1- سوء الأدب: فهم متطاولون، سبابون شتامون، إلا أنَّ سبهم وشتمهم لا يعرفـه أي أحـد ؛ ذلـك أنـه متـوارٍ ومختـفٍ خلـف اللغـة العربيـة الفصحى.

2- المراوغة: فهم أحسن من يتلاعب بالألفاظ ويراوغ بهـا، ويسـتعملون لذلك باب المعاريض ؛ متمثلين: (إن في المعاريض لمندوحة).

3- العُجب والغـرور: فـإنهم معجبـون بأنفسـهم جـدًّا، وازداد هـذا العُجب بكثرة الأتباع من الشباب الغـر، وإن كـانوا يُظهـرون في تصـاريحهم خلاف ذلك ؛ مثل أن يقول قائلهم: (ما أنا إلا طويلب علم).. يكفي يا حويني أن تروح وتجيء في بلدك، وأنت تعتقد في نفسـك: أنه ليس على أديم الأرض عالم مثلك.. وإني أسـتغرب ذلك جدًّا، وأتساءل: مـا

أمارة ذلك وعلامته؟! أهو كَمُّ المحفوظات الـذي تحفظـه من قصـص وحكايات التراجم المبثوثـة في «سـير أعلام النبلاء» وكتب الرجـال ؛ فهذا هو الغالب عليك في أحاديثك ومحاضراتك وخطبك ؛ فأنت بـارع جدًّا في استعمال التراجم ومـا حولهـا من قصـص وحكايـات مبهـرة، وأنت تعلم حقيقـة مـا أقـول، ولـو أنـك جلسـت مـع نفسـك جلسـة إنصاف، وراجعت تاريخك وتاريخ محاضراتك سـتجد أن مـا يقـرب من ثمانين في المائة قصص وحكايات التراجم.

.. وها أنت ذا لست مسـتقيمًا على طريقـة ؛ إذ أنـك مـرات تنفي أن يكون للأحكام علل وحِكَم، وتـأتي بالترهـات العظيمـات في إثبـات ذلـك.. ونجدك في وقت آخر – وهو يوم ظهرت أول مـرة في قنـــاة «النـاس» – تهرف، وتبرر تنازلك وظهـورك في شاشـات التلفـــاز، وتـبين أن الصـور ليست محرمة لذاتها، وإنما حُرمت لعـــلة التعظيم والمضاهاة.

إنكم تشبهون السحرة الـتي تأخـذ بأبصـار النـاس بحيلهـا وألاعيبهـا، وأنتم تأخــذون بأســماع النــاس بقصصــكم وحكايــاتكم، والــتي للأســف تجعلونها أهم أبواب الأدلة والاستدلالات ؛ لذا أبشركم أنه لا يستطيع أحد أن يصمد أمامكم حين المناظرة.. أتدرون لماذا؟ لأنه ذا رصــيد فقــير في القصص والحكايات، وإنما تقرير الأحكام الشرعية عنـده قـائم على أدلـة الكتاب والسُـنة بمقتضى القواعد الأصولية والفقهية.. وأنتم تعلمــون أن الناس لا يروقها مثل هذا النـوع في الكلام، إنمـا يروقهـا سـرد القصـص والحكايات.

وفي المقالة الثالثـة يشـير الأسـتاذ أبـو عمـر المحمـدي إلى مصـادر المتمسلفين

«إن ابتلاء الأمة بهؤلاء المتمسـلفين بـات ظـاهرًا وواضـحًا من خلال الفضائيات، والتي كشـفت كثـيرًا من جهـالاتهم المضـحكة والمبكيـة في الوقت نفسه.

والعجيب أنهم خالفوا هدي السلف رضـي اللـه تعـالى عنهم ؛ وذلـك واضح في ظاهرة الثرثرة التي ابتلوا بها الناس ليـل نهـار بحجـة الـدعوة إلى الله تعالى، بل إنهم قـد خـالفوا هـدي النـبي ﷺ نفسـه ؛ فقـد أخـرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي وائـل قال: كان عبداللـه – يعني ابن مسعود – يذكِّر الناس في كل خميس ؛ فقـال لـه رجـل: يـا أبـا عبدالرحمن ؛ لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أمـا إنـه يمنعـني من ذلـك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا».

إلا أن أدعيــاء الســلفية لهم رأي آخــر، وهــو: أن النــاس يمســون ويصبحون في جهـل وضـلال ؛ ولابـد من أن نأخـذ بأيـديهم لنخـرجهم من الظلمات إلى النـور.. ألسـتم أنتم الـذين تملئـون الدنيــا صـياحًا بوجـوب اتباع السُـنن واجتناب البدع؟! ألستم أنتم الذين تنادون بالعودة إلى خــير الهدى؟!

وبالجملة: فكما يقول الحافظ ابن رجب ــ رحمـه اللـه تعـالى ـــ في «فضل علم السـلف على الخلف»: «فمن عـرف قـدر السـلف: عـرف أن سكوتهم عما سـكتوا عنه، من ضـروب الكلام، وكثرة الجـدال والخصـــام، والزيـــادة في البيـــــان على مقـــدار الحاجة، لم يكن عيًّا، ولا جهلا، ولا قصورًا ؛ وإنما كان ورعًا وخشية لله، واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع».

يواصل الشيخ أبو عمر المحمدي نقده للمتمسلفين فيقول:

أما هؤلاء الأدعياء: فإنهم وقعوا فيما يحذرون الناس منه، والذي هــو اجتنـاب البدعـة.. أليسـت هـذه على مـيزانكم بدعـة.. إنكم تتنقلـون بين القنوات.. وهذا يُسلِّم ذاك.. وكأنهم أصيبوا بداء الثرثرة وكثرة الكلام، ويا ليته كـان كلامًـا منضـبطاً، ولكنـه واللـه كلام ينـبيء عن جهـل، وإن كـان الأتبــاع لهم مبهـورين بــه ؛ فلأنهم لا يملكـون من الأدوات مــا يحققــون ويفرقون به بين الكلام الهذر والكلام النافع.

وشغلوا النـاس بمـا يرفـع قـدرهم ومكـانتهم عنـد النـاس ؛ فـأدخلوا فروض الكفايات في فروض الأعيان ؛ فما ازداد الناس إلا تحيرًا وتخبطًــا واضطرابًا، وهذا سمعته من أناس كثيرين ؛ إذ يقول القائـل منهم: واللـه احنا اتحيرنا.. ويقول الآخـر: واللـه إحنـا مـا عـارفين الصـح فين والغلـط فين.. إلى غير ذلك من الأقوال.

ويؤكد في المقالة الرابعة أن هؤلاء المتمسلفين ليسوا علمــاء.. وإن كانوا دعاة كما يزعمون.. إنهم وعـاظ قصـاص، يحسـنون الحفـظ جيـدًا.. كما يحسنون فن الإلقاء لمحفوظاتهم جيدًا.

وإن أهـــل العلم الحقيقين ليتلــوى الواحـــد منهم ممـــا يســـمع من فتــاويهم على الهـــواء مباشــرة، فــإن فتــاويهم منبئــة عن حــالهم في التدين، كما أنها منبئة عن عظيم جهلهم.

فهذا أحدهم يسأل قائلاً: إن أبي يمنعـني من إعفـاء اللحيـة؟ فيأتيـه الجواب: لا طاعة لمخلوق في معصـية الخـالق.. وهـذا يسـأل عن مسـألة في يمين الطلاق؟ فيأتيه الجواب: امرأتك طالق.. وهـذه تسـأل عن حكم النقاب ولبسـه؟ فيأتيها الجـواب مائعًا.. وامرأة تسـأل محدثهم قائلة: إن زوجها يأمرها أن تخلع النقـاب، وإلا طلقها؟ فيجيبها بإيثــار الطلاق على خلع النقاب ؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إلى غير ذلك من البرامج المتضمنة لجهالاتهم.. فإنهم يتناولون المسائل بما اقتنعوا هم به، دون إن يوضحوا فيها أوجه الخلاف المتباينة، فيفرضون على الأمة مذاهبهم الأخيرة في المسألة.. وإذا حدثهم أحد بأن هذه المسألة من المسائل الخلافية، والذي يسعهم الخلاف فيها ؛ فلا داعي للتضييق والحرج والعنت.. تراهم يتكلمون في الخلاف وأصوله، فيأتون بالطامات العظيمات.

ولو أنك أمعنت النظر في ما يريدونه من الناس في الدين، لوجدت أن حقيقة الدين الذي يدعون الناس إليه لا يتجاوز: إعفاء الرجال لحاهم.. وارتداء النساء النقاب.. هذه هي حقيقة الدين عندهم.

أنهم خلطوا باب الوعظ والقصص والحكايات والافتراضات بالعلم؛ فوقعت الجناية أيضًا على قطاع عريض من الشباب ؛ فإن كثيرًا من الشباب يحبونهم ويعظمونهم، ومن ثَمَّ فإنهم مبهورون بما يتلقونه منهم، ولما كان هؤلاء الشباب لا عهد لهم بالعلم، ولا بصر لهم بطرق استخراج الأحكام، وليس معهم ما يفرقون به بين ما من أصله أن يكون علمًا، وما من أصله أن يكون وعظًا ؛ ظنوا أن هذا هو العلم بتمامه.

إن طريقتكم في التعلم والتعليم طريقة سقيمة ؛ مفادها: (اعتقد.. ثم استدل)، فإذا أراد أن يعمل أحدكم في مسألة ما، فإن ترتيبها لديه يكون هكذا:

(1) اعتقاد الحكم فيها مسبقاً.
(2) حشد الاستدلالات – وليس الأدلة – لما اعتقده من حكم فيها.
(3) حشد أقوال الأئمة الموافقة لاعتقاده في حكم المسألة.
(4) عدم اعتبار ما عدا ذلك، ومن ثَمَّ كتمه وعدم إظهاره.
(5) التلبيس على الناس بأن هذا هو القول الفصل، والحكم الشرعي في المسألة، ولا قول بعده.

والشيخ أبو عمر المحمدي كاتب هذه المقالات يعتب على الأزهر لأنه سكت على جهالة هؤلاء الأدعياء حتى ازداد إعجابهم بأنفسهم وظنوا أن ما هم فيه هو العلم فكثر ظهورهم وقويت شوكتهم وازداد الناس بهم انبهارًا.

وأكد أن هؤلاء الدعاة يدلسون ويشوهون الوقائع، ويستدل بذلك على تعريفهم للبدعة بأنها أي شيء لم يحدث في عهد رسول الله أو السلف، ويدعون الاستشهاد بالشاطبي الذي رفض تعبير بدعة حسنة، ولكنهم لم يذكروا إن الشاطبي ضيق نطاق البدعة بحيث أن غيرها لا يكون ذميمًا، كما تجاهل ما قاله الشافعي ــ وهو بالطبع أوثق من الشاطبي «المحدثات من الأمور ضربان: ما أحدث يخالف كتابًا أو سُنة

أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعة ضلالة، وما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة، قد قال عمر في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذ كانت فليس فيها رد لما مضى».

اتق الله تعالى يا حويني واسكت، ولا تغتر بكثرة الأتباع، وكثرة المتصلين بكم على الهواء مباشرة ؛ فأنت تعلم يقينًا أنهم لا عهد لهم بالعلم، ولا بصر لهم بطرق الاستدلال والاستنباط، وإنما هو فقط شدة الانبهار بلغة جديدة في الوعظ غلفها وجملها سرد القصص والحكايات.

ويتحدث الشيخ أبو عمر المحمدي في المقالة الخامسة عن حقيقة الثلاثي المشهور حسان، ويعقوب، والحويني- قد ابتُلي ببلية عظيمة، ألا وهي: تشبعه بما لم يُعط، ثم أكد هذا التشبع: كثرة المصفقين له بطريق المدح والثناء من قِبَلِ أناس ليس لهم بصر بالعلم، ولا معرفة لهم بطرق الاستخراج والاستنباط ؛ اللهم إلا الانبهار بطريقتهم التي لا يقف على حقيقتها إلا العلماء المحققون.

إن هذا الثلاثي المخدوع ظن في نفسه أنهم حُرَّاس الحق، وأنهم يتناوبون حراسته فيما بينهم، وحتى يتربعوا على عرش الوهم هذا ؛ رموا مخالفيهم بقلة العلم، وعدم الفهم، وأن صناعتهم - أي المخالفين - هي الوعظ والتذكير فحسب، ولا أرى ههنا إلا انطباق هذا المثل على هذا الثلاثي، وهو: (رمتني بدائها وانسلت).

إن هذا الثلاثي المخدوع تجمع بينهم على المستوى الديني صفات مشتركة ؛ لابد وأن نوفيهم حقهم فيها، وهي: شدة تدينهم.. وقوة عاطفتهم الدينية.. وعلو التزامهم بما يحبون الالتزام به.. بل وصدقهم.. وأمانتهم.. وورعهم.. وسمتهم الظاهر بالسنن.

وأما على المستوى العلمي: فهاك حقيقة كل واحد منهم، كلٌّ على حدة.

أما فضيلة الشيخ محمد حسان: فهو إعلامي بارع، تجلت براعته هذه في عدة أمور ظاهرة، ومنها:

(1) قوة الحفظ التي أوتيها موهبة من عند الله تعالى ؛ فوظفها أحسن توظيف في طرح ما يناسب حاله من حُسن تدين على الناس، غير مراعٍ الفوارق المختلفة في الأحكام الشرعية المختلفة، وكذلك غير مراعٍ ما يناسب حال الناس من رخصة وعزيمة.

(2) براعته العالية جدًّا في فن الإلقـاء ؛ فإنَّا نحسـب أنـه (أمـير فن الإلقاء) في زماننا هـذا ؛ فهـو لا يُضـاهى ولا يُبـارى في لباقتـه وإلقائه، بل غير مدافعٍ ولا منازعٍ في ذلك.

(3) غزارة محفوظاته التي لا تنفك مطلقًا عن الأمـرين السـابقين؛ فلابد لمن هذه حاله من النظر في كل ما يقع تحت يده، ومن ثَمَّ الاجتهاد والجِدّ الحثيث في حفظه (لدرجة الابتلاع).

(4) انتقاء ما يناسب منهجه وطريقته التي اخترعها اختراعًا ونسبها للسلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.

ثم هو أخذ يحفظ جملة وافرة مما سطره علمـاء السـلف من قواعـد أصولية، وقواعد فقهية، وقواعـد حديثيـة، وقواعـد لغويـة، ولسـان حالـه يقول: أرأيتم، إني أضرب في كل فن من فنون العلم بسـهم ؛ ثم أعطى لنفسه الحـق في أن يتصـدَّر للإفتـاء، وظن في نفسـه أنـه عـالم علامـة، وحبرٌ فهامة.. ثم تراه يكذب ويقول: (أنـا لم أدَّعِ أني من العلمـاء ولا من أهل العلم)، فإن كنت صادقاً فلماذا تفعل نقيض ما تقــول ؛ فهلا سـكت لئـلا يكن ذلك حجـة عليك عند الله تعالى.

يا فضيلة الشـيخ حسـان: أنت واعظ مؤثر، كما أنـك متحـدث مفــوه، وخطيب بليغ، وأديب فصيح، ومذكِّر مؤد، ووالله ليس هذا من باب السـب أو إثبات النقيصة ؛ وإنما هو من باب إيقافك على الحقيقـة ؛ وإلا فاقعـد مـع نفسـك قعـدة إنصـاف، ثم انظـر في بضـاعتك، فإنهـا لا تعـدو هـؤلاء الأمور: الحفظ.. الإلقاء.. الغزارة.

يتكلم ببراعة فائقـة في تبـيين: فقـه الـدليل، ومناطاتـه، والوقـوف على علومــه من حيث الخــاص والعــام، والمطلــق والمقيــد، والناســخ والمنسوخ، والمتقدم والمتأخر.. وأشياء يوهم بها أنه على دراية بها، وما هو كذاك ؛ إذ عند التطبيق والتحقيق ليس له قوة على ذلك ؛ فدون ذلــك خرط القتاد بالليل.

وتحدث الشيخ أبو عمر المحمدي عن أول الثالوث وهو الشيخ حسان، ثم انتقل إلى ثانيهما وهو الشيخ محمد حسين يعقوب فقال:

إنه داعية البسطاء المتخبط ؛ أمَّا لماذا هو متخبط؟ فلطرحه بين يدي العامة والبسطاء جُـمَـلا وألفاظ معقدة في التناول والفهم، فيُلـزم هـذه الأمــة المسـكينة الأخــذ بهــا.. ومــا برنــامج (أصــول الوصــول) و(كيــف وأخواتها) وترهاته في (فضفضة) بخافية عن أحد.

ودائمًا ما يردد: (احمدوا اللـه تعـالى أننـا بينكم ؛ فإنـا منقـذوكم من الضلال، ومخرجوكم من الظلمات)، أو ما في معناه.

إنه جذاب للناس بصياحه.. بل قل بصراخه.. وضرب أكفه بعضها ببعض بطريقة عنيفة متشنجة.. وتهويله للأمور.

وتعجب أشد العجب ؛ لما تراه يقول لصاحب له، وهو رئيس قناة الناس، مقولة لا يملُّ منها، وهي: (خليك على المنهج)، أي: آمرًا إياه أن لا يبرح المنهج.. ونتساءل: أي منهج هذا الذي يدعوه إليه ويحذره من تركه؟! إنه – أي القائل – لا يعي هذه المقولة ؛ إذ هل يشك في أن صاحبه قد تنزلق قدميه إلى منهج غير منهج جماعة المسلمين أهل السُنة والجماعة، إلى منهج فرقة ممن حذر منها النبي ﷺ من الفرق الضالة؟ لا ؛ فإن هذا بعيد تمامًا عن ذهنه.. ولكن المنهج الذي يقصده متمثل في السمت والهدي الظاهر الذي يظهر به المتمسلفون.. وهو أيضًا: أن لا يتركهم ويميلون إلى جماعة الإخوان – وهو يعلم هذا تمامًا – هذا هو المنهج الذي يظنه منهجًا.

وأمَّا فضيلة الشيخ الحويني:

فلا أدري: أمحدث هو.. أم فقيه.. أم أصولي.. أم لغوي؟!

ولكن على سبيل الإجمال فإن حاله هذه تشبه حال ثابت بن أسلم البناني.. قال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل عن ثابت وقتادة؟ فقال: ثابت تثبت في الحديث، وكان يقص، وقتادة كان يقص، وكان أذكر، وكان محدثًا، من الثقات المأمونين، صحيح الحديث.

فصاحبنا الحويني: محدث قاص، داعية إلى التدين والالتزام، وله حدة وشدة في التكفير، وهذا ما يعرفه عنه بعض إخوانه.. وله في الفقه والأصول عجائب وأعاجيب.

يتقن باب القصص والتراجم أيما إتقان ؛ كيف لا، وهو رائد قراء «سير أعلام النبلاء»، فإنه يفخر بجرده لسير الذهبي فوق المرات الثلاث والأربع.

يردد بين أتباعه وتلامذته: بأهمية الوقوف على علمي الحديث وأصول الفقه، وتراه يوهم بأنه من أهلهما.. والحق يُقال: أما الحديث فإنه صنعتك، وميدانك ؛ فلا تبرحه.. وأما أصول الفقه فأي عمل لك فيه سوى حفظ اليسير من قواعده، والكثير من مفرداته.. وترديدها بين الغريين من أتباعك؟!

هذا الثلاثي المخدوع بذي وجهين ؛ إذ الوجه الذي يظهرون به على فضائياتهم، غير الوجه خارج الفضائيات.. ففي شاشات الفضائيات تراهم أصحاب حديث مؤدب، لا يتعرضون لأحد بسب أو تنقيص، وبعيدًا عن الفضائيات يطلقون ألسنتهم بالسب والتنقيص؛ غير أنهم يخفون

ذلك السب والشتم والتنقيص وراء ألفاظ الفصحى المنمقة ؛ ودليل ذلك – وهم يعلمون ذلك جيدًا – فليسألهم سائل عن رأيهم في شيخ الأزهر، ومفتي الجمهورية، مرة داخل الفضائيات، وأخرى خارجها، وليسمع جوابهم.

حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

ويختم الكاتب مقالاته بالمقالة السادسة وهو يعترف ابتداء أن هذه المقالة الأخيرة سيئة الأدب «ولكن عذره في ذلك: أنهم هم أول من سنَّ هذه السُنة السيئة في مصر بلدنا ؛ فإنهم أكثر الجماعات الإسلامية منذ ظهورهم في مصر وهذه طريقتهم، سوء الأدب مع المخالف، بل وإنهم قد ربوا أتباعهم على هذا ؛ فترى الملتزم: سيء الأدب مع والديه، ومع أقاربه، وجيرانه ومدرسيه ورؤساه، بل تطاولوا وأساءوا الأدب مع علماء الأمة المتمثلين في الأزهر الشريف، وأخذوا يسقطون الأزهر وعلماءه من أعين الناس ؛ وحجتهم في ذلك: أنهم علماء السلطة، فاغتر الناس بكلامهم وانفضوا من حول العلماء، ولم يثقوا في كلامهم، بل وأخذوا يرددون معهم هذه المقولات ؛ بل إن العلماء أنفسهم صدقوا هذا، وكتموا أحزانهم في أنفسهم.

ولكنه قبل أن يبدأ الكلمات التي وصفها بأنها سيئة الأدب يشير إلى تعبير (ماذا قدمت لدين الله)، فيقول «وفي هذا مفارقة عجيبة جدًّا ؛ ما هذا الذي تسأله الناس، وهل أنت، وليس الناس تطيق مثل هذا السؤال ؛ بل الصحيح أن يُقال: ماذا استفدت أنت من دين الله تعالى يا مدعي السلفية؟ إنك تعلم تمامًا حجم المكاسب التي حصلتها بدين الله تعالى، مبانٍ شاهقة، وأموال طائلة، وترف حياة.. وكأني بك تقول: وهل هذا محرم (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)، أقول: فأنت تعلم – إن كنت تعلم – أن سياق الآية وتفسيرها ليس مناسبًا لما نقول.. ولكن سأجاريك.. وأجيبك: إن ما يشوب غناكم ليس الغنى ذاته، وإنما إدعاؤكم التسنن بهدي السلف وطريقتهم، فأين هدي السلف وطريقتهم من حياتكم؟ بل أين هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطريقته من حياتكم؟! والعجيب أنكم بارعون جدًّا في وصف عيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزهده، وكيف أثَّرَ الحصير في جنبه، وكيف كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخر درهمًا ولا درهمين في بيته إلا وتصدق به.

فلا أدري كيف أخذتك الجرأة وسألت مثل هذا السؤال؟ بل أنت الأحق بهذا السؤال: ماذا قدمت لدين الله تعالى؟

والله ما قدمت إلا الثرثرة التي جنيت أنت من وراءها أعظم المكاسب، المكاسب المادية المتمثلة في ما ذكرته آنفًا.. والمكاسب المعنوية المتمثلة في شهرتك ونجوميتك.

لـذا ؛ فأجـدني أعقـد مقارنـة بينكم وبين أشـباهكم من نجـوم الفن، فـإن كـانوا هم نجومًـا في الفن.. فـأنتم نجـوم أيضًـا في الـدعوة، وأنتم كثيرًا ما تتندرون بهذا ؛ ففي برنـامج من الـبرامج تـرى الحويـني يـداعب يعقوب مازحًـا ويقـول لـه: أنت نجم الليلـة.. فـيرد عليـه يعقـوب ضـاحكًا ويقول: بل أنت النجم.

وفي الحقيقـة: أنتم كلـكم نجـوم، من أصغر امرئ فيكم إلى أكــبره؛ فالفضل لشاشة التلفاز التي أظهرت نجوميتكم للناس.

ينطلق المؤلف ــ الأستاذ أبو عمر ــ في تشـبيه كـل واحـد من قـادة السلفية بنجم من نجوم السينما، ثم لم يقف عنـد هـذا، بـل يردفهـا بمـا شاء من الأوصاف الساخرة، الأمر الذي جعلنا نصرف النظر عنه.

* * *

من هذا كله يتضح أن الأستاذ أبـو عمـر المحمـدي لا ينتقـد السـلفية الحقـة ولا يعـادي من السـلف أحـدًا، ولكنـه ينقـد زمـرة «المتمسـلفين» الذين استولوا على قنوات تليفزيونية وخدعوا عشرات الألوف من الناس لمجرد حفظهم الأقاصـيص والرقـاق ولهـيئتهم (وأهمهـا بـالطبع اللحيـة الطويلـة أو العريضـة)، وأنهم في الحقيقـة ليسـوا إلا الطبعـة الحديثـة للقصاصين القدامى.

السلفية ودعوة الإحياء الإسلامي

كانت الهيئة الوحيدة التي أعلنت مرارًا وتكرارًا «لا تقدم إلا بتجاوز السلفية» باعتبار أن السلفية هي العقبة الكؤود أمام التقدم هي دعوة الإحياء الإسلامي، فقد تعرضنا للسلفية في كتابنا «رسالة إلى الدعوات الإسلامية» في فصل مسهب، رأينا أن نقتبسه هنا إكمالاً للموضوع.

السلفية منهج وطريقة بقدر ما هي مزاج ونفسية، وهي تمثل تطور الفكر الإسلامي خلال مرحلتين:

الأولى: مرحلة الازدهار الإسلامي الأولى خلال القرون الأربعة التي تلت الهجرة وشهدت وضع الأساس المعرفي في الحديث والتفسير والفقه، ورموز هذه المرحلة الأئمة الأربعة، ومن هم في طبقتهم.

والثانية: مرحلة الازدهار الإسلامي الثانية خلال القرنين السابع والثامن التي تلت عهد التخلف والتقهقر واحتدام الصراعات المذهبية وظهور الطرق الصوفية بانحرافاتها ودعاويها، وحاولت أن تعيد الاعتقاد إلى ما كان عليه في المرحلة الأولى ورموزها بالدرجة الأولى ابن تيمية وابن القيم، فأئمة المذاهب الأربعة «سلف» بالنسبة لابن تيمية، وابن تيمية سلف بالنسبة لمحمد بن الوهاب الذي يعد في بعض المراجع رأس السلفية الراهنة.

وكان للسلفية دور تاريخي خاصة في مرحلتها الثانية التي أصلحت فيها من فساد وتدهور الفكر الإسلامي، ولكنها بعد أن كانت قوة تأسيس أولاً وعامل إصلاح ثانيًا، فإنها أصبحت بالنسبة للعصر الحديث عاملاً من عوامل الحفاظ وحائلاً دون الإبداع أو التكيف مع المتطلبات الجديدة والأوضاع التي استحدثها العصر.

وفي حقيقة الحال فإن التراث الضخم الذي خلفه العلماء المسلمون خلال هذه الفترة كان هو ما لا يمكن لأي مفكر أن يتعداه، لأنه يمثل جهود آلاف العلماء النابهين المجددين الذين أرادوا القربى إلى الله بعلمهم وعملهم من كل العالم الإسلامي، من سيبيريا «جنة المحدثين» التي خرجت البخاري ومسلم والترمذي والنيسابوري والسجستاني والمروزي والطبري، والأندلس التي خرجت ابن رشد وابن حزم والقرطبي حتى العراق ومدنها الثلاث التي كانت كل مدينة منها كأنها دولة: البصرة والكوفة وبغداد ممن لا يمكن حصرهم، ومصر التي آوى

إليها الشافعي وأنجبت الليث بن سعد، ومكة والمدينة مهبط الوحي ومثوى الرسول ﷺ ومقر الصحابة، إلى اليمن وعلمائها الأفذاذ المجددين.

ونحن لا ننكر هذا بل نعترف ونفخر به، ونشعر نحو هؤلاء الأسلاف العظام بالتقدير والتوقير والاحترام والإعزاز، ولكن وجهة النظر التي سيدور عليها نقد السلفية في هذا الفصل هي أن فكر هؤلاء الأسلاف أصبح تراثاً ضخمًا، وتم فرضه على المفكرين، واعتبر أنه هو التفسير الرسمي الوحيد – إذا جاز التعبير – للإسلام وأن أي مخالفة له تعد مخالفة للإسلام أو خروجًا على الجماعة مع أن هؤلاء الأسلاف لم يدَّعوا لأنفسهم هذا، بل دعوا الأجيال التالية لكي لا يقلدوهم، ولكن السلفية غير الأسلاف، وقد قَوَّلَت السلفية الأسلاف ما لم يقولوا، بل ذهبت نقيض ما أرادوا فالشافعي يقول: «اضربوا بقولي عرض الحائط وخذوا بالحديث الصحيح»، ولكن الكرخي يقول: «كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تُحمل على النسخ أو على الترجيح، والأولى أن تُحمل على التأويل من جهة التوفيق»، والعمل هو بما قاله الكرخي وليس ما قاله الشافعي، ولو شاهد السلف ما أحيطت به قبورهم من زخرف وزينة وما يعلوها من قباب لتبرأوا منها ولكنهم لا يملكون هذا وتبقى قبورهم شاهدة على مخالفة السلفية الجديدة للسلفية القديمة، ويقال مثل هذا عن المتون التي وضعها بعض الأسلاف فجاء الأتباع وأتباع الأتباع وأضافوا إليها تلالاً من الحواشي والشروح بحجة إيضاحها، والله يعلم أنها تشوِّش الفهم وتدخل على المتون ما لم يدر بخلد أصحابها، وقد تضطر السلفية لاجتهاد يخالف صريح الحديث النبوي، فالرسول ﷺ يعطي لكل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صفة المسلم الذي يعصم ماله ودمه ولو قالها متعوذاً، في حين أن السلفيين جميعًا يحكمون بالكفر على من «يجحد معلومًا من الدين بالضرورة»، ولابن تيمية في هذا باعٌ طويل ربما حكمت عليه به ظروف الفترة التي عاشها، ومن ثم صدرت مثل هذه الفتاوي «من استحل النظر فقد كفر بالإجماع»[1]، «من دعا ميتًا، ولو كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر»[2]، «ومن اعتقد فيمن لا يفعل الفرائض ولا النوافل أنه من أولياء الله المتقين، إما لعدم عقله أو جهله أو غير ذلك فمن اعتقد في مثل هؤلاء أنه من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين فهو كافر مرتد عن دين رب العالمين، وإذا قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله كان من الكاذبين»[3]، وهناك المئات من أمثال

---

1) منار السبيل في شرح الدليل على مذاهب أحمد 2/ 142.

2) استشهد بها الشوكاني في الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ونسبها إلى الإقناع، ص 46.

3) ابن تيمية الفتاوى الكبرى، المجلد 2، ص 221.

هـذه الفتـاوي لابن تيميـة وغـيره تجعـل المسـلم كـافرًا «حلال الـدم» تُـطـَـلـَّق امـرأته ويحل مالـه ولا يدفـــن في مقابـر المسلمين.. إلخ.

وقد يقول قائـل حسـناً، فلنـدع السـلفية ولنأخـذ بالأسـلاف وهـذا لا يستقيم أيضًا لأننا نرفض المبدأ، وإن لم نعترض على الأسلاف فالأسلاف يصبحون سلفية في مرحلة تاليـة، وهم متقـدمون على من يـأتي بعـدهم متـأخرون عمن قبلهم، فلابـد أنهم – مـا دامـوا سـلفاً – متـأخرون عمن قبلهم – فلماذا نأخذ بالتخلف ولا نأخذ بالتقـدم بالأصـل الـذي ليس قبلـه متقدم؟ أن السـلفية يمكن أن تكـون نقيصـة وليس مفخـرة لأنهـا شـراء الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولأن الأصل الذي بنى عليه القـرآن الكـريم هذه القاعدة هو أن الأسـلاف ليسـوا معصـومين والمعصـوم هـو القـرآن والرسول فيما هو مبلغ عن ربـه، ومن هنـا لا يخلـو اتـّــباع الأسـلاف من خطأ وقصور والاتباع الوحيد الذي يسلم من ذلك هو اتباع القرآن الكريم.

وقد أصبحت السلفية اليوم كالجبل الشامخ، تقف العيون في السفح محملقـة فيـه، لا مطمـع لهـا أيضًـا من أن تتسـلقه وتبلـغ قمتـه، وكـان أصحابه يعايشونه أمـا الـذين جـاءوا من بعـدهم فمـا كـان يمكن لأحـد أن يتجاهله أو يجاوزه، فكيف يمكن أن نفهم القرآن دون تفسير المفسرين من ابن عباس حتى الطبري والقرطـبي وابن كثـير، وكيـف يمكن النظـر في الحــديث دون معــايير يحــيي بن معين وأحمــد بن حنبــل حــتى ابن الصلاح، وكي نبدع فقهًـا بعـد أبي حنيفـة ومالـك والشـافعي دون الأخـذ بجهود هؤلاء، وهناك حقيقة فرضـت نفسـها على الفكـر الإسـلامي تلـك هي إغلاق باب الاجتهاد الذي أدى إليه تطور الأحداث وغزارة هـذا الفكـر إلى درجـــة هـــددت وحدتـــه وإتســـاقه وســـمحت بظهـــور التناقضـــات والاختلافات مما لا يمكن لأي قانون (والفقه هو أوسع صور القانون) أن يحتمله، وقد بدا لكل العلماء بعد أن بلغ الفكر هذه الدرجـة من الخصـوبة والإنتاج أن ليس في الإمكان أبدع مما كان فأغلقوا باب الاجتهاد.

وقد قيل لنا مرارًا وتكرارًا أن هؤلاء السـلف – السـلف الصـالح – من الأئمـة الأعلام قـد وصـلوا من التجـرد والـورع ومن العلم والتمكن مـا لا يمكن لأحد من المعاصرين أن يبلغه، وهناك دائمًا سؤال يُشـْـهَرُ كالسيف على المعارضين هل أنت أفقـه من أبي حنيفـة؟ هـل أنت أعلم بالحـديث من أحمد بن حنبل؟ ونحن لا يخالجنـا شـك في تجـرد وورع وتمكن هـؤلاء الأسلاف، ولكن هذا لا يعني أبدًا أنهم معصومون، أو أنهم وصـلوا إلى مـا لا يمكن لأحد أن يصل إليه أو أنهم اسـتوعبوا المعرفـة فلم يـتركوا شـيئًا لمن يـأتي بعـدهم، إن المعرفـة كـالبحر ولا يمكن لأي بحَّار ولا لمجموعـة من البحارين الادعاء باستيعاب البحر وضمه بين أيديهم، وقد وضع العصر الحـديث في أيـدي الخلـف مـا لم يضـعه في أيـدي السـلف من مطبعـة وفهرسة وتصنيف وكمبيوتر يمكن بها لهم أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه

أسلافهم، فضلاً عن الإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية، وفضلاً عن الكمبيوتر والإنترنت مما لم يكن الأسلاف ليحلموا به.

* * *

وكان من الصعوبات التي حالت دون مجاوزة السلفية، أنه لا يمكن تجاوزها إلا بعد إحكامها ويغلب على من أحكمها أن لا يفلت من إسارها أو لا يجد الوقت للبدء من جديد، وكان هذا مأزق الشيخ محمد عبده، وعندما كان ينقد مناهج الأزهر ذكره أحد سامعيه بأنه أزهري فلمس هذا جرحًا غائرًا، واعترف بأنه أمضى عشرين عامًا لينظف فكره من «وساخات الأزهر».

لم يكن بوسع أحد أن يتجاهل السلفية وتراثها الضخم، وفي الوقت نفسه لم يكن الرد على السلفية ممكنًا بالسلفية نفسها، كانت السلفية أشبه بقصر ضخم له قيمة أثرية كبرى ولكن لا يمكن استخدامه للسُّكنَى، فلا يمكن هدمه لقيمته الأثرية، ولا يمكن استخدامه عمليًا، وفي الوقت نفسه فإنه يشغل المكان الوحيد لدينا.

وفي بعض الحالات يكون لدينا الشجاعة لأن نقول «الحي أبقى من الميت»، ولكننا في هذه الحالة نقول الموتى أبقى، ونفرضهم على الأحياء.

ولم يتبين السلفيون أنهم في تمسكهم بالسلفية، حفاظاً على الإسلام كما ظنوا ـــ وردًا للغارات عليه ـــ أنهم يخالفون في الحقيقية توجيهات الإسلام، وأنه مما لا يستقيم أن نحمي الإسلام بما نهى عنه الإسلام، لم يتبينوا هذا لتأصل فكرة قداسة الأسلاف والإيمان بأن علمهم وصلاحهم يفوق علمنا وصلاحنا، ولأن القضية أخذت طابع المصلحة المكتسبة والوضع القائم بالفعل فأين تذهب تلك المؤسسات الإسلامية الكبرى من جامعات ومعاهد وحوزات تدرس الفقه والتفسير والحديث على الأصول السلفية هل تغلق أبوابها ويشرد علماؤها وتطوي مراجعها.

وأهم من هذا كله.. حتى لو استطعنا هذا فبماذا نأخذ.. وما هو البديل للسلفية.

هذا شيء لم توضع خطوطه.. أو ترسي أسسه.

وهكذا لم يعد هناك معدى من السلفية ومن التأثر بخصائصها.. ووقعت الدعوات الإسلامية كلها في إسار السلفية والخلاف هو في الدرجة وليس في النوع فالإخوان في حقبة البَنـَّا كانت أيضًا من أبرز صور السلفية مرونة واتساعًا، بينما كانت الوهابية ولا تزال أشدها ضيقًا وتزمتاً.

والحقيقة أن السلفية وصلت من القوة والتغلغل بحيث أنه:

(أ) من غير المنتظر أن يظهر من رجالها من يستطيع التحرر من إسارها أو مجاوزة إطارها، ولو جاز هذا لأحد لجاز للشيخ محمد عبده، ولا يمكن لأكثر خريجي الأزهر استنارة مجاوزة درجة معينة داخل الإطار السلفي.

(ب) أن نفوذها والإيمان بها لم يعد مقصورًا على المؤسسة الدينية وأعضاء الدعوات الإسلامية الذين هم جمهورها أو قياداتها وسدنتها، ولكنه وصل إلى معظم فئات المجتمع (بما في ذلك الفنانين والفنانات) بحيث لم يعد أمامهم خيار سوى التسليم بها، أو إبعاد الإسلام من الحياة العامة، وقصره على الحياة الخاصة أي العلاقة بين الإنسان والله، وإذا كان هناك عذر للذين يقعون في هذا الخطأ الفاحش فهو أنهم لم يروا بديلاً عن السلفية، ولعلهم لو رأوا هذا البديل لصححوا خطأهم، وهذه الظاهرة توضح لنا ضرورة وأهمية معالجة تلك القضية وخطأ تجاهلها.

* * *

وكما قلنا في مستهل الفصل، فإن السلفية منهج وطريقة قدر ما هي مزاج ونفسية، وقد نقلت هذا كله إلى الدعوات الإسلامية: المنهج والطريقة والمزاج والنفسية بالتفصيل التالي:

قدمت السلفية للدعوات الإسلامية المضمون الإسلامي أو التصور الإسلامي المقرر والذي اعتبر أنه هو الذي يبرأ من النحل والأهواء والتخبط، وأنه ما عليه «الجماعة» سواء كان هذا المضمون في الفقه والأصول التي يقوم عليها من قرآن وسُنة وإجماع وقياس أو تفسير يقوم على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وعلوم اللغة أو حديث يعتمد على معايير للرجال وجرح وتعديل ودرجات الأحاديث التي تعد أصلاً في الفقه.. إلخ.

ولم تلحظ السلفية أن مضمونها هذا تأثر بالزمان والمكان تأثرًا يمس موضوعية وصلاحية المضمون فهي مثلاً في المجال السياسي تؤثر الطاعة على الفتنة، بينما هي في المجال الاقتصادي تفضل الحرية على التدخل أما في قضية المرأة فقد سلطت مبدأ سدّ الذريعة ليشل الحريات والحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة سدًا للذريعة، ولعل السلفية لم تستهدف صراحة وقصدًا ممالأة السلاطين والتجار وأنها عندما وقفت في صف هؤلاء، وليست في صف المحكومين والمستهلكين والنساء، إنما كانت تعبر عن روح عصرها، ولا يخالجنا شك أن قاسم أمين ــ رحمه الله ــ كان أقرب إلى روح الإسلام.. ولكن ما نادى به كان بعيدًا كل البعد عن السلفية، وكان هذا مبرر الثورة عليه.

وقد أصبح المضمون السلفي هو المضمون المقرر ولم يعد جائزًا لأحد أن يقول إن الطريق التي انتهجتها السلفية، والنتائج التي انتهت إليها بحكم إعمالها لهذه الطريقة ليست بالضرورة أفضل الطرق أو أفضل النتائج، وأن قصارى ما يمكن أن يحمد لها أنها كانت أفضل طريقة وأفضل نتيجة في مكانها وزمانها وبحكم ملابساتها، وأنه عندما ينتهي هذا الوقت وهذا المكان وهذه الملابسات فليس هناك ما يبرر الأخذ بها أو الادعاء بأفضليتها، هذا غير جائز ولا يسمح به.

الأخذ بالسلفية يعني الاعتماد على النقل في التعرف على الحقائق والأحكام، فإذا عرفنا بالضبط ما وضعه السلف الصالح فليس علينا إلا الأخذ به، وفي هذه العملية لا يكون هناك حاجة لإعمال الذهن أو استخدام العقل وشيئًا فشيئًا يصدأ هذا العقل، ويصبح النقل هو الوسيلة المستخدمة ومن سوء الحظ أن قدرًا كبيرًا من الخزعبلات والخرافات والإسرائيليات اقتحمت الفكر الإسلامي في وقت مبكر للغاية وتقبلها الأئمة وأثبتوها في كتب التفسير والحديث والفقه، وأصبحت جزءً من التراث السلفي ولم يعد من الممكن التمييز ما بينها وما بين الحقيقة لأنها دخلت في المضمون السلفي فتعين الأخذ بها، ولأنه من غير المسموح إعمال العقل – إذا كان قد بقيَ منه بقية – في التمييز والغربلة واستبعاد هذه الخرافات.

ولنضرب المثل بواقعة معينة تمثل تمام التمثيل عمق فكرة النقل عند السلفيين ففي اليوم الثاني من رمضان عام 1985م نشرت الأهرام (ص 12) لمفتي جمهورية مصر الشيخ عبد اللطيف حمزة وهو بقية السلفيين المعروفين كلمة تحت عنوان مفسدات الصوم نصها.

ما هي مفسدات الصوم؟

قال الشيخ «يفسد الصوم بالجماع في أحد السبيلين على الفاعل والمفعول به والأكل والشرب سواء فيه ما يتغذى به أو يتداوى به، وابتلاع مطر داخل فمه وأكل اللحم النيئ إلا إذا دوَّد، وأكل الشحم وقديد اللحم بالاتفاق وأكل الحنطة وقضمها، إلا أن يمضغ قمحة فتلاشت، وابتلاع سمسمة أو نحوها من خارج فمه في المختار، وأكل الطين الأرمني مطلقًا والطين غير الأرمني كالأرمني إن اعتاد أكله، وقيل الملح في المختار، وابتلاع بزاق زوجته أو صديقه لا غيرهما، إذا فعل الصائم شيئًا من ذلك طائعًا متعمدًا غير مضطر لزمه القضاء والكفارة، وكذا أكل الصائم عمدًا بعد غيبة أو حجامة أو مس قبله بشهوة أو بعد مضاجعة من غير إنزال أو دهن شاربه ثم أكل متعمدًا أو طاوعت مُكْرِهًا على وطئها، لأن سبب الكفارة جناية إفساد الصوم لا نفس الوقاع، وقد

تحققت من جانبها بالتمكن من الفعل كما لو علمت بطلوع الفجر فمكنت زوجها وهو غير عالم به، ومن مفسدات الصوم أيضًا إذا أكل الصائم أرزًا نيئًا أو عجينًا أو دقيقًا بدون سكر أو ملحًا كثيرًا دفعه أو طيناً غير أرمني لم يعتد أكله أو نواة أو قطناً أو سَفَرْجَلاً لم يُطبخ أو ابتلع حصاة أو حديدًا أو ترابًا».. انتهى.

وأثارت هذه الكلمة ثائرة الكتاب، فانتقدها بقسوة ومرارة الأستاذ جمال بدوي في «الوفد» وعقَّب عليها الأستاذ أحمد بها الدين (2/6/1985م) بما هو أشد وأنكى وندَّد بما تكاد تصرح به من فحش وشذوذ مما لم نشأ أن نورده رحمة بالشيخ.

وكان للشيخ منأى عن هذا ولكنها العقلية النقلية التي جعلته ينقل من الحواشي والشروح وإنما فعل هذا لأنه – رحمه الله – كان رمز السلفية والبقية وقتئذ من شيوخها في مصر.

ولكن هنا مفارقة عجيبة تثير الذهول وتجعل الشيخ متقدمًا على كل شيوخ العصر الحديث – ذلك أن الفتوى لم تذكر أن التدخين يفسد الصيام، وما كان يمكن أن يفعله، وقد ذكر ما لا يتصور – فكان بهذا أكثر تقدمية من الشيوخ الذين نددوا به، ولكن يذهبون إلى أن التدخين يفسد الصيام بناء على التقاليد وحدها التي أوحت بذلك.

وتنسحب جريرة هذا المنهج النقلي على كافة مجالات الحياة، وعندما يتعطل العقل فلابد أن تسود الخرافة، ولابد للإنسان الذي لا يملك هذا العقل أو أن هذا العقل أصابه الصدأ والتآكل أن ينزل إلى مستوى الأنعام، لأن ما يميزه عنها هو العقل، ويصبح لدينا ملايين المواطنين الذين لا يعرفون الخطأ من الصواب ولا يميزون ما بين الحق والباطل، ولا يفرقون بين الخير والشر.. وكلما تحل بهم مشكلة يهرعون إلى كتبهم دون أن يطرأ لهم التفكير في المشكلة وإعمال عقولهم لحلها، فإذا لم يجدوا فيها حلاً احتاروا وتاهوا و«تورعوا» عن تقديم الحل أو قدموه وهم يتعوذون من الشيطان الرجيم أو لجأوا إلى الفقيه الذي سيرد عليهم بما لديه من سقط المتاع.

من أعمق آثار السلفية على الدعوات الإسلامية أنها نقلتها من «الموضوعية» التي هي طابع الإسلام إلى «الذاتية» التي هي في أصل الوثنية... ولم ينسب القرآن الكريم المسلمين إلى نبيهم فيقول «المحمديين» رغم أن هذه النسبة تزيدنا تشريفًا، لأن الرسول ﷺ بالنسبة لله تعالى – ليس إلا مبلِّغ يبلغ ما يوحي إليه – ولا يأتي بشيء من نفسه وليس له من الأمر شيء فالمنهج القرآني يركز على الموضوع، والموضوع هو الإسلام وليس على الشخص حتى لو كان النبي ﷺ.. وواضح بالطبع أن السلفية نقيض ذلك لأن النسبة فيها إلى السلف، وعندما

يطبق هذا لا تصبح الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنَّى وجدها، ولكن الانتماء إلى الأسلاف وأقل ما يقال في هذا أنه حجر على الحقيقة، أما الخطر الأكبر فهو إحلال الذاتية محل الموضوعية كمنهج لأن هذا يخالف مخالفة جذرية لمنهج الإسلام إذ هو يسمح بعودة الوثنية والشرك بالله والتمحور حول أشخاص، ولم يكن عبثًاً، في هذا المجال بالذات، حملة القرآن الشعواء على الذين قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.

ونعتقد أن هذا الأثر لم يعط ما يستحقه من الأهمية، وأنه من أكبر أسباب انحراف بعض الدعوات الإسلامية والمجتمعات الإسلامية بصفة عامة.

من أبرز قسمات «السلفية» التركيز على العبادة وهذا يعود إلى سبب تاريخي، وليس إلى سبب موضوعي، وقد لا يتسع المجال لشرحه هنا – خاصة وأننا عالجناه بالتفصيل في كتاب «نحو فقه جديد» – وما يمكن أن يقال هنا هو أن العبادة هي الوسيلة التي تنفرد بها الأديان لتهذيب النفس وللقربى إلى الله، ومن هنا فإن لها أهمية وخصوصية لا تنكر ويمكن القول أن دينًا لا عبادة فيه لا يمكن أن يكون دينًا وإنما يكون مذهبًا فلسفيًا ومن هنا وجدت في الأديان كلها صنوف مختلفة للعبادة.

وجاء الإسلام أيضًا بعباداته، ولكن عبقرية الإسلام أنه لم يقتصر – كبعض الأديان – على هذا الجانب الخاص جدًا والهام جدًا ألا وهو إصلاح نفس الفرد وروحه بالصلاة والصيام والقربى إلى الله، ولكنه جاء أيضًا بعدد من الخطوط والضوابط في الاقتصاد والسياسة والاجتماع، وأنه جعل العمل مصداقًا للإيمان ومعيارًا للحساب من ثواب أو عقاب في الآخرة، بل كاد أن يحقق تجديدًا ثوريًا في عالم الأديان عندما جعل المسلم يدرك بحسن خلقه وطيب معاملته درجة الصائم القائم بل وفضَّل العمل الصالح على العبادة، ولكن التطور السياسي للإسلام جعل الملك العضوض بعد أربعين سنة من الهجرة يقاوم هذا الجانب من جوانب الإسلام: العدالة في الاقتصاد، والحرية في الفكر والشورى في الحكم وتعرض الأئمة الأربعة لاضطهاد الخلفاء وفي النهاية لم يجد الفقهاء مجالاً حرًا لعملهم إلا الجانب العبادي الذي لم يجرؤ الخلفاء على المساس به ولأن المساس به لا يحقق لهم مصلحة.. فتوسع الفقهاء في العبادات توسعًا جعل «الصلاة» مثلاً تستغرق عددًا من المجلدات في موسوعات الحديث والفقه.

ونقلت السلفية هذا التركيز إلى الدعوات الإسلامية بحيث أصبحت أولاً وقبل كل شيء هيئات عبادية، العبادة فيها هي مفتاحها، وهي ما يميزها عن غيرها، ولا يقتصر على العبادة نفسها، ولكن ما اصطحب بها في الأذهان، من زي أو هيئة – وحركات وسكنات والتزام بالنوافل بعد

الفـرائض والأدعيـة والأذكـار والأوراد، وقـد كـانت الوصـية الأولى من الوصايا العشر للإخوان المسلمين «قم إلى الصلاة متى سمعت النداء».

وكـان هـذا الأثـر من القـوة بحيث إن الـدعوات الإسـلامية الـتي استكشفت حقيقة الإسلام وأنه دين ودنيا مصحف وسـيف.. إلخ لم تفهم من هذا إلا فرض الجانب العبادي على الجانب الحياتي.

ونشـأ في كثير من الدعوات الإسـلامية ازدواجية بين الدين والـدنيا، العبادة والسياسة، الجـانب الـتربوي الـروحي والجـانب العملي الحيـاتي، ويمكن القول إنها ركزت على الأول، وأن هذا حال دون إحكامها للثـاني، وحدث هذا في بعض الهيئات بحيث جاز التساؤل: ألم يكن من الأفضل لو وجدت هيئات إسلامية متخصصة فبعضها يعني بالجانب الروحي النفسـي الفـردي والعبـادي وينفض يديـه تمامًـا بين النشـاط العـام والخـارجي؟ ويوجـد بجانبها هيئـات أخـرى في مجـالات النشـاط العـام، تعـني بجـانب معين من هذا النشاط (اقتصاد – عمل – سياسـة – صـناعة – تجـارة.. إلخ) تاركة الجانب العبادي لمن هم أقدر عليه منهـا فلا تحاسـب عليـه، كمـا لا تحاسب جمعية للمعلمين على أنها لا تحكم الهندسة أو اتحاد للأطبـاء أنـه لا يفهم في المحاسبة.. إلخ.

إن العامل الذي لا يجعلنا نأخذ بهذا الحل باعتباره الحل الذي لا محيد عنه، هو أنه يحول دون وجود الهيئة ذات الـدعوة الإسـلامية العامـة الـتي تدعو لإصلاح المجتمع، ولكن مثل هـذه الهيئـة لن توجـد مـا ظـل الطـابع العبادي مسيطرًا على الهيئة العامـة، والحـل الأمثـل أن توجـد مثـل هـذه الهيئة على أن تضـع نصـب أعينهـا الحـديث النبـوي «الـدواوين عنـد اللـه ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا وديوان لا يغفره الله، وديوان لا يترك لله منه شيئاً، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشـرك باللـه، وأمـا الـديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صـوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله عز وجـل يغفـر ذلـك ويتجـاوز عنـه إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا: القصاص لا محالة»[1]، فـإذا طبقنـا هـذا لوجـدنا أن محـل عنايـة الهيئـات الإسـلامية الأول يجب أن يـتركز في الحيلولـة دون ظلم العبـاد بعضـهم بعضًـا.. أي القضـية العامـة والاجتماعيـة لأن هـذا الظلم يعم الحـاكم والمحكومين الأغنياء والفقراء الأقوياء والضعفاء وأُس البلاء في القضية الاجتماعية هو الظلم. ومحور الإصلاح هو العدل.

الـدعوات الإسـلامية.. على اختلافهـا من أنصـار السُـنة ذلـك لأنهـا تـأثرت بالفقـه الـذي يقـوم بالدرجـة الأولى على السُـنة والفقـه مبـوب

---

1) الحديث رواه أحمد في مسنده وأخرجه الحاكم وصححه وفيه مقال ولكن له شواهد تعضده، والمقصود بالدواوين صحائف الأعمال، انظر (الفتح الرباني في مسند الأمام أحمد بن حنبل الشيباني، ص 288، ج 19).

تبوبيًـا دقيقًـا، ويكـاد يكـون واحـدًا في المـذاهب المختلفـة وهـو يتنـاول الأقوال والأفعال والحركات والسكنات، فضلاً عن الأحكـام، فوجـدت فيـه الدعوات الإسلامية بغيتها، وكان هذا هو أحـد أسـرار «سـلفية» الـدعوات الإسلامية.

والسُـنة هي الأصل الثاني للإسـلام بعـد القـرآن وهـذا أمـر لا خلاف فيـه، ولكن الخلاف إنمـا يكـون في قضـايا عديـدة أوردتهـا كتب الحـديث والفقه، منها ما يتعلـق بالسُـــنة، وقـد وضـعت مجلـدات عديـدة عن علم الرواية وأحوال الرجال ودرجاتهم والجرح والتعديل، ومع هذا – أو بمعنى آخر لهـذا، حـدث نـوع من الاجتهـاد في إصـدار الأحكـام فقـد يحكم بعض علماء الحديث على راوٍ بأنه ثقة، في حين يراه الآخرون واهيًا أو ضـعيفًا، لأن العملية أصبحت لها ضوابط عديدة ومختلفـة، وبالتـالي فـإن الأحكـام تختلـف، وقـد يمكن الارتقـاء بهـذا إلى مثـل عمـر بن الخطـاب وعائشـة (وليس إلى المستشرقين أو الـذين يريـدون هـدم السُـــنة) في نقـدهما لأبي هريرة وإكثاره وسرده.

ومن قضايا السُـنة مـا يتعلـق بـالمتن ويـدخل فيـه النسـخ والروايـة بالمعنى، كما يدخل فيه تحقيق ملابسـة صـدور النص لأن هـذه الملابسـة قد يكون لها أثر في الحكم وهو أمر عُني بتحقيقه علمـاء أصـول الفقـه، فعندما يقول الرسول – على سبيل المثال – «في الغنم السائمة زكاة» فـإن هـذا القـول إذا كـان قـد صـدر من الرسـول إجابـة لسـائل سـأل الرسول : «هل في الغنم السائمة زكاة» فإنه يكون قد خصـص الوصـف بالذكر لأنه المسئول عنه ليكون الجواب مطابقًا للسؤال، وقـد يـدل هـذا على نفي الحكم عن الذات عند انتفاء الصفة «السائمة» وقد يدفع لعـدم إعمال – مفهوم المخالفة إلخ.. وقد يروي الراوي عَجُـزًا من حـديث فاتـه صَدْرُهُ، ويؤدي هذا إلى خلل في المعنى.

ومن قضايا السُّـنة أن الفقهاء يميزون ما يعـد ملزمًـا من أقـوال أو تصرفات الرسول وما لا يعد، فالقرافي وهو من أئمة المالكية يميز بين تصرفات الرسول بالفتيا والتبليـغ وبين تصـرفه بالقضـاء وبين تصـرفه بالإمامة، وآثار هذه التصرفات ومدى إلزامها مختلف، فتصرفه بالفتيا هو إخباره عن الله تعالى بما يجده في الأدلـة من حكم اللـه تبـارك وتعـالى، وتصرفه عليه السلام بالتبليغ هـو مقتضـى الرسـالة، والرسـالة هي أمـر الله له بذلك التبليغ، فهو عليه الصلاة والسلام في مقـام الرسـالة ينقـل عن الحق للخلق ما وصل إليه من الله تعالى، فهـو في هـذا المقـام مُبلِّغ وناقل عن اللـه تعـالى، أمـا تصـرفه بـالحكم أي بالقضـاء – فهـو مغـاير للرسالة والفتيا لأن الفتيـا والرسـالة تبليـغ محض واتبـاع صـرف والحكم إنشاء وإلزام من قبله بحسـب مـا يسـنح من الأسـباب والحجـاج، ولهـذا قال «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بحجته من بعض، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه إنما أقتطـعُ لـه قطعـة من

النـار»، دل ذلـك على أن القضـاء يتبـع الحجـاج وقـوة اللحن بها «وأمـا تصـرفه عليـه الصـلاة والسـلام بالإمامـة، فهـو وصـف زائـد على النبـوة والرسالة والفتيا والقضاء، لأن الإمام من فوضـت إليـه السياسـة العامـة في الخلائق، وضبط معاقد المصالح، ودَرْء المفاسد»[2].

ويقول ابن قتيبـة في تأويــل مختلف الحديث «السُــنن عنـدنا ثلاث: سُـنة أتاه بها جبريل عليه السلام عن الله تعالى كقوله ﷺ «لا تنكح المـرأة على عمتهـا وخالتها» و «يحـرم من الرضـاع مـا يحـرم من النسب» و «لا تحرَّم المصَّه ولا المصَّتان» و «الديَّة على العاقلة» وأشباه هـذه الأصـول، وسُـنة أباح الله فيها لنبيه أن يسنها، وأمَرَهُ باستعمال رأيه فيهـا فلـه أن يــرخص فيهـا لمن شـاء حسـب العِلَّة والعُـذر، ومن ذلـك إذنـه في لبس الحرير لعبد الرحمن بن عوف لعلَّةٍ كانت بـه واسـتثنائه الإذخـر من شـجر مكة وأمثال هذه الأمور، والسُـنة الثالثة ما سَـنَّهُ رسـول اللـه ﷺ تأديبًـا لنـا فإن نحن فعلناه كـانت لنـا الفضـيلة في ذلـك وإن نحن تركنـاه فلا جنـاح علينا إن شاء الله».

وقال الشيخ محمـود شـلتوت في كتابـه المشـهور «الإسـلام عقيـدة وشريعة»، «كـل مـا ورد عن النـبي ﷺ ودُوِّنَ في كتب الحـديث من أقوالـه وأفعاله وتقريراته على أقسام».

أحدهما: مـا سـبيله الحاجـة البشـرية كالأكـل والشـرب والنـوم والمشـي والــتزاور والمصــالحة بين شخصــين بــالطرق العرفيــة والشــفاعة والمساومة في البيع والشراء.

ثانيهما: ما سبيله التجـارب والعـادة الشخصـية أو الاجتماعيـة كالـذي ورد في شئون الصناعة والطب وطول اللباس وقصره.

ثالثهما: ما سبيله التـدبير الإنسـاني أخـذًا من الظـروف الخاصـة كتوزيـع الجيــوش على المواقــع الحربيــة وتنظيم الصــفوف في الموقعــة الواحدة والكمون والكر والفر واختيار أماكن الـنزول ومـا إلى ذلـك مما يعتمد على وحي الظروف والدربة الخاصة.

وكـل مـا نقـل من هـذه الأنـواع الثلاثـة ليس شـرعًا يتعلـق بـه طلب الفعـل أو الــترك، وإنمــا هــو من الشــئون البشــرية الــتي ليس مســلك الرسول ﷺ فيها تشريعًا، ولا مصدر تشريع[1].

ولولا أن المقام لا يتسع لمزيد من الشرح لعرضنا مـا قالـه الـدهلوي في حجـة الله البالغـة، ومـا أشـار إليـه بعض المحـدثين كالـدكتور ســليم

---

2) استشهد بها كتاب «السُــنة تشـريع لازم ودائم»، دكتـور فتحـي عبد الكريم، ص 70، مكتبة وهبة.

1) الإسلام عقيدة وشريعة، ص 427، طبعة الإدارة العامة للثقافة العامة بالأزهر.

العَـوَّا، وقـد عالجنـا هـذا الموضـوع في كتابينـا «الأصـلان العظيمـان» و «العودة إلى القرآن».

المهم أن الدعوات الإسـلامية لم تسـلك مسـلك المحققين.. ولكنهـا أخذت السُـنَّة كلها بل لعلها ركزت على ما يتعلق بالأكل والشـرب والـزي والعادات إلخ..

وقد أراد الله تعالى الكمال للإسلام عندما أوجد قرآنًا وسُـنة ليحقــق تكاملاً، ولابد لكي يلحظ هذا التكامل من وضع القـرآن والسُـــنَّة كـل في موضعه، وهـو مـا يقضـي جعـل القـرآن أصـلاً قائمًـا تعـود إليه السُــــنة، ووجود قرآن وسُـنة يعني اختلافاً في الطبيعـة، كمـا قـد يلحـظ الاختلاف في الأسـلوب والقــرآن ينحــو نحــو الإطلاق والانتهــاض ويمثــل القيم والكليات والأصول العامة، بينما تعني السُــنَّة بـالتطبيق وتلحـظ الحفـاظ وتتناول الجزئيات كما قد تلحظ اعتبارات آنيـة تتعلـق بـالمجتمع العـربي، وما كان عليه وقت الرسول كان «حديث عهد بجاهلية».

وكما أشرنا – فإن الدعوات الإسلامية اعتبرت أن كمـال الإسـلام هـو الأخذ بالسُــنَّة كلها – حتى ما كان منها ضعيفًا في الرواية، غير ملزم في الموضوع، وليس هذا هو الحماس للإســلام أو تحقيـق الكمـال فيـه، كمـا سبق إلى ذهنها.

من القســمات المشــتركة في الــدعوات الإســلامية أنهــا بــدرجات متفاوتــة – وقعت في يــد الطبقــة الوســطى الــتي يطلقــون عليهــا «البورجوازية» صـغيرة أو كبــيرة فقاعــدتها الجماهيريــة تضــم صــغار الفلاحين والتجار والحرفيين والطلبة – بينما تضم قمتها نسـبة من كبـار التجار ورجال الأعمال والاقتصاد الإسلامي.

ونحن لا نتفـق مـع الشـيوعيين في اهتمـامهم المسـرف بالتـأثير الطبقي، ونرى أنهم في معظم ما يُورِدُونَهُ في هذا الصدد، إنمـا يزجـون بـه بحكم الشـعارات المعلنـة، فلم يكن أحـد أفـراد الطبقـة العاملـة من مُنظِّري الاشتراكية، ولا أحد منظري الاشتراكية من العمال، وكل إشارته إلى «أدب الطبقة العاملة»، «وكفاح الطبقة العاملة» إنمـا يقحم إقحامًـا عليها فالكفاح الحقيقي للطبقة العاملة هو الحركة النقابية الـتي تضـيق بها الاشتراكية.

وقد أثبت التاريخ وجـود أفـراد من الطبقـة الممـيزة كفـروا بشـرعة التمييز الطبقي ومنحوا ولاءهم للدعوات الشعبية سواء كـانت اشـتراكية أو إسلامية كما ظهـر أفـراد من الطبقـات القاعديـة خـانوا طبقتهم لكي يحققوا مطامعهم.

مع هـذا – فإن تأثير الوضع الطبـقي هو أمـــر يقـرره علم الاجتمـاع، وطبقاً له – فإن وعي الطبقـة الوسـطى وعي فـردي، بمعـنى أن الفـرد النمطي في الطبقة الوسطى يستهدف رفع مستواه المعيشي بوســائله الخاصـة – وطبقًـا لمـا ينتهي إليـه اجتهـاده وعـادة مـا يسـمح المجتمـع البورجوازي للنابغين والأذكياء بتحقيق طموحهم، وهذا هو سر المبادءات العديدة التي يحفل بها هذا المجتمع – وهناك خيط دقيـق يربـط مـا بينـه وبين الحريــة والطمــوح والمنافســة والقــوة.. إلخ.. ويكــون هــذا إثــراء للمجتمع.. ولكن يغلب أن يتم هذا على حساب الآخرين – أو دون ملاحظة الآخرين.. وقد أوجد الإسلام معادلة ما بين حرية الأفراد وعدل المجتمع.. وعندما تضع الدعـوات الإسـلامية هذه المعـادلة نصب أعينهـا، فـإن غلبـة الطبقــة الوســطى عليهــا لا تــؤثر أثــرًا ســيئًا، ولكنهــا إذا غفلت عنهــا فسـيغلب الـوعي الفـردي عليهـا ويمزقهـا، أو يجعلهـا تسـير في أذيـال المصالح الفردية للمجموعات المتميزة.

وهذا أحد المخاطر التي يكون على الدعوات الإسـلامية التنبـه إليهـا، خاصة وأنها مستهدفة لهذا الخطر بحكم نزعة السلفية نحو الذاتيـة الـتي أشرنا إليها آنفًا.

وقد يكون من الخير لها أن تجتـذب العمـال وتجعـل الحركـة النقابيـة من قواعـدها، ونحن نعـالج هـذه النقطـة من ناحيـة الـوعي لا من ناحيـة كسب جمهور فعال للحركة، وتأمينها من غدر الحكام، فتلك نقطة أخـرى تنبهت إليهـا الجبهـة الإسـلامية في السـودان وكـان تأمينهـا من انقلاب نميري عليها، كما أن إغفال الأخوان المسـلمين لهـا أدَّى إلى ادعـاء عبـد الناصر تأييد العمال له فيما سُمي إضراب مـارس 1954م، رغم أنـه كـان إضــرابًا مفتعلاً، نحن هنــا نشــير إلى أن ضــم التكتلات العماليــة ســيوجد توازنًا طبقيًـا في بنيـان الـدعوة الإسـلامية، وبهـذا يؤمنهـا من النزعـات الفردية، فضلاً عن أن العمال هم جمـاهير أصـيلة في الـدعوة الإسـلامية لأنهم «المستضعفون» في الأرض الـذين ينصـرون الإسـلام.. وينصـرهم الإسلام.

والدعوات الإسلامية «ماضوية الروح» ولا غبار بالطبع على الإعجـاب بالماضي العظيم للإسلام أو اسـتلهام ثوابتـه، ولكن الـدعوات الإسـلامية تريـد أن تعيش هـذا الماضـي، وهـذه مغالطـة تاريخيـة فهي – عمليًـا – لا تعيش القــرن الأول الهجــري ولكن القــرن الخــامس عشــر، وعليهــا أن تعايش هذا القرن، وإلا فإنهـا تلغي وجودهـا، كمـا أن عليهـا أن تفهم أن الإعجاب بالماضي لا يتنافى مع الإعجاب بالحاضر أو العمل للمستقبل.

فما أعظم ما يحفل به هـذا الحاضـر من منجـزات رائعـة للتقـدم في مجالات الحياة.

وعلى كلٍّ... فإن الله تعالى يحكم بالأعمال لا بالأزمان، وإذا كان هناك حديث بفضِّلُ «قرن الرسول ﷺ» ثم الذي يليه، فالذي يليه، فهناك أحاديث عديدة في تمجيد الذين أمنوا بالرسول ﷺ دون أن يروه، ويصلحون عند فساد الزمن، ولابد للدعوات الإسلامية أن تتأكد أن حماسها للماضي لن يكسبها الماضي، وسيخسرها المستقبل.

وهناك مفارقة أورثت الدعوات الإسلامية إحدى سماتها المشتركة، فالإيمان بالسلفية وحصر مداركها وثقافتها في السلفية من ناحية، وعجز هذه السلفية عن معايشة الحاضر، وهو أمر لا يتطلب برهنة فيما نرى – جعل فكرها وثقافتها وأحاديثها في وادٍ.. وعملها وممارساتها واهتمامها في وادٍ آخر، وقبلت الدعوات الإسلامية هذا الوضع الشاذ كأمر مقرر لا غرابة فيه، وتحدث الإمام الشهيد حسن البَنَّا رحمه الله عن طلبة بعض المعاهد الأزهرية يدرسون أحكام الصلاة ثم تقام الصلاة فلا يصلون، وإنما يستمرون في قراءتهم !! ويدرس كثير من الدعاة الإسلاميين أحكام الطهارة والرقيق والغنائم كما كانت عليها منذ خمسة عشر قرنًا، وبعدها مباشرة يركبون العربات الفارهة وكل ما يفعله الواحد منهم هو أن يقول ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وينسى أنه يركب عربة لا دابة، وقد تمر به عربته على النساء العجائز والمرضى الذين ينتظرون الأتوبيس المزدحم الذي لا موطأ فيه لقدم فلا يذكر الحديث: «من كان عنده فضل ظهر فليركب أخاه»، وقد يدعو إلى الزكاة – وهو لا يدفعها، ويستحث الناس على الإنفاق وهو من أبخل خلق الله.. وقد يرى في الشارع من يلبس الأسمال المهلهة في الشتاء فلا يثير في نفسه شيئًا، وهذا المنظر جعل وجه الرسول ﷺ يحمر «كأنما فُقئ فيه حَب الرمان»، ولكن «سيدنا الشيخ» لا يتصور أن منظر فقراء في أسمال أمر يدفع بحمرة الخجل إلى الوجه.

إن الشُقة الواسعة ما بين العلم والعمل في الدعوات الإسلامية تخالف نهج الصحابة الذين كانوا لا يجاوزون حفظ عشر آيات حتى يعلموا ما فيها من العمل، وعندئذ فحسب، وبعد إن يروا أثر هذه الآيات التي حفظوها على سلوكهم ينتقلون لحفظ غيرها.

ومن السمات المشتركة في الدعوات الإسلامية وبالتالي في السلفية أنها تضيق بحرية الفكر – ولا تؤمن بها وإذا كان دُعاتها يقولون غير ذلك – فإنهم يخادعون أنفسهم والناس، فما يقصدونه بالحرية التي يؤمنون بها إلا حريتهم أنفسهم، أو مفهومهم الخاص لحرية الفكر، وآية ذلك أنها ترى من البديهات مصادرة كل كتاب يخالف ما يعتقدون و«تعزير» كل من يذهب غير مذهبهم، وإقامة الحد على المرتد – وعلى كل من يجحد معلومًا من الدين بالضرورة، وهذه كلها قيود وأصفاد وأغلال على حرية الفكر فأية حرية يؤمنون بها بعد.

وهم يلصقون بحرية الفكر كل نقيصة أو تدهور أو تحلل، ولا يفهمون أن الحرية أن فتحت بابًا لآراء شاذة فإنها تفتح أبوابًا تدعو إلى الحقيقة، وإن أدت إلى فساد واحد معلن، فإنها تقضي على عشرات من المفاسد غير المعلنة.

وقد قرأت مقالاً يصور هذه النزعة في صحيفة تصدرها باللغة الإنجليزية جمعية إسلامية باكستانية في إنجلترا، يدور المقال حول دهشة سكان الكواكب الأخرى من كُفر أهل الأرض وعدم إيمانهم بالإسلام، وأن هذا دفعهم ليرسلوا رائد فضاء ليرى ماذا يعبد أهل الأرض، وعاد هذا الرائد بعد أن قام بمهمته وقال لهم إن أهل الأرض يعبدون أوثانًا، منه وثن يُسمى «الديمقراطية» وهناك وثن يُسمى «الاشتراكية» ولكن أقبح الأوثان جميعًا التي يعبدها أهل الأرض هو وثن يُدعى «الحرية»[1] !!

<u>يعسر على الدعوات الإسلامية أن تتقبل إعادة المرأة إلى المجتمع بعد أن استطاعت السلفية أن تعزلها وأن تحقق نوعًا من الفصل العنصري يأباه الإسلام</u>... وأن تجعل من النقاب جزءًا من الشعائر الإسلامية، وقد وضعته حينًا إحدى حركات المقاومة الأفغانية في شعاراتها التي اقتبستها عن الإخوان كما كانت هذه القضية من أسباب انفصال مجموعة من أعضاء الإخوان وتأسيسهم «شباب محمد» وكانت مجلتهم «النذير» حافلة بمقالات الحجاب وجاعلة من كلمتي «وليضربن بخمرهن» شعارًا لها.

وحقيقة الحال أن ليس هناك فرق كبير بين زي الرجل وزي المرأة في الإسلام، فما من زي «رجالي» يكشف عن الصدر أو الظهر أو «يشف» أو «يصف» والزي الرجالي التقليدي الذي يلبسه كل الرجال في العالم إنما يكشف عن «الوجه والكفين» والمفروض أن يوجد غطاء للرأس يغطي به الشعر هو القبعة عند الأوروبيين والعمامة عند الشرقيين، وهذا هو ما يطبقه الإسلام على النساء مثلهن في هذا كالرجال سواء بسواء، أما ما يجاوز هذا فإنه يعود إلى عادات وأعراف خاصة.

وقد شاع الحجاب في الفترة الأخيرة، واعتبر ذلك انتصارًا للاتجاه الإسلامي كما اعتزلت النشاط بعض الفنانات من المغنيات والممثلات والراقصات، ولا جدال في الدلالة الإسلامية لهذا، كما أن من المحتمل أن يكون من أسباب نجاح هذا أن الحجاب زي عملي وأنه يريح المرأة من عملية تصفيف الشعر المكلفة والمتعبة.. ولا تزال القضية تنتظر حلاً يفصل بين قضية «التبرج» التي نهى عنها القرآن، وبين قضية الزي

---

1) قد تكون هناك استثناءات سنشير إليها في أماكنها، ولكنها تظل استثناءات.

والاختلاط التي تخضع للأعـراف من ناحيـة، وضـرورات العصـر من ناحيـة أخرى ومثل هذا الحل لابد أن يأتي من «ما بعد السلفية..».

وكل واحد درس مكانة المـرأة في العهـد النبـوي يعلم حـق العلم أن المرأة كانت تحضر الصلوات وتخرج أيام العيـد إلى الصـلوات، وعليهـا أن تحج كما على الرجل، ويعلم أن المـرأة كـانت تحـارب مـع الرسـول ﷺ وأن الرسول منح بعضهن من الغنيمة، وتعلم طبعًا أن أول من أسلم كـان من النساء، وأول من استشهد كان من النساء، ويعلم أن من النساء من كان يجير غير المسـلمين فيجـيز الرسـول ﷺ فعلهن، ويعلم أن الرسـول ﷺ أمـر بأن لا تمنـع النسـاء من الصـلاة بالمسـاجد، ويعلم نبـأ تلـك المـرأة الـتي تصدت لعمر بن الخطاب في المسجد وعارضته، وأخذ هو بقولها.

كل من يدرس الإسلام يعلم هذا، ويعلم ما هو أكثر، ولكن القضية لم تكن – أو أنها لم تعد – قضية إسلام، إنها قضية تقليد أو فهم معين، وقـد أصبحت قضية المرأة أكبر مثال لعـدم تميـيز الـدعوات الإسـلامية مـا بين الإسلام.. وما بين التقليد وتفضيلها التقليد على الإسلام، وكـاد التعصـب لها أن يجعلهـا «عقـدة» في الهيئـات الإسـلامية، وقـد دعينـا إلى نـدوات ولقــاءات إســلامية في الولايـات المتحـدة وبريطانيـا وفرنسـا وإنجلـترا وألمانيا، وفي كل هذه الاجتماعات أبعـدت النسـاء في مكـان قصـي غـير مرئيٍ أو غير معروف، وقيل إن دائرة تليفزيونية مغلقة تربط النساء بمـا يدور في الجلسة، وفي إحدى هذه المؤتمرات في مدينـة مانشسـتر كـان من بين المدعوات شخصيات عامة في مناصب العمل السياسي أو العمل الجـامعي، ولكن هـذا لم يشـفع لهن، فقـد أبعـدن مـع المبعـدات، وحـرم المؤتمر من آرائهن وإضافتهن.

ويماثـل هـذا موقـف الـدعوات الإسـلامية من الفنـون، ففي الـوقت الــذي يمكن أن يكــون لبعضــها دور إســلامي يعــزز، أو يــثري، الفكــر الإسلامي، فلا مناص من النظر إلى البعض الآخر منهـا على أسـاس أنهـا من «حرث الدنيا» أو هي «لهو الحديث» التي لا تلتزم ضرورة بالمقاييس الصارمة، لأنها إنما تمثل الساعة الأخرى في حـديث الرسـول ﷺ «سـاعة.. وساعة»، وليس معنى هـذا أن تشـجع الـدعوات الإسـلامية ذلـك، لكن أن تنظر إليـه كجـزء من ضـرورات الابتلاء والاختبـار في الحيـاة، أو «اللمم» الذي تقع فيه النفس الإنسانية ساعة ضعفها.. وتكفر عنه الحسنات وأنه بالنسـبة لبعض الفئـات كالشـباب، يقـوم بامتصـاص جـزء كبـير من زخم الغريـزة والشـهوة الـتي يفرزهـا الجسـم في هـذه الفـترة، وبـدون هـذا البديل يمكن أن يقعوا فيما هو أسوأ.

فلا معـنى للضـيق بـالفنون والآداب أو محاولـة اسـتبعادها، لأن لهـا دورًا في المجتمع، فضلاً عن أن محاولات استبعادها ستؤدي إلى مفاسـد أكبر من المفاسد المظنون ترتبها عليه.

* * *

لابد من الإشارة في نهاية هذا الحديث عن القسمات المشتركة في الدعوات الإسلامية إلى ظاهرة جديدة وثيقة الصلة بالسلفية تلك هي تسرب نفوذ السعودية ودعوتها الوهابية إلى الدعوات الإسلامية.. واختراقها لبعضها.. وتعود هذه الظاهرة إلى نفوذ ودعم رابطة العالم الإسلامي، ووجود فائض من خريجي الجامعات السعودية وجهوا إلى الدول الأوروبية والأمريكية والآسيوية.. إلخ، لنشر الدعوة الإسلامية، ومن الطبيعي أن يكون لهذا الاختراق أثر سيء وفي كثير من الحالات أدى هذا التدخل إلى تمييع الدعوة أو تقوقعها، أو دخولها في متاهات، أو غلبة العناصر الذاتية والعوامل المادية عليها، ولو أحسنت السعودية وأرادت بمعوناتها وجه الله لقدمت مساعدتها دون تدخل في إدارة، أو سياسة الدعوة، ولوجَّهتها نحو إقامة المباني أو تدعيم النشر والترجمة، وقد يكون هذا عسيرًا، ولكنه على الأقل حدث في حالة نعلمها قدمت فيها رابطة العالم الإسلامي مساعدتها لهيئة إسلامية، وانتهت علاقتها دون أي تدخل أو متابعة لنشاط الهيئة.

* * *

في ختام هذا الفصل عن جريرة السلفية التي هي القاسم المشترك الأعظم على الدعوات الإسلامية..

قد يتساءل قارئ: لماذا هذه المرارة أو الحدة في نقد السلفية؟؟

والرد أولاً: إنه لحساب الحقيقة.. وهي بعد أقل من النبرة التي يستخدمونها تجاه من يخالفونهم، إن لم يحكموا عليهم بالردة ويستحلُّوا دماءهم.

وثانيًا: لأنه لحساب الفكر والعقل، فمن الغباء أن نكون سلفيين نسير وراء ابن تيمية، في حين أن من الممكن أن نكون قرآنيين، محمديين نستلهم القرآن ونأخذ الأسوة عن الرسول ﷺ، والغباء يجب أن لا يدلل ويتسامح معه..

وأخيرًا فلأني تابعت بنفسي انتشار وشيوع الدمامة والغفلة والاستخذاء والعقلية النقلية جنبًا إلى جنب انتشار وشيوع السلفية.

ونحن نؤمن أنه حيث يكون الإسلام، يكون العقل والحرية، والجمال والإقدام، والخير والسلام.

الوجود السلفي في المجتمع المصري

مع أن الفهم السلفي ساد العالم الإسلامي في عصوره المتأخرة بحيث غلبت السلفية اتجاهات مذهبية إسلامية أخرى مثل المعتزلة والشيعة.. إلخ، إلا أن هذا لم يكن ليؤدي بالضرورة إلى تكوين هيئات سلفية، لولا عاملان أديا إلى هذا الظهور:

الأول : أن يكون المجتمع قد تأثر فهمه ببعض المؤثرات الفقهية التي حركت شيئاً ما السطح الساكن.

والثاني: أن يصطحب هذا التأثير بظهور شخصية رائدة تتبنى الاتجاه الجديد، وتدفع به إلى الأمام وتمكن له وجودًا فعليًا.

وهذا هو ما يوضحه من ظهور الهيئات الإسلامية السلفية في مصر في أوقات متقاربة، كالجمعية الشرعية سنة 1912م، وجماعة أنصار السُــنة المحمدية سنة 1926م، وجماعة الإخوان المسلمين سنة 1928م، واقترن ظهور كل واحدة منها بظهور داعية كبير تتوفر فيه مقومات القيادة الإسلامية من إيمان وإحكام ومواصلة، ففي هذه المدة ما بين آخر صدى لدعوة محمد عبده المتوفى سنة 1905م، وما بين سقوط الخلافة في تركيا سنة 1924م ظهر الشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس « الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسُــنة المحمدية»، والشيخ حامد الفقي مؤسس «جماعة أنصار السُــنة المحمدية»، وحسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين.

كانت هذه الهيئات سلفية الطابع، إلا أن هذه السلفية تتغير الواحدة عن الأخرى تبعًا لتأثر العوامل الثانوية التي تعود إلى القادة والملابسات.

وأولى هذه الهيئات هي الجمعية الشرعية التي أسسها سنة 1912م الشيخ محمود خطاب السبكي، وهو شخص له شخصية قيادية، ولد في سبك الأحد من أعمال مديرية المنوفية وظل يعمل في أطيان أبيه، فلاحًا أميًا، ثم تعلم القراءة والكتابة وذهب به والده إلى الأزهر فدخله واجتاز مراحله بتفوق حتى نال العالمية بتفوق وأسس هيئته في أحد احياء القاهرة الشعبية ــ شارع المغربلين ــ ووضع نظامها وتقاليدها، ولا يجوز أن نغفل دلالة الاسم «الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسُــنة المحمدية» فالإشارة هنا تضم الكتاب أولاً ثم السُــنة المحمدية، ولا تشير إلى الأسلاف، فكان اتجاهه قرآنيًا سُـنيًا وإن كان الفهم السلفي للكتاب والسُــنة المقرر قاده إلى الفهم السلفي.

وحدد قانون الجمعية الغرض من إنشائها بما يأتي:

(1) نشر التعاليم الدينية الصحيحة والثقافة الإسلامية لإنارة العقول وإنقاذ المسلمين من فساد المعتقدات وخسيس البدع والخرافات بموالاة الوعظ والإرشاد، من رجال عرفوا بالعلم والعمل.

(2) فتح مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم، ومدارس لتعليم أبناء المسلمين أحكام الدين وآدابه، وسائر المواد المقررة في المدارس الأميرية تعليمًا يتماشى مع روح العصر، ولا يتنافى مع مبادئ الدين.

(3) إنشاء المساجد لتقام فيها الشعائر الدينية طبق ما جاء به الدين القويم، وتعلم فيها العامة أحكام الدين.

(4) إصدار مجلة دينية لنشر الموضوعات الدينية والأخلاقية والأدبية وغيرها، ودفع الشبهات والطعون التي توجه إلى دين الإسلام الحنيف.

(5) طبع ونشر ما يُرى نافعًا ومساعدًا في تثقيف العقول وتهذيب النفوس من المؤلفات الدينية وغيرها.

(6) إعانة المنكوبين والبائسين ممن ينتسبون إلى الجمعية ولاسيما ممن لا يتمكن من العمل بمهنته لتمسكه بدينه.

(7) إيجاد مستشفى لمعالجة فقراء المسلمين ونشر المبادئ الدينية بينهم.

(8) القيام بنفقة تجهيز موتى المسلمين الفقراء، وإعداد مقابر شرعية لمواراتهم ما استطاعت الجمعية إلى ذلك سبيلاً.

(9) تضامن كل من ينتسب إلى الجمعية في التعامل بحيث ينحصر تعاملهم فيما بينهم على حسب الإمكان، ليأمنوا من غش الأجانب وتطمئن قلوبهم للتعامل.

(10) لا تتعرض هذه الجمعية للشئون السياسية التي يختص بها ولي الأمر.

وجاء في كتاب الحالة السلفية المعاصرة في مصر أن الجمعية الشرعية تقوم بعـدة نشاطات بداية من معاهد إعداد الدعاة والقراءات وعدد معاهد القرآن الكريم والقراءات 21 معهدًا موزعة على ثلاث عشرة محافظة وتقيم عدد من المشروعات الاجتماعية الخاصة بكفالة الطفل اليتيم، وتيسير زواج اليتيمات، ورعاية المسلم المعاق، ورعاية طالب العلم، واستضافة الفتيات اليتيمات والمغتربات، والمقابر الشرعية، وتشغيل أمهات الأيتام، وقوافل الخير، ومشروع تربية رؤوس الماعز، وتشارك الجمعية أيضًا بعدد من المشروعات الطبية الخاصة بعلاج مرضى الفشل الكلوي، ومركز الأشعة التشخيصية، ورعاية الأطفال المبتسـرين، وتشخيص وعلاج أمراض العيـون باللـيـزر، ومراكز جراحة

المناظير، ومناظير الجهاز الهضمي، وحقن دوالي المريء، والقوافل الطبية، وللجمعية عدة مشروعات تعليمية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، ومدارس الجمعية الشرعية لمحو الأمية وتعليم الكبار، وإدارة الأزمات»[1] انتهى.

وتختلف الجمعية الثانية «جماعة أنصار السُــنة المحمدية» لبعض الملابسات التي جعلت لها طابعًا خاصًا يختلف عن الجماعة الشرعية فالمؤسس لها وهو الشيخ حامد الفقي كان من تلامذة الشيخ رشيد رضا، وأدت الملابسات أن يتعرف على السعودية في الوقت الذي لم يكن البترول قد شاع، وكانت السعودية تعهد إليه بطبع كتبها ومراجعها التراثية، كما تقوم رابطة العالم الإسلامي بشراء عشرات الألوف من نسخ مجلتها «التوحيد»، وتتعمق العلاقات ما بينهما حتى أصبحت الجمعية تمثل السلفية السعودية.

وقد لخص الشيخ محمد حامد الفقي أهداف الجماعة كما يلي:

(1) دعوة الناس إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع أرجاس الشـرك وأدرانه وشوائبه، وإلى حب الله تعالى حبًا صحيحًا صادقاً، يتمثل في طاعته وتقواه، والوقوف عند أمره ونهيه.

(2) إرشاد الناس إلى أخذ دينهم من نبعيه الصافيين: صريح الكتاب، وصحيح السُــنة.

(3) إرشادهم إلى أن نصوص الكتاب والسُــنة لا محيد عنها البتة وأن دين الله محصور في ظاهر هذه النصوص التي قضت حكمة الله أن ينيط بها صلاح خلقه في دينهم ودنياهم، فألزمهم اتباعها، ونهاهم عن أتباع ما تشابه منها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

(4) الدعوة إلى حب رسول الله حبًا صادقاً صحيحًا، يحمل على اتخاذه مثلاً أعلى وأسوة حسنة والاقتداء به في عبادته وأحكامه ومعاملاته وأخلاقه، ومجانبة كل ما لم يكن عليه أمره وأمر أصحابه، وتقديم قوله على كل قول.

(5) إرشادهم إلى أن الحكم بغير ما أنزل الله هلكة في الدنيا وشقوة في الآخرة، وأن الله أعلم بمصلحة عباده حيث أنزل لهم شرعًا يحيط بهذه المصلحة من جميع جهاتها.

(6) الدعوة إلى مجابهة البدع ومحدثات الأمور.

(7) محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة التي دسها العدو لمحاربة هُدى الله الذي حصره في الكتاب والسُــنة، والعمل على هداية الناس إلى الحقائق الكونية والدينية التي لا تقبل شكاً ولا جدلاً.

---

(1) «الحالة السلفية المعاصرة في مصر» للأستاذ أحمد زغلول شلاطة، ص .

(8) **الحياة الدنيا والآخرة مرتبطة كل واحدة منهما بالأخرى أوثق رباط، وكلتاهما مرتبطتان أقوى رباط بتلاوة القرآن حق تلاوته وفهمه وتدبره والعمل به، والحذر كل الحذر من الشرك والكفر الذي يصفه ويحذر منه.**

(9) **الله تعالى وصف الخير ووعد فاعله بالخير والمغفرة في الدنيا والآخرة، ووصف الشر وأنذر آتيه اللعنه وسوء الدار.**

(10) **الفسوق والعصيان وانتهاك الحرمات نتيجة لعدم الإيمان بالله واليوم الاخر.**

(11) **الالتزامات التي ألزم الله بها عباده أمرًا أو نهيًا ليست إلا رحمة بهم.**

(12) **تحريم تشييد القبور والبناء فوقها واتخاذها مساجد والطواف حولها والتمسح بها والنذر لها.**

(13) **الإيمان بصفات الله وأسمائه كما هي دون تأويل أو تمثيل.**

(14) **التمسك بالرجولة لاستمرار القوامة على النساء.**

(15) **أصل الفساد هو السماح للنساء بارتياد الملاهي والمراقص.**

[illegible]:

[illegible]: [illegible].

[illegible]: [illegible].

[illegible]:

( ) [illegible].

( ) [illegible]:

(1) **معاهد للدعاة لمدة سنتين.**

(2) **معاهد للدعاة لمدة ثلاث سنوات وعددهم 3 معاهد.**

(3) **معاهد للدعاة لمدة أربع سنوات وعددهم 2 معهد.**

(4) **معاهد للداعيات فقط لمدة أربع سنوات (وهو المعهد المفتوح) وعدد هذه المعاهد المفتوحة واحد فقط في مقر أنصار السُــنة المحمدية.**

(5) **معاهد للدعاة خاصة (الذكور) لمدة أربع سنوات (نظام مفتوح)، وعدد هذه المعاهد المفتوحة واحد فقط في مقر أنصار السُــنة المحمدية.**

( ) [illegible]: [illegible].

( ) [illegible]: [illegible] 203 [illegible].

() [illegible]

[illegible] 1989 [illegible]:

(1) الديمقراطية نظام كافر لأنها تعطي الإنسان حق التشريع، وهو حق خالص لا يكون إلا لله تعالى، قال تعالى «إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ».

(2) الانتخابات بالترشيح وبالتصويت وسائل جائزة في حد ذاتها.

(3) التنظيم النقابي للعاملين وغيرهم وكذلك الاتحادات الطلابية: تنظيمات هيئية وطلابية لا شأن لها بالتشريع، والمشاركة فيها تتوقف على المصالح والمفاسد على ضوء الضوابط الشرعية لذلك.

(4) مزاحمة أهل الديمقراطية لتقليل شرهم في الانتخابات العامة وغيرها أمر جائز مع مراعاة الضوابط الشرعية إذا ترجحت المصالح على المفاسد.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هل يمكن للمراجعات أن تمد في عمر السلفية؟

فوجئ شهود القضية العسكرية رقم 235 التي عقدت في المحكمة العسكرية يوم 5/7/1997م بالأخ محمد أمين يلقي بياناً مزيلاً وموقعًا بأسماء ستة من قادة الجماعة الإسلامية، يُعلنون فيه إيقاف جميع العمليات العسكرية بالداخل والخارج، ووقف جميع البيانات المحرضة عليها دون قيد أو شرط ومن جانب واحد.

قال الدكتور ناجح إبراهيم وقد كان أحد الموقعين على هذا البيان في كتاب «نهر الذكريات» الذي روى لنا قصة المبادرة «كان هذا البيان هو البداية، أو لنقلْ هو الحجر الذي ألقى في الماء الراكد وبعده توالت موجات الأحداث، فكان رد الفعل في البداية مشجعًا، وأثنى الكثيرون على هذا التوجه ودارت عجلة التفاعلات، وكادت المبادرة أن تؤتي ثمارها، وتظهر آثارها منذ ذلك الحين لولا حادث الأقصر بكل تداعياته المؤلمة، وتفاصيله المفجعة، والذي أعلنا وقتها ـ ومازلنا نردد ـ أنه كان طعنة شديدة في ظهورنا».

بدت المبادرة وقتها كوليد صغير فوجئ بضربة قوية على رأسه، ففقد الوعي وكاد يموت لولا لطف الله تعالى، حتى إن الكثيرين ـ وقته ـ تشككوا في إمكانية أن يفيق هذا الوليد مرة أخرى، ولو بعد حين، خاصة أن تفعيل المبادرة تعطل مدة ليست بالقصيرة، ولكننا استعنا بالله، ومضينا في طريق مليء بالأشواك، ننحت فيه الصخر بأظافرنا، لأننا على يقين من صدق ما نصبو إليه، فنحن نسعى لحقن الدماء، وإسباغ الأمان، والصلح بين أبناء الوطن الواحد، ولن يخذلنا الله، فهدى الله إخواننا في خارج البلاد إلى اعلان تأييدهم للمبادرة في 28 مارس 1999م.

فكانت الخطوات الفعلية والعملية لتفعيل هذه المبادرة، وكانت أولى هذه الخطوات هي إعداد بعض الدراسات الشرعية الموثقة من الكتاب والسُنة لتصحيح كل الأخطاء وتصويب بعض المفاهيم التي التصقت بالأذهان في السنوات الماضية والتي أدت إلى وقوع هذه الأحداث الدامية، وكانت باكورة هذه الدراسات كتبًا أربعة أعدت وطبعت لتوضيح هذه المفاهيم والتي حملت العناوين الآتية:

(1)مبادرة وقف العنف نظرة شرعية ورؤية واقعية.

(2)تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء.

(3)النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين.

(4)حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين.

ويستطرد الدكتور ناجح إبراهيم[1] «كان من الضروري أن نلتقي بأبناء الجماعة الإسلامية في السجون المختلفة لنشرح لهم المبادرة، ونبين لهم الدوافع الحقيقية لهذا العمل الذي أصبح يمثل منعطفاً هامًا ومؤثرًا في تاريخ الحركة الإسلامية عامة، والجماعة الإسلامية خاصة.

وكان من الضروري أن نسمع من إخواننا بعد سنوات طوال، حالت الأسوار فيها بيننا وبينهم، نشعر بنبض قلوبهم ويشعرون بنبض قلوبنا، ولقد تفهمت القيادات الأمنية أهمية هذه الخطوة، فكانت جولاتنا إلى السجون المختلفة، والتي استغرقت قرابة العام، والكثير من الجهد والطاقة والصبر.

بدأناها من السجن الذي كان مجرد ذكر اسمه يلقي في القلوب خوفاً وفي النفوس مهابة، وهو سجن الوادي الجديد، ثم الفيوم، ثم العقرب، ثم الاستقبال، ثم أبو زعبل، ثم وادي النطرون، ليكون مسك الختام لهذه الجولة المباركة في سجن دمنهور.

واحتاج اتمام هذه الجولات إلى جهود كبيرة من قيادات الجماعة وكذا من القيادات الأمنية وضباط وجنود الداخلية في كل مكان توجهنا إليه، حتى انتهت هذه المهمة على وجه نحسب أنه يرضي الله تعالى ويحقق الأهداف المرجوة من ورائها.

ولقد سعد الجميع بالحفاوة والحب والترحاب الذي كان الإخوة يلقوننا به في كل مكان ذهبنا إليه، كبيرهم قبل صغيرهم، كانت الابتسامة كمرآة تعكس ما بالصدور من المحبة والقناعة والرضا بالمبادرة، والاستبشار بآثارها ونتائجها الطيبة، وكان التجاوب من جميع أفراد الجماعة يزرع في الصدور إحساسًا بالنجاح والتوفيق وأملاً في مستقبل مشرق للعمل الاسلامي ولمصر كلها بإذن الله العزيز الحميد، وللحديث عن هذه الجولات الطيبة، والتي تمكنا فيها بتوفيق الله وعونه من شرح المبادرة شرحًا وافيًا شافيًا مستفيضًا، وتفاعلنا مع إخواننا تفاعلاً إيجابيًا بناء.

وقد كان من أهم الإيجابيات التي حققتها المبادرة بفضل الله تعالى وتوفيقه:

<u>أولاً</u> : تحقيق مصلحة الإسلام العظيم ودفع الكثير من المفاسد التي نجمت عن الأحداث، ورفع الكثير من العقبات والعراقيل التي

---

1) نهر الذكريات.. المراجعات الفقهية للجماعة الإسلامية، دار مكتبة العبيكان، القاهرة، 21 ش محمد النادي، مكرم عبيد، مدينة نصر، هاتف 2718133.

اعترضت سبيل الدعوة إلى الله تعالى.. والتي كان من أهمها تجرؤ الكثيرين من خصوم الإسلام عليه حتى أصبح مألوفاً لدى أي مصري أن يواجه في أي مكان أو وسيلة إعلامية بالهجوم الشرس على الإسلام وشريعة الإسلام وهديه الطاهر، بل ومكانة علماء الإسلام والدعاة إليه.

ثانيًا: تحقيق مصلحة الوطن والتي تمثلت في هذا الأمن والأمان، وتوحيد الكلمة ليلتفت الوطن بكل طوائفه وفئاته لمواجهة العدو المشترك للجميع، والذي يتربص بهذا الوطن ويتحين الفرص لينال من حريته وسيادته، فليس هناك مواطن على أرض مصر يجهل أن هناك محاولات أميركية وإسرائيلية محمومة لتحجيم دور مصر العربي والاسلامي في جميع المجالات الديني والسياسي والشعبي، لأنهم يرون في مصر بحجمها وثقلها وتاريخها عائقاً أمام تحقيق أهدافهم، ومطامعهم في المنطقة، وعلى كل مسلم مخلص عاقل محب لوطنه ألا يكون أداة لتحقيق أهداف عدوه في تحجيم دور مصر قلب الاسلام النابض.

ثالثاً: معالجة ملف السجون المؤلم، لتشهد السجون في فترة تفعيل المبادرة أطيب وأحسن عهودها منذ فترة طويلة جدًا، كما شهدت تطورًا كبيرًا واضح المظاهر عظيم الأثر في كل اتجاه، والمعاملة الكريمة، التغذية، العلاج، الدراسة للطلبة الجامعيين، عودة الاستقرار إلى الأسر وتوقف مسلسل الطلاق والذي كان من أهم سمات مرحلة ما قبل تفعيل المبادرة.

وقبل أن نختم هذه المقدمة، نقول لكل مهتم بأمر الاسلام والمسلمين، ولكل إخواننا في التيار الاسلامي، ولكل غيور على دينه وعلى دعوته، إن التجاوب مع المبادرة إنما هو دوران مع شرع الله تعالى، وليس مع دنيا زائلة أو عرض عاجل لا يدوم، فهناك فرق كبير وبون شاسع بين الثبات على الحق وبين العناد، فلندر إذن مع الحق حيث دار، وإن لم نربح منه عاجلاً فسوف نربح منه آجلاً، فإن أسهم التعامل في بورصة التجارة مع الله تعالى في ازدياد دائم حسب قانون الله «والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»[(1)]، والله يضاعف لمن يشاء، وذلك بعكس التعامل في بورصة الدنيا والتي تتأرجح أسهمها بين الزيادة والنقصان.

وعلينا ألا نستجيب للمزايدين، فإن المزايدة تضيع الممكن في طلب المستحيل، ورحم الله رجلاً أبصر زمانه فاستقامت طريقته، ونحن لا

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري [41] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، والنسائي في الجتبى [2392] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما وابن ماجه [3823] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وأبو داود [343] عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما.

نملـك عصـا سـحرية لحـل كـل المشـكلات، وإنمـا بـذلنا قصـارى جهـدنا متوكلين في ذلك على الله تعالى، وقد يكون الزمن جزءً من العلاج، وإننا لم نتعامل مع المبادرة بمنطق وفهم تاجر قصـير النظـر لا يـرى إلا تحت قدميـه ولا يحسـب إلا ربح يومـه العاجل، ولكننـا تعاملنـا بمنطـق وفهم الدعاة إلى الله سـبحانه الـذين ينظـرون إلى مرضـاة اللـه رب العـالمين، وإلى مصالح ديننا العظيم، وإلى مصالح المسلمين في الدنيا والآخرة.

فعلى كـل مسـلم يُقـدم مصـلحة دينـه وأمتـه على مصـالح ورغبـات نفسه، ألا يتعامل مع المبادرة بالحسـابات الماديـة الـتي تحكمهـا مقـدرة العباد، ولكن عليه أن يتعامل معها بمنطق الشرع والـدين، والـذي تحكمـه قدرة ومشيئة رب العباد تبارك وتعالى.

على كـل مسـلم يفهم دينـه فهمًـا صـحيحًا ألا يتعامـل مـع مبادرتنـا بأسلوب صاحب الدنيا ضيق الأفق الذي لا ينظـر إلا إلى الـدنيا ولا يـرغب إلا في متاعها، ولكن عليه أن يتعامل معها بأسـلوب صـاحب الـدين الـذي يتخذ من دنياه معبرًا لآخرته ووسيلة لمرضاة ربه.

ولعـل الجميـع قـد لمسـوا أن الجماعـة الإسـلامية بعـد المبـادرة قـد تغـيرت إلى الأحسـن والأفضـل، ولقـد راهن الكثـيرون على أن هـذه المبادرة لن تقبل وسيكون أبناء الجماعة أول من يرفضها، ولكن الواقـع أثبت غير ذلك، فلقد صدق حدسـنا في أبنـاء الجماعـة فأصـبحوا خـير من يقـوم بتفعيـل المبادرة وداروا معهـا متغـيرين إلى الأحسـن في فهمهم لدينهم، وفي المحافظة على مصـالحه، وأصـبحت الجماعـة أفضـل كثـيرًا من ذي قبل.

وفي ختام تقدمتنا لهذا الكتاب نقول لإخواننا في الجماعة الإسلامية ولكل أخ مسلم صالح:

إن عليكم أن تعلموا أنكم أنتم، بطاعتكم لله تعالى والـتزامكم بدينـه العظيم وحسـن تقـديركم للأمـور وحفظكم لمصـالح الـدين والـوطن، ستظلون دائمًا زهرات هذا المجتمع النقية الطاهرة الـتي ينبعث عطرهـا الـزكي في كـل اتجـاه، لتبعث في هـذا المجتمـع قيم الاسـلام العظيم وأخلاقه ومبادئه السامية التي ترتقي بها الحياة إلى الأفضـل في الـدين والدنيا، لنعيد حضارة سـلفنا الصـالح، واعلمـوا أن المجتمـع المصـري لن يستغني يومًا عنكم، فأنتم جزء عزيـز من قلبـه ومن كيانه، ولن تسـتغنوا أنتم عنه لحظة واحدة، فهو المدرسة التي فيها تعلمتم قيمكم ومبـادئكم وأخلاقكم، وهو البيئة التي جعلت منكم رجالاً صالحين.

واعلمـوا أن المجتمـع والـوطن في حاجـة إلى أيـاديكم الطـاهرة النظيفة المتوضئة، وإلى وجوهكم الساجدة الخاشعة في كـل لحظـة من تاريخه، وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي تعاني فيه أمتنـا الإسـلامية

أصعب أزمة مرت بها عبر تاريخها الطويل، فكونوا أبر أبناء الوطن بالوطن وخير أبناء الاسلام للاسلام، وأكرم عباد الله بعباد الله، فهذا هو دوركم ومقامكم الذي يريده منكم الاسلام.

واذا كان لكل وقت عبادة تميزه عن غيره، فإن خير عبادة في هذا الأوان الصعب هو المحافظة على قوة هذه الأمة وقوة الروابط بين أبنائها، كونوا كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» متفق عليه عن النعمان بن بشير[1].

وفي رواية لمسلم «المسلمون كجسد واحد اذا اشتكى عينه اشتكى كله، واذا اشتكى رأسه اشتكى كله»[2].

ونقول: إن أكثر شيء نتقرب به إلى الله تعالى، بعد الايمان بالله ورسوله وأداء فرائضه، هو هذه المبادرة التي كانت كشجرة طيبة لم تنتج من الثمار إلا طيبًا.

وإن أكثر ما نتوسل به إلى رب العالمين سبحانه هو هذه المبادرة التي أرجو الله تعالى أن يتقبلها قبولاً حسناً.

وأفضل عمل أرجو له القبول عند ربي جل وعلا هو هذه المبادرة التي أدعو الله أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم.

بل إننا نقول: «إن أفضل سنوات عمرنا وأجلها تلك السنة المباركة التي تم فيها تفعيل المبادرة لتدخل الفرحة بيوتاً وصدورًا طالما سكنتها، وقوضت أركانها الآلام والأحزان ويعم الخير أرض الكنانة التي أناط الله تعالى بأهلها مهمة القيام بدور القلب النابض بالحياة للأمة الإسلامية.

وإن أفضل قربة إلى الله سبحانه هي قضاء حوائج الناس وتفريج كربهم، وقد يكون هذا العمل في هذا الوقت أفضل من نوافل الطاعات، وقد كانت المبادرة بفضل الله جل شأنه سبباً في قضاء الكثير والكثير من حوائج الناس وتفريج كرب الكثيرين وحقن دماء مسلمة طاهرة وتجفيف دموع وتخفيف آلام مئات الأسر التي طال عناؤها.

وقد تضمن كتاب «نهر الذكريات» كل ما حدث لهذه التجربة الفذة، ما سبقها وما لحقها والشبهات التي أثيرت وموقف الحكومة منها وشهادات لكتاب معاصرين شهد معظمهم، كالأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس تحرير المصور، بينما بنى الشهود الآخرون شهادتهم على المجموعة التي قدمتها وما عرف عنهم.

---

(1) رواه البخاري [6011]، ومسلم [2586/66].

(2) رواه مسلم [2586/67] عن النعمان بين بشير رضي الله تعالى عنه.

ويمضي كتاب «نهر الذكريات» في سرد القصة منذ بدأت، وكيف يتم اللقاء والتحيات المتبادلة، وجو الثقة، والرغبة، وكلمات الوداع العاطفية في آثار انتهاء الجلسات، كما ذكر الكتاب في أحد فصوله مجمل المحاضرات.

تقييم عام لهذه الجهود:

إن ما تقوم به الجماعة الإسلامية منذ أن بدأت مبادرة العنف حتى اليوم من إصدار الكتب التي تعالج مختلف جوانب الدعوة الإسلامية وتبدد الشبهات التي ضللت المجموعة وغيرها حيناً من الدهر، واستمرار هذا الجهد، بل وتفتحه على «الإنترنت».

نقول: إن هذه الجهود نافعة ومفيدة دون ريب، وأنها خلصت السلفية مما علق بها من أفكار سقيمة، ولكن تظل المشكلة قائمة، لأن المشكلة هي السلفية نفسها، فالسلفية هي قضية الماضي، وليست قضية الحاضر أو المستقبل، إن استكشاف آفاق جديدة في الفكر الإسلامي يجب أن لا تتوقف أو تتمحور حول السلفية، ولكن ما بعد السلفية، أي الحاضر الذي نعيش فيه، وهنا لا يكفينا فكر الأسلاف، بل لابد أن نسترفد من العصر الحديث بعض روافده الخاصة التي لا يمكن قيام المجتمع الحديث إلا بها، إن قوة الإسلام لا تكمن فيما وضعه من أصول ومبادئ فحسب، ولكن أنه فتح باب الفكر على مصراعيه عندما اصطنع العقل ونادى بالحكمة لأنه يعلم حق العلم أنه ما من عمل يمكن أن يكون مجديًا إلا بعد أن يلم، بل ويحكم، بفلسفة العصر، ويصفي ما بينه وبينها من عناصر ائتلاف أو اختلاف، وبهذه الخطوة يمكن أن يثبت وجوده في هذا العصر، ودونها لا يمكن أن يدخل عالم العصر وأن يفيد من إنجازاته، ونحن في هذا لا نرتكب مخالفة، ولا نستقوي بعنصر خارجي لأن الإسلام نفسه أقر هذا وطالب بهذا، وقال «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ»، ولابد أن نفهم أن الشخصية النمطية التي اصطنعها الفكر الإسلامي التقليدي التي تسرف في العاطفة وتبخل في العقلانية ليست هي الصورة المثلى للشخصية الإسلامية إنها بنت عصور قديمة، وضرورات وملابسات فرضتها ولم تستطع الأجيال التحرر منها للقداسة التي أحيطت بها حتى ظن أنها الحقيقة، ولأنه لم يكن لديهم بديل، وهذه كلها لم تعد اليوم ما كانته بالأمس، فضلاً عن أن ضرورات التطور لن تدع لنا خيارًا، ومن هنا فإن الموقف اليوم غير الموقف بالأمس، ويمكننا أن نحقق هذه «القفزة» إلى العصر وصميمه دون أن نضحي بشيء من جوهر الإسلام أو رسالته الخالدة، بل إننا نثبتها ونثبت وجودها.

ونحن نفهم تمامًا أن هذا يجاوز قُدرة هذا الجيل الذي «تقمص راضيًا مختارًا» الشخصية النمطية التقليدية ورأى فيها أفضل النماذج،

ومن ثم فمن الظلم أن نكلفه القيام بها، ولكن الجيل الجديد من شباب الدعوة الإسلامية هو الذي يمكن أن يقوم بها.

* * *

ليس أدل على أن مبادرة العنف كانت خطوة موفقة من أن هذه الخطوة تلاها مبادرة أخرى قام بها الدكتور فضل في عام 2007م استعرض فيها قضية استعمال العنف والأفكار الجهادية التي كانت وراء عمل «الجهاد» و«الجماعة إسلامية» وغيرهما وفندها على أسس فقهية وبدرجة عالية من الإحكام ونشرت هذه الدراسة في جريدة «المصري اليوم» مسلسلة، وطلب إلينا أن نكتب تعليقاً عليها، وقمنا بذلك ونشر في ديسمبر سنة 2007م وغطى صفحتين كاملتين وفي آخره وتحت عنوان «تقييم الوثيقة»، قلنا:

«حرصنا على أن نقدم للقارئ تلخيصًا يعطي الفكرة العامة لها حتى يمكن له أن يتفهمها، وأن يتفهم تقييمنا لها:

فأولاً: لا جدال أن الوثيقة قدمت فهمًا سلفيًا سليمًا قائمًا على الأدلة الشرعية من قرآن وسُنة، وأحكام الفقهاء، عما أرادته، وهو أن أسلوب العنف سواء في الداخل أو الخارج وسواء وُجِّه للحكام أو للأفراد لا يُعد هو الأسلوب الأمثل ليس فحسب من الناحية الفقهية، ولكن أيضًا من الناحية العملية، والعمل هو الذي يحكم على القول، فقد باءت كل الجهود التي بذلتها الجماعات الإسلامية، بدءًا من جماعة شكري مصطفى، أو سرية، أو الجماعات الإسلامية، أو الجهاد، ومن قبلهم سيد قطب والمودودي بالفشل في أن تهدم باطلاً، وأن تقيم حقاً، لأن ذلك لا يمكن لها أن تحققه في العصر الحديث لما تتمتع به السلطات من قوى، وبالتالي فإن الوثيقة ستحمي أجيالاً من الشباب من الانزلاق إلى الدعاوى التي انزلقت إليها الجماعات الإسلامية أو أن تعيد محاولاتها الفاشلة التي لم تنجح وزجت بالألوف إلى غيابات السجون عشرات السنين، وسيحدث هذا للكثيرين الذين هم في السجون الآن لأنهم شهود أحياء على فشل محاولاتهم وعدم سلامة تصوراتهم الأولى.

وعندما تنشر هذه الوثيقة في كتاب فستحظى بالانتشار، وسيكون هذا معوقاً لظهور هيئات تدَّعى الجهاد.

ثانيًا: مع هذا فلن تنجح الوثيقة في تحويل بعض الدعاة الذين مضوا بعيدًا بحيث أصبح ماضيهم يحكمهم، ودعوتهم بالنسبة لهم نوع من الإدمان «العقيدي»، كما لن تنجح الوثيقة في التأثير على رؤوس القاعدة الكبار أو المسئولين فيها حتى لو تأثر شيئاً الأساس الفقهي والشرعي لهم، فلا يمكن أن يخسروا وضعهم المميز

الذي اكتسبوه لأي سبب، وفي الحقيقة، فما من وثيقة يمكن أن تؤثر عليهم، والتطور وحده هو الذي سيحكم عليهم.

ثالثاً: لعل أكبر مآخذ على الوثيقة هو أنها اعتمدت على أقوال فقهاء مثل ابن تيمية وابن القيم، لأن هؤلاء لهم أقوال أخرى تتناقض مع أقوالهم التي استشهدت بها الوثيقة، فابن تيمية هو الذي لخص الولاء والبراء في «يوالي المسلم المسلم حتى لو أساء إليه ويتبرأ من الكافر حتى لو أحسن إليه»، وهي صيغة لا تسمح بسلام مع الآخر، كما أن ابن القيم رغم بعض آرائه الفريدة فإنه أيد «العهدة العمرية» المزعومة، وما فيها من أحكام تعد سُبة ولا يمكن الأخذ بها، [والتي وصل الإيمان بها درجة جعلت الدكتور فضل يتقبلها ويعتبرها من الأصول، ولعل هذا هو أكبر ما يمكن أن يؤخذ على مراجعته]، بل قد يستشهد المعارضون بآراء الكاتب نفسه في كتبه السابقة التي كانت ــ ولا تزال ــ الأساس الفكري للهيئات «الجهادية» وكان من الخير له أن يعترف أنه أصدر أحكامًا بناء على اجتهادات وشواهد بدت له مقنعة عام 1988م عندما كتب كتابه الأول «العمدة في إعداد العدة» بحكم الظروف وقتئذ ولم تتضح انعكاساتها البعيدة وقتئذ، ولكنه أعاد النظر فيها، وبحكم النتائج السيئة التي أسفرت عنها، ووجد من الأسانيد الشرعية ما يمكنه «ترشيدها»، وكان من الخير أن يظهر هذه النقطة ويعترف بها وأن هذا هو ما يتفق مع المصلحة، ومع منطق الإسلام الذي يرى أن الرجوع إلى الحق فضيلة، وأن من أقسم على شيء ثم رأى ما هو أفضل فليكفر عن قسمه، وليأخذ بالأفضل، وقد كان الإمام الشافعي لا يسامح من يأخذ بكتبه القديمة التي كتبها قبل أن يذهب إلى مصر وينتهي إلى فقهه الأخير.

رابعًا: من وجهة نظري أن مأساة «الجماعات الإسلامية» إنما تعود أساسًا إلى أزمة الفكر السلفي الإسلامي الذي يُعد بأسره غير صالح لهذا العصر، ولكن الجميع: المؤسسة الدينية الإسلامية (الأزهر) وكل التنظيمات الإسلامية على الساحة تأخذ به حتى وإن لم تنته إلى ما انتهى إليه فقه الجهاد الذي هو صورة من صور الغلو في هذا الفكر السلفي، والنقص في الفكر السلفي أنه لا يعتمد على العقل، ولا يعتمد على العصر ويتجاوز القرآن الكريم والسُنة ليجعل الأصل في الأحكام هو آراء المفسرين في القرآن وآراء أحمد بن حنبل في الحديث والسُنة.. الخ، ولكن هذا النقد لا يمكن أن يوجه إلى الوثيقة التي هي من ألفها إلى يائها سلفية، وأنها تقدم إلى سلفيين يعتبرون العدول عن السلفية مروقاً، لهذا لم يكن من المعقول للوثيقة الأخذ بما ذهبنا إليه.

وأخيرًا: لن يؤثر على أهمية الوثيقة وقيمتها العلمية ما يثيرونه من أقاويل وظنون، أولاً: لأن المهم هو «المقولة»، وثانيًا: لأن قائلها ممن لا يمكن أن يطوله شك لا في أمانته وإخلاصه ولا في تمكنه العلمي والفقهي، فالجميع يعترفون بأستاذيته. وفكرة الترشيد بالنسبة إليه ليست بنت سنة 2007م، ولكنها تعود إلى أوائل التسعينات، ففي سنة 1993م رفض بعض ممارسات الجهاد واستقال من إمارته، وحل محله الدكتور أيمن الظواهري وقد أشار هو إلى ذلك في محاولة الترشيد، فالخلاف فقهي أساسًا، وعندما سلمته السلطات اليمنية التي كانت تحتجزه إلى السلطات المصرية سنة 1994م وحوكم وحكم عليه بالسجن المؤبد، كان من العوامل التي أثرت في نفسه مقتل الطفلة شيماء في محاولة اغتيال الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء، وكان ذلك من أسباب رفضه للعمليات العسكرية، وهو ما يكشف عن نبض إنساني، ويذكرني بما جاء في مسرحية «العدول» لـ «البير كامو» عندما رفض أحد «النهليست» قذف قنبلة على عربة الدوق الكبير سيرجي، لأنه وجد طفلاً صغيرًا بجانبه، فرفض «أن يقيم العدل بالظلم»، وما أثارته الدعايات عن «صفقة» بينه وبين ضباط السجون فرية لا يمكن أن تنال من رجل في قامة الدكتور إمام، ولا يمكن أن يؤول ما قام به من اتصالات مع المسجونين، أو مع قادة السجن إلا بجزء من عملية توصيل الفكرة وحملهم جميعًا على الإيمان بها.

*** * ***

إذا كنا نريد أن نرد على التساؤل الذي بدأنا به هذا الفصل «هل تمد المراجعات من عمر السلفية؟».

فنقول نعم، إن هذه المراجعات برأت السلفية من أسوأ ما ألصق بها، أو ما أسئ فهمه منها، وبهذا ستتمكن من البقاء وقتاً، ولكن لما كانت تناقض التطور فلابد أن تأتي نهايتها، وبقدر ما نؤمن في أن نجعل الوقت الذي يحدث فيه هذا بقدر ما نحول دون إهدار الوقت الثمين الذي هو أبرز عنصر تخلفنا.

السلفية في الصحافة المصرية

طفت على السطح أنباء السلفية وتضخم أثرهم، ودفعت بهم الأحداث إلى العمل السياسي، وفكرت بعض فصائلها في تكوين حزب إسلامي شعبي سياسي، وهذه العوامل جعلت الحديث عن السلفية جانبًا هامًا من جوانب الاهتمام الصحفي، وعالجتها كل صحيفة من زاويتها الخاصة، فالبعض يورد الأقاصيص عنها أو الأخبار، بينما يعنى البعض الآخر بعرض قضية السلفية في الفكر الإسلامي.

ونحن نعلم بالطبع أن الأكاديميين لا يأبهون بكلام الصحف ولا يتخذون منه حجة أو دلالة، ولكننا نختلف، فالصحافة تعكس الرأي العام وتقدم صورة أمينة له وتصل إلى عمق السلفية المختفي.

ومن أهم ما نشرته الصحف في هذا المجال بحث للأستاذ عبد المنعم منيب عن حقيقة السلفية في مصر، وهو البحث الذي تعرض له بالنقد والتفنيد الدكتور محمد حسيني الحلفاوي الذي أصدر عددًا من الكتب عن السلفية حتى كاد أن يتخصص في موضوع السلفية، وجاء رده تحت عنوان «وثائق هدم الوطن.. الرد على مقال حقيقة السلفية في مصر»، جاء فيه:

وثائق هدم الوطن
الرد على مقال حقيقة السلفية في مصر

عند قراءتي لجريدة الدستور الغراء عدد (1210) بتاريخ 18/1/2011م لفت نظري مقال: «حقيقة السلفية في مصر» للأستاذ عبد المنعم منيب وعند قراءتي للمقال وجدته مليئًا بالأخطاء العلمية والإدعاءات التاريخية مما جعلنى أكتب هذا الرد إنصافاً للحقيقة العلمية ودعمًا للحوار البناء الذى تتبناه جريدتكم الكريمة حيث إنه من خلال الحوار تظهر الحقيقة.

وسأرد في نقاط محددة:

يقول: من أبرز المغالطات اتهام السلفية بتكفير الشيعة والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم، وهذا الكلام عار من الصحة ولا يوجد أي نص مكتوب أو منطوق لعلماء ودعاة السلفية في مصر يردد هذه الدعوى. إن هذا الإتهام لا يؤيده أى دليل في الدنيا.

الـــرد: بكل أسف هـذا الكلام لا يقولـه إلا إنسـان غـير مطلـع نهائيًـا على فكر السلفية (الوهابية) المصـرية، ناهيـك عمن يعتـبر نفسـه خبـيرًا بالحركـات الإسـلامية أو أن الأسـتاذ عبـد المنعم مـنيب يحـاول تبـييض وغسـيل وجـه السـلفية (الوهابيـة) المظلم، وأعـرض على سـيادته عينـة بسيطة جدًا جدًا من فتـاوى تضـليل وتكفـير السـلفية الوهابيـة المصـرية للشيعة والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم.

تكفيرالشيعة:

في العـدد (7) ص (10) المجلـد (16) مجلـة التوحيـد وتحت عنـوان «الشيعة»، بقلم محمد علي عبد الرحيم الرئيس العام، جاء فيه: «الشيعة ـــ كفـرة ـــ وإذا كـان بعض السـذج من المسـلمين يعتقـدون أنهم من المسلمين بحجة أنهم يقولون لا إله إلا الله، فقد صدق فيهم قوله تعالى «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ»، فهم ينطقون بالشـهادة ولا يعملون بمقتضاها.

وفي العدد (6) ص (6) المجلد (22)، وتحت عنوان «عودة الشـيعة»، بقلم صفوت الشوادفي، جاء فيه: «الشيعة أكثر فرق الأمة الضالة ضـلالاً وكفرًا».

وفي العــدد (4) ص (2) المجلــد (2)، وتحت عنــوان «آل الــبيت بين الهوى والإنصاف»، بقلم محمد صفوت نور الدين، جاء فيه: «دين الشيعة مبنى على عبادة القبور، والشرك الصريح بالله رب العـالمين، والمطـالع لكتبهم في القــديم والحــديث يعلم أنهم «عبــاد أوثــان»، وهم صـــنيعة اليهود، وتاريخهم ملوث بالدماء.

ويقول ياسر برهامي «الخلاف في تكفير شيعة إيران والعراق خلاف شائع بين أهل السُـنة فهم يقفون على حرف، ومن العلماء من يكفـرهم والراجح، إن كفرهم كفر نوع، وليس كفر عين»، كتاب شرح منة الرحمن في نصيحة الإخوان، ص360.

تكفير الأشاعرة:

في العـدد (10) ص (66) المجلـد (31) وتحت عنـوان «صـفة الرؤيـة الحلقة الثالثة»، بقلم أسامه سليمان، جاء فيه: «يُعتـبر الاشـاعرة إحـدى الفرق الملحدة والمخالفة لأهل السُـنة في توحيد المعرفة والاثبات».

وفي العـدد (4) ص (26) المجلـد (18) مجلـة التوحيـد، وتحت عنـوان «التعريف بالبدعـة وأشـهر أحكـام المبتـدعين»، بقلم محمـد عبـد الحكيم القاضي جاء فيه: «أعتبر الأشاعرة من الطوائـف المبتدعـة، وإن جماعـة من السلف قاموا بتكفيرهم».

وفي العدد (4) ص (20) المجلد (33)، وتحت عنوان «القـول السـديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»، بقلم عبد الرازق عبـد المحسـن البدر جاء فيه: «المتكلمين أمثال الشهرستاني والبيجوري يهملون توحيد الألوهية فهذا النوع من التوحيد لا ذكر لـه عنـدهم البته»، ثم قـال «ومن المعلوم أن المشركين لو أقروا بـذلك كلـه ـــ أي مـا يقـره علمـاء الكلام والأشاعرة ــ لم يخرجوا من الشرك الذى وصـفهم الله بـه في القـرآن، وقاتلهم عليه الرسول ﷺ ما لم يأتوا بتوحيد الألوهية».

ويقـول أبـو إسـحاق الحويـنى «عقيـدة الأشـاعرة أقبح من عقيـدة النصارى»، سلسلة البدعة وأثرها في محنة المسلمين.

تكفير المعتزلة:

في العدد (1و2) ص (40) المجلد (4)، وفي مقـال لمؤسـس جماعـة أنصار السُـنة المحمدية محمد حامد الفقي بعنوان «الهوى يهوي بصـاحبه إلى أتعس عاقبة»، يقول فيه «من يقول إن القـرآن مخلـوق فهـو ملحـد وزنديق»، وكما هو معروف هذا قول المعتزلة.

تكفير الصوفية:

في العدد (9) ص (29) المجلد (2)، «وحدة الأديان عند الصوفية لعبد الرحمن الوكيل»، جاء فيه: «إله الصـوفية هـو عين الصـنم في الجاهليـة والعجل في السـامرية»، «إن كبـار الصـوفية يكفـرون بـالبعث وبـالجزاء، لأنهم يكفرون بالألوهية والربوبية».

وفي العـدد (7) ص (22) المجلـد (20) وتحت عنـوان «أوليـاء اللـه وأولياء الشـيطان»، بقلم بـدوى محمـد خـير، جـاء فيـه: «دين المتصـوفة حَمَـلَ كـل وثنيـات الأمم السـابقة بـدءً من البوذيـة ومـرورًا بالإغريقيـة وإنتهـاءًا بفكـر الشـيعة والباطنيـة، وضـم بين جنباتـه عقائـد اليهـود والنصارى، وشركيات الجاهليـة العربيـة الأولى، وكـانت مصـر رائـدة في ذلك حين احتضنت دعوة الشيعة».

وفي العـدد (5) ص (26) المجلـد (29) وتحت عنـوان «الفتـاوى»، بقلم لجنة الفتـوى بـالمركز العـام، جـاء فيـه: «زيـارة الأضـرحة وقـراءة الفاتحة والتبرك بآل البيت هو عين الشرك».

ويقول ياسر برهامي بكفر «ابن عطاء الله السـكندري وأبـا الحسـن الشـاذلي وإبـراهيم الدسـوقي»، كتـاب شـرح منـة الـرحمن في نصـيحة الإخوان، ص34.

ويصف محمد حسان ضريح السيد البدوي «بالصـنم»، انظـر منتـديات روض الرياحين 4/9/2008م.

علاوة على تكفير علماء الأزهر الشريف العدد (7) ص (22) المجلـد (25)، تكفير وزارة الأوقـاف المصـرية العـدد (8) ص (16) المجلـد (16)،

تكفير جامعة الأزهر العدد (3) ص (20) المجلد (7)، تكفير وزارة الثقافة المصرية العدد (3) ص (6) المجلد (29)، تكفيرالعلامة يوسف الدجوي العدد (431) المجلد (16)، وتكفير الشيخ أحمد حسن الباقوري العدد (11) ص (44) المجلد (8)، وتكفير الإمام عبد الحليم محمود العدد (8و9) ص (58) المجلد(3)، ناهيك عن تكفير نجيب محفوظ العدد (2) ص (8) المجلد (21)، وتكفير طه حسين العدد (3) ص (6) المجلد (29)، وتكفير الموسيقار محمد عبد الوهاب ومحمد الكحلاوي العدد (6) ص (42) المجلد (20)، تكفير جمال الغيطاني العدد (2) ص (8) المجلد (21)، تكفير محمد حسين هيكل العدد (7) ص (27) المجلد (23)، تخوين سعد زغلول العدد (3) ص (6) المجلد (23)، وغير ذلك كثير.

فهل بعد هذه النقول من مصادر السلفية الوهابية المصرية يقول الأستاذ منيب: «لا يوجد نص مكتوب أومنطوق بأن السلفية المصرية تكفر الشيعة والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم، وأنه لا يؤيد هذا الإتهام أي دليل في الدنيا»!!!

يقول: العديد من قادة جماعة أنصار السُنة المحمدية والجمعية الشرعية كانوا من علماء الأزهر الشريف ومازالوا.

<u>الرد</u>: هذا الكلام صحيح بالنسبة للجمعية الشرعية، وخطأ بالنسبة لجماعة أنصار السُنة المحمدية.

فجميع رؤساء الجمعية الشرعية أزهريون، وهذا ما نأى بالجمعية الشرعية حتى الآن عن التطرف والإرهاب، ولم يخرج عنها فتاوى تبدع وتفسق وتكفر المسلمين، وذلك رغم أن الوهابية تحاول مرارًا إختراقها بالدعم المالي، ولكن وجود علماء الأزهر بها هو الذي حماها من الوقوع في ظلمات الوهابية.

أما جماعة أنصار السُنة المحمدية، فلا.. وألف لا، فبرغم أن مؤسسها الأول محمد حامد الفقي أزهري، ولكنه أخذ من الأزهر مجرد شهادة فقط، ولكن فكره وهابي قلبًا وقالبًا.

فالأزهر عنده لا يعرف التوحيد الحق!!! المرجع (المجموع للشيخ حماد الأنصاري) جـ (1) ص (294،297).

والصوفية كفار.. محاضرة ألقيت بالمركز العام لجماعة أنصار السُنة المحمدية، يوم السبت بتاريخ 22/2/1958م.

ويكفر الإمام أبى حنيفة النعمان المصدر كتاب (سر تأخر العرب والمسلمين) للغزالى ص (49)، طبعة دار القلم.

وقام بنشر المجلد الثالث عشر من كتاب تاريخ بغداد بدعم من الثري الوهابي النجدي محمد نصيف لا لشيء إلا لتكفير الكتاب للإمام أبى حنيفة، وترجم الوهابيون هذا المجلد للغة الأوردية ووزعوه مجاناً على

مسلمي الهند الأحناف، لولا أن فضح مؤامرتهم العلامة محمد زاهد الكوثري وأخبر الأزهر الشريف!!!

فهل بعد ذلك يجوز نسبة محمد حامد الفقي للأزهر الشريف؟!!

وكذلك عبد الرزاق عفيفي وعبد الرحمن الوكيل، فرغم تخرجهما من الأزهر إلا أنهما اعتنقا الفكر الوهابي وأصبحا من وكلائه في مصر وتناسيا ما تعلماه في الأزهر!!!

أما باقى رؤساء جماعة أنصار السُنة المحمدية، فليسوا أزهريين مطلقاً، راجع (كتاب وكلاء الوهابية في مصر) د. محمد الحلفاوى.

وكما قلت سابقاً إن موقف الأزهريين الذين يعتنقون الفكر الوهابي ويقومون بنشره بين العامة بدعوى أنهم علماء أزهر معتمدين مثلهم بالضبط مثل معالجي الأعشاب الذين يلتحقون بكلية الطب للحصول على شهادة معتمدة وعضوية نقابة الأطباء ثم عندما يمارسون الطب يطبقون طب الأعشاب لا ما درسوه في كلية الطب!!!

وهذا ما يطبقة دعاة الوهابية من خريجي الأزهر، فهم يقومون بالدعوة للوهابية تحت عمامة الأزهر متناسين ما درسوه وتعلموه في الأزهر، وهذا قمة التدليس والغش الفكري تمامًا مثل الغش التجاري ووضع ماركة ياباني على منتج غير صالح وذلك لترويجه!!!

يقول: بإنتماء بعض علماء الأزهر لمذهبي الأشاعرة والمعتزلة.

<u>الـــرد</u>: إن عقيدة الأزهر المعتمدة والمعروفة لجميع العلماء هي الأشعرية والماتردية، وهي عقيدة جماهير علماء الأمة، وهي عقيدة أهل السُنة والجماعة، فلا مجال للقول: إن عقيدة بعض علماء الأزهر هى الأشعرية، وكأن العقيدة الوهابية الحشوية المجسمة عقيدة ابن تيمية وابن عبد الوهاب تتقاسم الأزهر مع الأشعرية، فهذا إدعاء باطل.

أما موضوع المعتزلة فالأزهر الشريف يدرس جميع المذاهب الفقهية والإعتقادية المعتمدة ــ وليس منها بالطبع الوهابية ــ وليس معنى دراستها والإستفادة منها أن يقال إن الأزهر معتزلي، فهذا خطأ فاحش، وإلا فقد أخذ ابن تيمية إمام الوهابيين من المعتزله مسألة التحسين والتقبيح العقليين، فهل يجوز إتهامه بأنه معتزلي؟!!!

يقول: جماعة أنصار السُنة والجمعية الشرعية ليستا من التيار السلفي لسبب بسيط، وهو أن كلا منهما تتبنى أجزاء من عقيدة الأشاعرة، ولذلك يبتعد التيار السلفي عن هاتين الجماعتين.

<u>الــرد</u>: هذا الكلام غير مسبوق وفي غاية الغرابة والزيف وينم عن عدم معرفة بالتيارات والحركات الإسلامية لشخص يوصف بأنه خبير بالحركات الإسلامية.

إن جماعة أنصار السُنة المحمدية جماعة سلفية وهابية منذ نشأتها قلبًا وقالبًا، وهذا يعرفه من له أدنى معرفة بالحركات الإسلامية، والحركة الوهابية في السعودية تعتبرها الوكيل المعتمد لها في مصر.

فقد جاء بمجلة التوحيد المصرية لسان حال الجماعة العدد (12) ص(64) المجلد (27) وتحت عنوان من روائع الماضي «الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود في ضيافة جماعة أنصار السنه المحمدية»، بقلم: رئيس التحرير، جاء فيه: «بقول الأمير نايف: إن هذه دارنا، وأنتم إخواننا، وإذا كان فضيلة الشيخ عبد الله آل إبراهيم الفضل سفيرنا السياسي في القاهرة، فأنتم سفراؤنا الدينيين في كل مكان، وأعلن تبرعه بمبلغ 200 جنيه سنويًا للجماعة»، وذلك في 19/4/1954م.

وفي أحد الفتاوى طلب أحد الطلاب المصرين مساعدة من أحد علماء السعودية الكبار «ابن باز»، فبدلاً من أن يقول له العالم الجليل اكتب طلب وزكِّه من السفارة السعودية بالقاهرة، قال له اكتب طلب وزكِّه من رئيس جماعة أنصار السُنة المحمدية بمصر «محمد علي عبد الرحيم»، وهذا شيء له معنى ودلالة خطيرة جدًا، أي إن جماعة أنصار السُنة المحمدية في مصر هي التي تنوب عن علماء السعودية وليس السفارة.

أم أن الأستاذ منيب سيقول: إن ابن باز ليس سلفيًا؟!

وفي العدد (2) ص (41) المجلد (24) مجلة التوحيد وتحت عنوان «أنصار السُنة تمثل جماعة المسلمين الحقة في مصر»، بقلم: دار الإفتاء السعودية، جاء فيه: «إجابة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية» عن رأيها في جماعة أنصار السُنة المحمدية بمصر والسودان فكان الجواب: «إنها جماعة سُنية سلفية.. وهى تمثل جماعة المسلمين الحقة في وسط مجتمعاتها التى تعج بأنواع الفرق والنحل»، يقصد مصر والسودان.

وأود أن يقول لنا الأستاذ منيب في أى المسائل تأخذ جماعة أنصار السُنة المحمدية بالعقيدة الأشعرية؟!! فالمعروف أن الجماعة من أشد أعداء الأشاعرة.

يتهم خريطة السلفية في مصر كما عرضها المفكر الدكتور رفعت سيد أحمد بأنها خارطة مزيفة، ومعلومات مغلوطة، وأنها غير صحيحة بالمرة، وأنها غير موجودة إلا في خياله، ولا وجود لها في الواقع على أرض مصر.

الـــرد: الخريطة التى أوردها الدكتور رفعت سيد أحمـد عن السـلفية في مصر خريطة صـحيحة 100%، ومطابقـة للواقـع ولا يمـارى فيهـا إلا مكابر أو جاهل.

أليست جماعة أنصار السُـنة المحمدية، وجماعـة دعـوة الحـق، وبعض فروع الجمعية الشرعية، والحوينى وحسان ويعقوب ومصـطفي العـدوي ومسعد أنـور وياسـر برهـامي، ومجلـة التوحيـد، والهـدى النبـوي، وقنـاة الناس سابقاً، والرحمة سابقاً، ومواقع أنا السلفي، وصـوت السـلف، هم أعمـدة السـلفية الوهابيـة في مصـر؟!! أم أن هـؤلاء ليسـوا سـلفيين أيضا؟!!

يقـول: السـلفية تيـار قـديم جـدًا في مصـر منـذ العصـور الوسـطى الإسلامية.

الـــــرد: هذا كلام لم يسبق إليه الأستاذ منيب، فهل يقصـد بالعصـور الوسـطى الإسـلامية عصـر ابن تيميـة؟! أظنـه يقصـد ذلـك.. ألم يعلم سيادته أن فكر ابن تيمية فكر شـاذ مرفـوض من جميـع علمـاء المـذاهب الإسلامية وأن جميع العلماء في عصره حذروا من فكره وخطورتـه على العقيدة الإسلامية، وعندما لم يلتزم بتوبتـه سـجنوه بـأمر القضـاء ومـات مغضوبًا عليه من جميع علماء المذاهب، ومات فكره إلى أن أحيـاه محمـد بن عبد الوهاب!!! وكان الفكر السائد في عصر ابن تيميـة هـو الأشـعرية في العقيدة والتصوف في الأخلاق والمذاهب الأربعة في الفقـه، فمـتى وجدت إذا السلفية المزعومة؟!!

علاوة على أن السلفية ليسـت مـذهبًا إسـلاميًا، ولكنهـا فـترة زمنيـة ومرحلة مباركة تمثل القرون الفاضلة الأولى، وهذه القرون لم يكن بهـا مذهب محدد ومعروف بالسلفية، بل كان بها آراء إجتهادية كثيرة مستندة للكتاب والسُـنة، حتى وضع العلماء علم أصول الفقه ليكون ميزانـاً لفهم النصوص، وهذا العلم أيضًا به أشياء متفـق عليهـا وأشـياء مختلـف فيهـا، وكـل من يلـتزم بهـذا المـيزان فهـو على الحـق، انظـر كتـاب «السـلفية مرحلة زمنيـة مباركـة وليسـت مـذهبًا إسـلاميًا» للعلامـة السـوري محمـد سعيد رمضان البوطي حيث يقول: إنّ السلفية لا تعني على كلّ حـال إلاّ مرحلة زمنية مـرت.. فـإن قصـدت بهـا جماعـة إسـلامية ذات منهج معين خاص بها، يتمسّك بـه من شـاء، ليصـبح بـذلك منتسبًا إليهـا منضـويًا تحت لوائها، فتلك إذن إحدى البدع المستحدثة بعد رسول اللّه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ص 23.

يقول: جمعية الهدايـة برئاسـة الشـيخ محمـد الخضـر حسـين جمعيـة سلفية.

الـــــرد: إن القـول بـأن جمعيـة الهدايـة جمعيـة سـلفية بـالمفهوم الوهابي للسلفية.. كلام خاطئ.

فقـد كـان الشـيخ محمـد الخضـر حسـين (1876-ـ 1958م) مؤسـس الجمعية أشعري العقيدة، صوفي المشرب، وزار قبرالشيخ الأكـبر محـيي الدين بن عربي قائلا: قصدت إلى مقـام الأسـتاذ الشـهير الشـيخ محـيي الدين بن عربي ــ رضـى اللـه عنـه ـــ (كتـاب الـرحلات) ص (65)، مـع أن السلفية الوهابية تكفر ابن عربي، فكيف يكون الشيخ الخضر سلفيًا؟!!

يقول عبد الرزاق عفيفي السلفي الوهابى منتقدًا كتب الشيخ محمد الخضر حسين: «إنه خالف مذهب السلف في مبحث المحكم والمتشـابه» في (ص 38 – 44 من كتابـه بلاغـة القـرآن) فجعـل نصـوص المحكم والمتشابه في الكتاب والسُـنة من المتشابه وتأولهـا بحملهـا على معـنى مجازي معين سوى المعنى الحقيقي أو التفويض في أصل المعنى.

ويقــول أيضًــا: «إنــه ســلك مســلك المــؤولين لنصــوص الأســماء والصفات»، فأول حديث «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الـرحمن عـز وجـل وكلتـا يديـه يمين الـذين يعـدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»، فخالف في ذلك مـذهب السـلف الـذين أثبتـوا صـفة اليمين للرحمن حقيقة مع قولهم بـالمعنى الكنـائي الـذي فسـره الشـيخ أيضًـا، ولكن المؤلـف كمـا تقـدم لم ينفـرد بـذلك، بـل تبـع فيـه مـذهب الأشعرية، ومن سلك مسلكهم كما تقدم.. والله الموفق.

ويقول أيضًا: «إنه قرر مشروعية الاحتفال بـه ورضـى بـذلك لنفسـه وللمسـلمين دينـاً، وامتـدح من عـنى بـذلك بحجـة أن من احتفلـوا بـه لم يفعلوا إلا مثل ما فعله حسان بن ثـابت وعلي بن أبي طـالب والـبراء بن عازب وأنس بن مالك ــ رضـي اللـه عنهم ـــ ممن يتحـدثون عن محاسـن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة».

علاوة على أن الشيخ محمد الخضر حسين كـان رئيسًـا لتحريـر مجلـة نور الإسلام التي عدَّد فيها العلامة يوسف الدجوي أخطار الوهابيـة، ولم يعترض على ذلك، وذلك قبل توليـه مشـيخة الأزهـر الشـريف، فهـل بعـد ذلك يقال إن الشيخ الخضر حسين وجمعيته سلفيين بمفهوم الوهابية؟!!

يقول: السلفيون لا تجمعهم منظمة واحدة.

الـــــرد: بـل تجمعهم اللجنـة الدائمـة للإفتـاء والدراسـات والبحـوث بالسعودية، وهى التى تدعمهم ماليًا وسياسيًا، فقـد جـاء بمجلـة التوحيـد المصـرية، العـدد (2) ص (43) المجلـد (39 وتحت عنـوان «تقريـر مجلس إدارة المركز العام»، عن الأعمال الـتي قـام بهـا في الفـترة من أكتـوبر 1972م إلى آخر ديسمبر 1974م ألقاه الرئيس العام جاء فيه:

أنه لم يمضِ سوى شهرين على شهر الجماعة حتى أمكنه شهر ما يزيد على 15 فرعًا.

تم استضافتهم بالسعودية الرئيس والشيخ إبراهيم عزت وأربعة من الجماعة سافروا لأداء فريضة الحج في ضيافة معالي الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف السعودي ضيافة كاملة طوال موسم الحج.

وخلال موسم الحج تمكنت الجمعية من الحصول على عدد من المزايا من لدن المملكة السعودية منها:

- **موافقة الملك فيصل على إقامة مركز إسلامي للجماعة سيتكلف 100 ألف جنيه مصري.**
- **الحصول على 9 منح دراسية بالمملكة.**
- **تخصيص 5 دعوات ضيافة كاملة لأنصار السُنة المحمدية كل عام خلال موسم الحج.**
- **إقامة ربط بين أنصار السُنة بمصر والسودان والهند وباكستان والمركز الإسلامي باليابان وتزويده بالكتب السلفية.**

وفي العدد (6) ص (13) المجلد (19) وتحت عنوان «باب الفتاوى» بقلم: محمد على عبد الرحيم جاء فيه: «فليطمئن القارئ.. حيث إن الصلات قائمة مع كبار علماء السعودية، وخاصة مع علامة المجتهدين الشيخ عبد العزيز بن باز ومن حوله من العلماء».

وفي العدد (4) ص (64) المجلد (22) نجد خطابًا رسميًا من وزارة الإعلام السعودية ـــ مكتب الإعلام الخارجى ـــ موجه للأستاذ صفوت الشوادفي رئيس التحرير يفيد موافقة وزارة الإعلام على الاشتراك في المجلة بواقع 500 نسخة بسعر النسخة 20 دولار أمريكى أي ما يوازى 10000 آلاف دولار في السُنة، على أن توزع النسخ بمعرفة سفارة خادم الحرمين الشريفين بالقاهرة عدا 50 نسخة ترسل لوزارة الإعلام، بتوقيع د. شهاب محمد مكي جمجوم وكيل وزارة الإعلام المساعد للإعلام الخارجى، ثم شكر من المجلة لهذا الدعم الكبير.

فكيف يقال بعد ذلك إن السلفية الوهابية لا تجمعهم منظمة واحدة؟!

يقول: التيار التقليدى السلفي يمثله الدكتور أسامة عبد العظيم أستاذ أصول الفقه بالأزهر وإن هدفه تنقية الدين من البدع خاصة المرتبطة بالتصوف والأضرحة ومنع المسلمين من الإفتتان بالحضارة الغربية ومرتكزاتها الفكرية المخالفة للإسلام.

الــــرد: الصحيح أن التيار السلفي التقليدى تمثله جماعة أنصار السُنة المحمدية في مصر باعتماد واعتراف دار الإفتاء السعودية، كما

تقدم، أما الدكتور أسامة عبد العظيم فهو ضمن الوهابية الجامية نسبة إلى الشيخ محمد علي أمان الجامي أستاذ العقيدة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والذى ترى الطاعة المطلقة للحاكم وعدم الاشتغال بالسياسة.

يقول: السلفية العلمية ترفض العمل الحزبى والدخول في إنتخابات مجلسي الشعب والشورى.

الـــــرد: إن رفض السلفية العلمية ــ مع تحفظنا على الاسم ــ للتطور الذى حدث في علم السياسة خطأ فادح وأخطر ما فيه أنه يحدث باسم الإسلام!!! فهل يوافقنا الأستاذ منيب في هذا الرأي؟!! هل نرجع للعصور المظلمة؟!!!

يقول الدكتور سعيد النجار: «إن الأخذ بمكتسبات العقل في العلوم الإجتماعية والسياسية لا مفر منه إذا أردنا للبلاد الإسلامية العزة والمنعة في مواجهة الحضارة الغربية، وهذا لازم لزوم الأخذ بمكتسبات العقل في العلوم الطبيعية، فنحن نعرف مدى المشقة التى نتعرض لها إذا رفضنا تلك العلوم مثل القطار أو السيارة أو الراديو أو التليفزيون أو التليفون أو الثلاجة أو غير ذلك من طيبات التكنولوجيا الحديثة، المهم أن نعرف أن رفض مكتسبات العقل في العلوم الإجتماعية لا يقل عن ذلك»، كتاب (نحو تفسير مستنير للتراث)، ص 34.

ولذلك فإن هذه المجموعة تريد العودة بنا إلى عصور من قال لأميره هلاّ قطعت رقبته!!!

يقول: السلفية الحركية تعلن كفر الحاكم الذى لا يحكم بالشريعة الإسلامية باسمه أيًا كان اسمه، ولكن موقفها واضح من رفض وتحريم العمل المسلح أو إنشاء منظمات إسلامية سرية، وكذلك أعمال العنف.

الـــــرد: إن الإدعاء بأن السلفية الحركية ترفض العمل المسلح والتنظيمات السرية وأعمال العنف، ما هو إلا إدعاء يجافي الحقيقة فإن الموضوع ما هو إلا مسألة توقيت الخروج المسلح فقط وذلك بالنسبة لجميع تيارات السلفية الوهابية بلا إستثناء، فهذا أبو إسحاق الحويني يقول بالحرف: «ليس من الحكمة أن يتواجه المسلم في بداية دعوته بالحكام لأنهم يملكون القوة»، ويقول منهجنا أن«ننقل هؤلاء العوام «يقصد الجماهير»، إلى تصحيح معتقداتهم، وبعد ذلك الخلية المؤمنة لا ترضى بأن يحكمها فاسق مهما كلفها ذلك»، (شريط الأسئلة السودانية حول الدعوة السلفية)، فالمسألة مسألة قدرة واستطاعة، فالفرق بين فكر السلفية الحركية وفكر تنظيم القاعدة، مسألة توقيت الخروج فقط!!

يقول: السلفية الجهادية لا علاقة لها بالسلفية العلمية ولا السلفية الحركية ولا السلفية التقليدية.

الـــرد: هذا مجرد إدعاء يجافي الحقيقة فالسلفية الجهادية تطبق بالحرف ما جاء بفتاوى ابن تيمية وابن عبد الوهاب وتقلد ابن عبد الوهاب في خروجه المسلح على الخلافة العثمانية بعد تكفيرها، وكذلك قتاله لمسلمي الطائف والحجاز بعد تكفيرهم، وهذا ثابت في مراجع الوهابية المعتمدة مثل الدرر السنية وتاريخ نجد، فلا داعي لتبييض وجه السلفية الوهابية والإدعاء بأنها بريئة من تنظيم القاعدة!!!

يقول: السلفية حركة إجتماعية إصلاحية كبيرة جدًا وواسعة النفوذ، وهى رقم مهم وصعب في معادلة العمل السياسى في مصر، وأنها تزداد أهمية وقوة مع مرور الوقت.

الـــرد: هذه فرية ما بعدها فرية، فإن السلفية الوهابية ما هى إلا حركة تخريبية موجهة لتخريب العالم الإسلامي وتفتيته وإيقاف عجلة التقدم به.

وهذه عينة للفكر التخريبى للسلفية الوهابية:

الحياة السياسية:

الديمقراطية بدعة ضالة وضلال ووثنية، تبديع وتحريم الانتخابات والأحزاب والمعارضة، معارضة الحاكم بالكلمة ليست من الإسلام الصحيح وبدعة، الشورى معلمة وليست ملزمة للحاكم.

قضايا المــرأة:

ينظرون إلى المرأة كأنها محظية لفحل، ومتعة جنسية فقط، ولذلك فيجب عليها: أن تلبس نقابًا أسودًا يغطي رأسها حتى قدميها، لا تكلم أحدًا، ولا يراها أحدًا، ويفضل أن لا ترى أحدًا، ليس لها حق الخلع، ولا طلب الطلاق، يحرمون عملها إلا للضرورة القصوى، ويحرمون مشاركتها في الحياة العامة، وليس لها صوت انتخابي وليس لها ترشيح نفسها.

العلاقات الدولية:

الأصل في العلاقة بين المسلم وغير المسلم هي الكره والبغض، المسلمون يحاربون الناس لكفرهم وليس لعدوانهم، أي إن الإسلام انتشر بحد السيف كما يقول المستشرقون، تحرير العبيد مخالف للإسلام.

الوحدة الوطنية:

يمنع غير المسلمين من بناء معابد وكنائس جديدة لهم وما يهدم من القديم لا يجدد، يجب عدم بدء غير المسلمين بالسلام، عدم تهنئتهم بأعيادهم، يدفعون الجزية بِذُلٍّ وإهانة، لا يشتركون في الدفاع عن الوطن، ليس من حقهم الترشح للانتخابات، ليس لهم صوت انتخابي.

هذه عينة من إصلاحات الحركة السلفية كما يصفها الخبير بشئون الحركات الإسلامية الأستاذ عبد المنعم منيب! وإذا كان هذا إصلاح، فما هو التخريب إذن؟؟!!

يقول: السلفيون ليسوا معزولين عن مجريات حياتنا السياسية والاقتصادية وسرعان ما ستستفزهم الضغوط الإقتصادية والسياسية وجهود التغريب والعلمنة الإجتماعية والاقتصادية للاحتجاج الاجتماعى، وأنهم أهم وأبرز معالم خريطة مصر السياسية والإجتماعية الآن.

<u>الــــرد</u>: هذا الكلام من الأستاذ منيب يؤكد ما أقوله أنه لا فرق بين السلفية الجهادية والسلفيات الأخرى إلا في توقيت الخروج فقط حتى يتمكنوا من الانقضاض على الوطن والدولة المصرية ووقتها سيخسر الجميع خصوصًا المخالفين للفكر الوهابي المميت، وسينجو فقط من يدخل تحت لواء الوهابية، ومن يبحث لها عن مبررات للخروج على الدولة المصرية مثل الأستاذ منيب!!! مع وضع ظلال كثيرة حول ماذا يقصد الأستاذ منيب بالعلمنة الاجتماعية؟!!

وهل هذه دعوة للخروج على الدولة المصرية؟!!

أم استشراف للمستقبل المظلم؟!!

الختام: قل وهابية ولا تقل سلفية.

انتهى بحث «وثائق هدم الوطن».

* * *

الشيخ عبد الله شاكر رئيس مجلس شورى جمعية أنصار السُنة المحمدية:

- وفي عدد الجمعة لجريدة «الأهرام» (الصادر في 15/4/2011م) خصصت الصفحة كلها لحديث أدلى به رئيس مجلس شورى السلفيين الشيخ الدكتور عبد الله شاكر رئيس جمعية أنصار السُنة المحمدية، تحت عنوان «ولاؤنا لله وليس للأحزاب»، جاء فيه:
- **<u>ما الذى دعاكم لتأسيس مجلس شورى للجماعة؟</u>**

لابد أن نكون صرحاء، فقد أدت الأحداث الأخيرة إلى تباين في الآراء بين العلماء، وتغير وضع الشعب المصري، وبدأت اتجاهات لم يكن لها وجود فعلي تظهر على الساحة، ووجدنا الأقوال تتضارب أحياناً، ففكرنا في إنشاء مجلس شورى العلماء، وبحثنا عن أهل العلم الذين يتمتعون بالشهرة، ويملكون صوتاً قويًا، ويتفقون معنا في أصول عامة، وقواعد صحيحة وهى الرجوع للكتاب والسُنة، وإن كنا نختلف عند التطبيق في بعض القضايا، إلا أن هناك رابطاً يجمعنا، وتشاورنا في جمعية أنصار السُنة المحمدية (وهى جمعية رسمية مسجلة في الدولة منذ عام 1926)، وقلنا لماذا لانجمع هؤلاء العلماء لنتوصل إلى رؤية واحدة، ويكون هناك توحيد للخطاب المقدم إلى الأمة من منظور صحيح، وجمعنا عددًا من علماء أهل السُنة للتشاور، خاصة أن كلمة السلفيين أصبحت مستخدمة بشكل كبير، وأصبح الناس يقسمونها إلى سلفية دعوية، وأخرى جهادية، وثالثة علمية، أما نحن فاسمنا جماعة أنصار السُنة المحمدية، وننهج منهج السلف، والسابقين من الأئمة كالإمام أحمد البخاري، وأحمد ابن حنبل، وابن تيمية، وأبوالحسن الأشعري، وقد يتساءل البعض ما معنى السلفية؟، وهنا أقول إن السلفية تعني إتباع معتقد السلف، فلا يوجد تنظيم عندنا اسمه سلفي، وإن كان منهجنا على منهج السلف، ولا نقول إننا نتبرأ من كلمة سلفيين، فنحن كما ذكرت نتبع منهج السلف، لكن جمعيتنا اسمها أنصار السُنة المحمدية.

- **<u>ما عدد أعضاء مجلس شورى العلماء؟</u>**

لقد اجتمعنا في البداية بمجموعة من العلماء قد يصل عددهم إلى 30 عالمًا، وقلنا في اللقاء الأول إننا نريد أن نتشاور فيما بيننا، بحيث تتلاقح الأفكار، لنخرج برؤية موحدة بدلاً من التشتت الذى يعانيه الشارع المصرى حاليًا تجاه القضايا المختلفة، فهناك قلق شديد في مصر بعد ثورة 25 يناير، ويجب أن يرجع الناس إلى بيوتهم، وأعمالهم، كما أن استقرار الأوضاع مسألة مهمة، وهذا دورنا، فنحن لم نعرف بالثورة إلا حينما قامت، ولم نشارك فيها، وهذا أمر معروف عندنا، ومقرر في منهجنا، وقد بدأنا في المجلس بثلاثين عالمًا كما ذكرت، وقد يزيد العدد أو ينقص بحسب العلماء الذين نتصل بهم لنأخذ رأيهم في القضايا المختلفة، عندك البيان الأخير ــ مثلاً ــ وقع عليه 10 علماء، ويتضمن موقفنا تجاه الواقع الحالي، والمادة الثانية من الدستور.

- **<u>والحديث عن مجلس شورى العلماء، ما هو الدور الذى يقوم به هذا المجلس؟</u>**

نحن نتشاور في المسائل النازلة التى تنزل بالأمة، لكى نأخذ فيها رأيًا واضحًا، وقد اجتمعنا 3 مرات، وحضر اللقاء الأول 30 عالمًا، وكان للتشاور والتعارف، حيث ألقى كل واحد من هؤلاء العلماء كلمة، وكانوا

فرحين بتوحد جهود الأمة، وعقدنا بعدها اجتماعًا مصغرًا حضره عدد من العلماء الأجلاء، ومنهم الشيخ الدكتور جمال المراكبي، والشيخ وحيد عبدالسلام بالي، والشيخ مصطفى العدوي، ثم اجتمعنا للمرة الثالثة وأصدرنا البيان الأول، وكنا نود عقد اجتماع آخر، لكننا تشاورنا وأصدرنا بياناً، وهو موجود على موقع جمعية أنصار السُنة المحمدية على الانترنت.

- **هل باستطاعة مجلس الشورى اتخاذ قرارات، وإصدار فتاوى؟**

نعم، فمن حق المجلس أن يقول رأيه، وأن يصدر فتوى في المسائل النازلة بالأمة، فنحن لدينا جمعية أنصار السُنة، ولدينا هيئة العلماء بالجمعية، لكننا أردنا الانفتاح على بقية الدعاة المشهورين المعروفين على الساحة، على أساس أن نتشاور فيما بيننا.

- **أقاطعه: هل بالضرورة أن يكون هؤلاء العلماء من السلفيين؟**

عمومًا، لابد أن يجمعنا المعتقد الصحيح، ومنهج أهل السُنة، ولو أن هناك عالمًا بعيدًا عن المنهج الصحيح الذى نرتضيه فلن نتكئ عليه، ولن نتواصل معه لمعرفة رأيه في مسألة معينة.

- **وما أبرز ما جاء في البيان؟**

لقد دعونا الأمة أفرادًا وجماعات للالتزام، والتصويت لصالح الدستور بالشرع الحنيف، وبينا أننا كدعاة لن نترشح بأنفسنا في الانتخابات البرلمانية، لأن هذه الأمور تستغرق منا حيزًا كبيرًا من الوقت، وتشغلنا عن مسائل الدعوة، فالناس دائما تسألنا: هل ستخوضون انتخابات الشعب والشورى؟ فأقول لهم لا، فنحن كدعاة نهدف إلى تعبيد الأمة لله عز وجل، وليس لنا حرص على منصب سياسي أو مطامع من هذا النوع، نحن فقط نريد أن يكون الناس عبادًا لله عز وجل، وأن يخلصوا الدين لله، وأن يترسموا طريق النبي ﷺ، وقلنا ليس لدينا مانع من أن نقف بجوار من يرغب من أهل السُنة في خوض الانتخابات البرلمانية القادمة، بشرط أن يكون رجلاً معروفاً عندنا بسلامة المعتقد، وصحة المنهج.

- **وإذا ترشح أحد من الإخوان.. هل ستدعمونه في الانتخابات؟**

لم نبحث هذه المسائل حتى الآن في مجلس شورى الجماعة.

- **لقد استخدمت تعبير المسائل النازلة أكثر من مرة، فما هى هذه المسائل بالتحديد من وجهة نظرك؟**

المسائل النازلة هى الأمور، والأحداث التى يشهدها الواقع، والبلد كما تعلم يمر بمرحلة صعبة، ونريد أن يكون لدى الناس فقه، ووعى في

أن يتعاملوا مع الأحداث بروح مقبولة، ونحن نؤيد القرارات الـتى اتخـذها المجلس الأعلى للقوات المسلحة فيما يتعلق بالإصلاح المنشود ولابـد أن نساهم في دعوة الناس للرجوع إلى أماكنهم وأعمـالهم، ويـتركوا بـاقي المهمة للمسئولين، وأن يقبل الناس ما يقولون، بحيث لا نثقـل كـاهلهم بأية قرارات أو طلبات وألا نفرض عليهم وصاية، فهـذه مرحلـة انتقاليـة، تتطلب منا أن نعطيهم الفرصة لكي يرجـع الشـارع إلى وضـعه وهدوئـه، وأن تدور عجلة الإنتاج، وحـتى لاتتفـاقم الآثـار السـلبية لمرحلـة مـا بعـد الثورة على الاقتصاد المصـري، ولكى تعـود البنـوك، والشـركات لعملهـا، ولكى يتم اسـتئناف عمليــة التصـدير، فضـلاً عن مشـاكل العائـدين من الخارج بعد أن فقدوا أعمالهم، ورأينا أن تعود الحياة إلى طبيعتهـا، ويعم الاستقرار حتى يشعر الناس بثمار الثورة.

طوفان الفتاوى:

في بعض الأحيـان، يصـدر عن بعض السـلفيين فتـاوى تثـير البلبلـة، والمخاوف من الفكر السـلفي، كفتـاوى إهـدار الـدم، وتحـريم التظـاهر، وتحريم الخروج على الحاكم، وأخيرًا هدم الأضرحة، فإلى أى مـدى تتفـق أو تختلف مع هذه الفتاوى؟

فيما يتعلق بما أثيرعن فتوى إهدار الدم، فإننى أؤكـد أنهـا لم تصـدر فتوى صريحة بذلك، لكن جرى تضخيمها إعلاميًا، فصاحب الفتوى قال إن من يخرج على ولي الأمر فمن حق الأخـير أن يوقفـه حـتى ولـو بالقتـل، ويستند في ذلك إلى الحـديث الصـحيح القائـل «من أتـاكم وأمرنـا جميـع يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقـه»، ولكن واقعيًا فالفتــوى ليسـت صريحة بإهدار الـدم، هو يقـول أنـه عنـدما يـأتي شـخص ونحن في دولـة قائمـة ويفعـل ذلـك فمن حـق الحـاكم أن يضـرب عنقـه، ونحن كأنصـار السُـنة لا نقرر مثل هذه الأفكار، ولانرى هذه الرؤية.

- **لكنكم أصـدرتم بياناً على شـبكة الانـترنت في شـأن هـذه الفتـوى، وقلتم إن من قالها سوف يتم التحقيق معه وفق لوائح جمعية أنصار السُـنة المحمدية؟**

نعم.. لقد أصدرنا بياناً في هذا الشأن، ولا شك أنه عندما يكون عندك جماعــة، وآلاف البشــر، من الممكن أن «يلب» شـخص، أو يخطئ، لكننـا لانوافق على ذلك، ونحن نرى بوضوح أن من يريد أن يرشح نفســه، فمن حقه الترشح، ولامانع أبدًا في ذلك، وليس في هذا خروج على الحاكم.

التظاهر السلمي:

- **وحق التظاهر، هل ترونه خروجًا على الحاكم؟**

لقد اختلفت أنظار العلماء حول مسألة التظاهر، فمنهم من رأى أنه خروج على الحاكم، وعندما وقعت هذه المظاهرات كان لنا موقف منها، ولم نؤيدها.

- **بل كنتم ضدها؟**

ليست مسألة ضد، فنحن ننظر إلى المآلات، وقد خشينا أن تؤدى مثل هذه الأشياء إلى مردودات خطيرة جدًا، وسلبية على الأمة، والشعب لكن الله سلم.

- **وماذا قلتم وقتها؟**

قلنا للناس ارجعوا إلى أماكنكم، خاصة بعدما تمت الموافقة على بعض الطلبات التى نادى بها المتظاهرون، وأصدرنا بياناً بذلك.

- **لكنكم قلتم أن التظاهر حرام شرعًا؟**

من قال ذلك؟

- **قلت: تصريحاتكم وقت ثورة 25 يناير موجودة على شبكة الانترنت؟**

الشيخ عبد الله شاكر: لايجوز الخروج على الحاكم المسلم، لكن الشرع أباح ذلك عند كفره، وعندما يقرر الشعب الخروج عليه، تقدر المصالح والمفاسد، وهذه المسألة مختلف فيها، لكن القاعدة الشرعية متفق عليها.

- **سألته: تحرمون الخروج على الحاكم، فإذا فسد، ماذا يكون موقفكم؟ إذا استطاعت الأمة منع هذا الفساد بطرق سلمية لاتؤثر، فليكن ذلك.**

- **والتظاهر السلمى من هذه الطرق السلمية؟**

ليس كل تظاهر يمكن أن يكون سلميًا، ربنا سلم وستر عند خروج الأعداد الغفيرة التى انطلقت من كل مكان وقت الثورة، ولو كان التظاهر أضر بأحد كانت بقت مصيبة، وكنا نخشى مما يترتب على التظاهر، والمسألة ليست رفضًا عند جميع أهل العالم، وعندما اجتمعنا وتحدثنا، قلنا إن الأمر يحتاج إلى دراسة، ولكن أحد إخواننا من السلفيين قال أنها حرام شرعًا، والقاعدة المقررة عندنا تقول أنه لايجوز الخروج على الحاكم، وهذه حقيقة، وهذا الأمر مقرر في الشرع.

فتاوى التكفير:

- **وفتاوى التكفير، متى تصدرونها؟**

مسألة إطلاق التكفير من الخطورة بمكان، هو أمر خطير، ويجب على الإنسان أن يسلم من هذه القضية، وأن يأخذ الناس بظاهر أمرهم،

وحالهم، ويترك الأمر لله فيهم، ونحن لو وجدنا خطأ نبهنا إليه، إنما الحكم بالتكفير على شخص معين، فلابد أن تتحقق الشروط التى قالها العلماء، وأن تنتفي الموانع.

- **وما هى هذه الشروط؟**

تتضمن شروط التكفير أن يُصر الشخص على الكفر، وألا يكون مكرهًا عليه ويتبناه ويعلنه، وإذا فعل ذلك يتم النظر في هذا الفعل، وعمومًا نحن نسلم من الحكم على الناس.

- **ألم تصدروا فتاوى بالتكفير من قبل؟**

لم يسبق لنا أن أصدرنا فتوى بالتكفير على مسلم يشهد لله بالوحدانية، ولنبيه (ص) بالنبوة والرسالة، لماذا؟ لأنها مسالة خطيرة، والنبى (ص) قال: من قال لأخيه يا كافر، وليس كذلك إلا رجع عليه هذا الكفر.

الدولة الدينية:

- **وأساله: لكنكم أبحتم الخروج على الحاكم إذا كفر؟**

الشرع أباح الخروج عليه عند كفره، بشرط ألا يترتب على ذلك مفسدة، ربما يكون هناك حاكم كافر، ولن تقدر على الخروج، ربما لو أنك خرجت عليه، قد تزهق الأرواح والأنفس، وتضيع الممتلكات، ويفسد أمر العباد، وفي هذه الحالة يجب ألا تخرج على الحاكم.

هدم الأضرحة:

- **هل ما زلتم عند رأيكم في مسألة الأضرحة؟**

ليس لنا رأى في هذه المسالة، فالرأي هنا للشرع، ونحن عندما قلنا إن الرسول ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، مستدلين في ذلك بأحاديث صحيحة، والنبى لم يفعل ذلك، فقد دفن الكثير من أصحابه، وكذلك زوجاته ولم يقم لأحدهم مقامًا، ونحن ندعو إلى ما كان عليه الرسول ﷺ، مع قولنا بنهى الإسلام عن بناء المساجد على القبور لم نجز، ولم نقل، ولم نفت بهدم هذه القباب والقبور، ولايوجد هذا الأمر ولو في قصاصة من ورق، ولم يذكر في كلمة عنا، ونحن لانرضى بذلك، وأمر الأضرحة ليس إلينا، نحن دعاة إلى الله عز وجل، وما أملكه هو أن أتحدث بالبيان، وبالكلمة، والكتابة، وأبين للناس وجه الحق، أما أن أمسك سلاحًا أو فأسًا، فاضرب هذا، أو أكسر هذا، فذلك أمر لايجوز، لان تطبيق الحدود منوط بالحاكم المسلم، وليس للأفراد، ولو تركت مسألة تطبيق الحدود للأفراد لاعتدى كل واحد منهم على الآخر.

إذن.. كيف تفسر ما نسب لبعض السلفيين من قيامهم بهدم الأضرحة في القليوبية وغيرها؟

نحن كأنصار سُـنة لم يصدر عنا فتوى بهدم الأضرحة، وهذه الفتـاوى والأعمال، قد تكون مدسوسة علينا.

- **<u>ما هى أقسام السلفية؟</u>**

هنـاك سـلفية دعويـة، وأخـرى جهاديـة، وثالثـة علميـة. الأولى تهتم بالدعوة، والثانية تعتني بالعلم، والأخيرة تستخدم العنف.

- **<u>هل تعتقد أن هناك سلفيين جهاديين في مصر؟</u>**

لا أعـرف أحـدًا يحمـل سـلاحًا من هـؤلاء، ولـو أن هنـاك من يحمـل السلاح، أو يدعو الناس إليه، ويكفر عموم المسلمين فهذه مبادئ خاطئة حتى لو قالهـا سـلفي، ولا أعتقـد أن هنـاك أناسًـا يـدعون إلى السـلفية الجهادية حاليًا، فقد كان ذلك متمثلاً في الجماعة الإسلامية، وكان يطلـق عليها سلفية.

معالم الدولة الدينية:

- **<u>في مؤتمرهم الأخير بمسجد عمرو بن العاص أطلق السلفيون شعار «إسـلامية.. إسـلامية.. لا دينيـة ولاعلمانيـة»، فمـا مفهـوم الدولـة الدينية من وجهة نظركم؟</u>**

بداية نحن لم نشارك في هذا المؤتمر، وليس كـل من يتكلم يحسـب علينا، المجال مفتوح الآن، وأصبح هنـاك تزيـد، وانفعـالات، وقـد ينفعـل الشـخص فيفقـد الضـابط الـذى يكـون فيـه دقيـق في التعبـير والكلام، وبالنسبة للدولـة نحن نـدعو إلى تطـبيق الشـرع، وهـذا أمـر لايمكن أبـدًا بحال أن نرجع عنـه، هـذا من مبادئنـا، ومن أهـداف جمعيتنـا الـدعوة إلى تحكيم كتاب الله والسُـنة، وليس معنى ذلك أننا نرفض أى مجتمع آخر، أو مخالف لنا في الدين والعقيدة، فهذا البلـد يحتـوي الجميـع ليعيشـوا في أمن وأمان.

ونحن ندعو بلا شك إلى أن تكون الدولة قائمـة بالإسـلام، والحقيقـة أنـه قـد صـدر مصـطلح حـديث اسـمه الدولـة الدينيـة والدولـة المدنيـة.. والسؤال هو: هل تريد دولة دينية أم دولة مدنية؟ وهذه كلهـا مصـطلحات يجب أن نرى المراد منها قبل أن نطلقها، فإذا كان المـراد بدولـة دينيـة، يعنى ــ مثلاً ــ لو دولة مثل دولـة الآيـات في إيـران، وأنهـا لا تقبـل غـير المسلم، وتقطع رقاب الآخرين فليس هذا هـو المقصـود، وإنمـا إذا كـان المراد هو دولة يعيش الناس فيها بسلطان الـدين فهـذا هـو الأمـر الـذى نـدعو إليـه، نـدعو إلى أن يتعـايش النـاس في البلـد الواحـد تحت مظلـة الإسلام، وأن يطبق شرع اللـه تعـالى جـل في علاه، والأمـة كلهـا سـوف تسعد بـذلك، فالحقيقـة نحن نريـد دولـة دينيـة وليسـت بمفهـوم الدولـة الدينية كما هى معروفـة عنـد الغـرب، كتسـلط رجـال الكنيسـة على كـل

الناس، أو تسلط الشيعة على رقاب الناس، أو تغزو البلاد، وتقطع الرقاب، ليس هذا هو المقصود بالدولة الدينية من وجهة نظرنا، نحن ــ كما ذكرت ــ نريد دولة تحكم بالشرع، وأن يعيش الناس جميعًا تحت مظلة الرحمة والعدل والمساواة.

- **مادام الأمر كذلك، فأنتم إذن ترفضون القوانين وتتمسكون بالشريعة؟**

نعم، يجب تطبيق الأحكام الشرعية، وهذه مسألة سهلة، القانون الوضعي لاينفعنا، لأنه قانون وضعي، عندك المملكة العربية السعودية، فهى تطبق الشريعة، والناس هناك ينعمون بالأمن، والأمان، والسلامة.

- **قلت: عندئذ سوف تطبقون الحدود؟**

تطبيق الحدود فيه رحمة بالأمة، فالناس الذين يتعرضون للقتل والسرقة يحميهم الشرع، ولو طبق حد السرقة والقتل على قاتل أو سارق لما فعلها أحد، والحكم في الشرع بتطبيق الحدود لايتم جزافاً، ولكن يتم التحقيق، وإقامة البينة على المتهم، والحدود عندنا في الشرع تدرأ بالشبهات، وليس كل شخص سرق تقطع يده، فالمسألة ليست مطلقة هكذا، وليس هذا هو القصد، لكن الهدف هو شعور الناس بمظلة إسلامية، وإن كان هناك حكم فيه مرجعيته للقرآن والسُنة.

يسروا ولاتعسروا:

- **أخطر ما ينسب للسلفيين تشددهم، والرسول يقول «يسروا ولاتعسروا»، فكيف ترى هذا الأمر؟**

الأخذ بالأيسر من منهج أهل السُنة، وهذا المنهج معروف بالوسطية والاعتدال وسط بين طرفي نقيض وهما الإفراط والتفريط، ونحن أمة وسط، ومتزنة، ومعتدلة، والله عز وجل جعل ذلك من سمات الأمة، حيث قال تعالى «وجعلناكم أمة وسطاً»، نحن بلا شك نختار التيسير والتخفيف في دعوتنا، والتكليف في الإسلام منوط بالاستطاعة، لكن الناس حينما تدعوها للالتزام بشرع الله وبالآداب والأخلاقيات أو بالمبادئ العامة يجدون في نفسهم حرجًا من هذا، فيقول لك: أنت متشدد، وأهل السُنة هم أبعد الناس عن ذلك، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ يقول عن نفسه: إنني من أشد الناس نهياً أن ينسب على معين تكفير أو فسق أو ظلم إلا بعد إقامة الحجة عليه.

- **لكن البعض يتهم ابن تيمية بأنه كان متشددًا، فإذا كنتم تؤمنون بالتيسير كما ذكرت، فلماذا تتبعون منهجه؟**

منهج ابن تيمية يرحمه الله من أسلم المناهج، ولا شك أن كل العلماء يتعرضون للهجوم، وكل عالم له من معه، وعليه من عليه، وهذه سُنة فطرية، وهو من الشخصيات التى اختلف الناس حولها ما بين مادح له، وذام، ولكن الرجل في فكره ومنهجه هو على منهج أهل السُنة والجماعة، ونحن لانعتقد فيه العصمة، هو يخطئ ويصيب.

السلفيون والاجتهاد الفقهى:

- **<u>لماذا ترفضون الاجتهاد الفقهي؟</u>**

باب الاجتهاد مفتوح، لكن لمن؟ للعلماء المتقين المجتهدين، وهذا الذى دفعنا لإنشاء مجلس شورى العلماء، بحيث نجلس ونتشاور في مختلف القضايا، والاجتهاد معناه النظر في أمور جديدة، وإرجاعها إلى الشرع الحنيف، والأمة بها إعلام وعلماء، وفي الأزهر كذلك، ونحن نستفيد منهم، ولكن نقول للناس: لاتسمعوا وخلاص، ولكن إذا سألتني وأفتيتك فلابد أن تطلب منى الدليل على ما أقول من القرآن والسُنة، وما وافقهما قبلناه، وما خالفهما عارضناه، نعطى مساحة للرأي، ولانتبع العنف في الرد على صاحبه، وإنما ننصحه بمعروف، وبلطف، وبحكمة.

- **<u>يتهمكم بعض العلماء بأنكم تعتمدون على النقل فقط دون إعمال العقل، فما مدى صحة ذلك من وجهة نظركم؟</u>**

نحن لانلوي عنق النص لكي يوافق الواقع، ولكن الواقع هو الذى لابد أن يتفق مع النص، كما أننا لا نلغي العقل فهو مناط التكليف، وبدونه لايكلف العبد، كما أن استخدام النقل مع العقل أمر موجود في فهم النص، وتطبيقه، وإنزاله على الواقع الذى نعيشه، إذن نحن نستخدم العقل في فهم النصوص وتطبيقها، ونبعد العقل عن الأمور الغيبية التى لامجال له فيها.

ولاية المـــــرأة:

- **<u>ما هو موقفكم من قضية ولاية المرأة وخروجها للعمل؟</u>**

بداية أقول إن المرأة في الإسلام نالت حظاً وافرًا من التكريم لم تنله في أى مجتمع آخر، ولكن ولاية المرأة مرفوضة شرعًا، وليس في ذلك تعنت ولا تزمت، والطبيعة الخلقية للمرأة تتنافي مع ذلك، وبالنسبة لخروجها للعمل، فليس هناك ما يمنعها من ذلك، لكن وفق الضوابط الشرعية، مثل عدم خروجها دون موافقة ولي الأمر(الأب أو الزوج)، وأن تخرج بالزي الشرعي، وألا تختلط بالرجال الأجانب، وأن تعمل في المجال الذى يتناسب معها، وألا يتعارض العمل مع مسئولياتها الأساسية

في بيتها، فهى التى تربى الأجيال، وتصنع الأبطال، ولابد أن توائم المرأة بين عملها، وواجباتها الأسرية.

- **<u>الدستور لايمنع الأقباط من تولى الرئاسة، فما هو موقفكم من هذه القضية؟</u>**

ما نراه هو الحكم للأغلب، فديننا يسع هؤلاء جميعًا، وقد أمرنا ربنا بالبر والإحسان لجميع الخلق، ولابد من التعامل معهم بلطف، ولايكره أحد منهم على معتقد، نحن نبيِّن الحق، ونسلك معهم الطريق القويم، وقد غاب الأمن أيام ثورة 25 يناير، وكان الأقباط آمنين، كما أن لنا جيران نصارى نقدرهم، ولانؤذيهم، فيطمئنوا للإسلام، لاسيما أنهم قد جربوا العيش وسط الأمة الإسلامية، ولايمكن لأحد من المسلمين أن يعتدى عليهم بغير حق، وأقول لهم أطمئنوا للإسلام، فلن ينالكم سوء.

آليات مواجهة الفساد:

- **<u>لقد اتهمكم الناس بأنكم اختفيتم لسنوات، وسكتم عن الفساد، ثم ظهرتم بعد الثورة، فما مدى صحة ذلك؟</u>**

نحن لم نختف، اللى ظهر بعد الثورة هو اللى كان مختفي، إحنا موجودين كجمعية، ومرخص لنا بالعمل، ونعمل في مجال الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، ونقوم بأعمال خيرية كثيرة كبناء المساجد، ورعاية الأيتام، والأسر الفقيرة، ونقدم الدعم للمستشفيات، ولطلاب العلم، أما ما يتعلق بالفساد، فنحن لم نسكت عنه، لكننا في دولة تحكمنا، وقد كان هناك تضييق على العمل الإسلامي، وقد نالنا جزء من هذا التضييق، فقد أخذوا منا الكثير من المساجد، وضموها للأوقاف، كما منعوا بعض دعاتنا من ممارسة نشاطهم الدعوي، ومع ذلك لم يتغير منهجنا، وكانت الأجهزة الأمنية تمنعني من المشاركة في بعض المحاضرات في بعض الأماكن.

- **<u>قلت.. كيف إذن واجهتم الفساد؟</u>**

كنا ننصح بالطرق المختلفة، سواء بالكتابة للمسئول، وكنا نتحاور مع بعض المخالفين، ونعقد الندوات، والمحاضرات، ونلقى الخطب، ولم نلجأ إلى العنف فهذا أمر مرفوض.

- **<u>كيف يرى السلفيون الإخوان والمتصوفين؟</u>**

كلنا مسلمون، ومنهجنا معروف، ومنهج الإخوان معروف، نحن لدينا أولويات نهتم بها، مثل تصحيح عقائد الناس وعبادتهم، بينما يرى الإخوان ألا يوجهوا هذا الجهد للدعوة، وإنما يجتهدون في العمل السياسي، أما ما حدث مؤخرًا من هدم للأضرحة، فنحن نقول أننا لم نفعل ذلك، ولم نقله، ونحن موجودون على الساحة منذ قرابة مائة عام،

ولم نقرر كجماعة أنصار السُنة هدم الأضرحة، ولم ينسب أحد ذلك إلينا، فلماذا لم يتوقع أحد أن يقوم بذلك أحد المدسوسين؟!

- **<u>والجماعة الإسلامية؟</u>**

نتفق معهم في أصول الإسلام العامة، فكلنا مسلمون، لكننا نختلف معهم في استخدام العنف، فنحن لاندعو إليه ولانطبقه.

- **<u>كانت علاقتكم بجهاز أمن الدولة محل تساؤلات.. فكيف تردون على ذلك؟</u>**

من يتهمنا بأننا كنا نكتب إليهم التقارير، أو أننا كنا عملاء لهم أو متواطئين معهم أقول لهم عيب، فالناس يغيب عنها أننا جمعية رسمية في الدولة، وكنا نتعامل معهم على أساس الموافقة لنا على تنظيم أسابيع ثقافية، أو نطلب الموافقة على إنشاء معهد للدعاة، هذه كانت طبيعة العلاقة بيننا وبين أمن الدولة لإنجاز أمور تنظيمية، ولكى يسمحوا لنا بالعمل، وكنا لانريد الصدام معهم، فقد كنا نلتزم حتى لايأخذوا منا المساجد ويضموها للأوقاف، أو يمنعوننا من تنظيم الندوات، وغيرها من الأنشطة الدعوية.

العمل السياسي:

- **<u>هل تفكرون في إنشاء حزب سياسى للجماعة؟</u>**

لانفكر في ذلك، لأننا مشغولون بالعمل الدعوي، فولاؤنا لله وليس للأحزاب.

- **<u>هل تتفق مع من يقولون إنكم تريدون القفز على مكاسب الثورة؟</u>**

نحن ندرس الواقع فقط، وننطلق منه لمصلحة الدعوة، والثورة قد أتاحت جانبًا كبيرًا من الحركة والعمل، وبالتالى نحن نستثمر مناخ الثورة، وما تحقق معها من مكاسب يمكن أن تخدم الحركة الدعوية، ولانسعى للقفز عليها.

- **<u>في تقديرك، لماذا يشعر الناس بالخوف من السلفيين؟</u>**

الخوف من السلفيين أمر غير منطقي، ولعله جرى تضخيمه من جانب وسائل الإعلام التى تنسب إليهم ما ليس فيهم!

الشيخ محمد حسان وثروته:

- في العدد 276 من مجلة جريدة «الفجر» الصادرة في (10/11/2010م، ص 4) نشر الكاتب المعروف الأستاذ محمد الباز تقريرًا مسهبًا عن ثروة «الشيخ حسان» استعرض فيه تاريخ حياة الشيخ وتطوره الفكري وتأسيسه الفقهي، وما حدث من تطور نتيجة للشهرة العريضة التي جاءت بالثروة المليونية، فقال:

لا يمكن لأحد أن يشكك في العمل الضخم والمتواصل الرائع الذي يقوم به الداعية الشيخ محمد حسان، فرغم سنوات عمره التي لم تتجاوز الخمسين بعد - حسان من مواليد 8 أبريل 1962م، إلا أنه استطاع أن يبني لنفسه شهرة عريضة ليس في مصر وحدها، ولكن في العالم الإسلامي كله، ويتصدر مشهد الدعاة بعد أن غاب الكبار عن الساحة منذ سنوات، وكان على رأسهم الشيخ محمد متولي الشعراوي.

محمد حسان ابن الثمانية والأربعين عامًا، يحظى بحالة قبول عالية في الأوساط الشعبية، هو رجل الدعوة المفضل عندهم، ولا تتعجب إذا وجدت من بين مريدي الرجل من يحبونه أكثر من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم، وكان مشهد آلاف المريدين الذين أحاطوا بمستشفي كليوباترا في مصر الجديدة قبل أيام قليلة من شهر رمضان قبل الماضي ليطمئنوا عليه بعد أن أصيب بالبكم، دالاً علي أننا أمام رجل ليس داعية عاديًا أو عابرًا، ولكننا أمام كاريزما تلعب بالعقول وتداعب المشاعر وتدغدغ العواطف.

هو رجل متواضع، يخفض جناحه للمؤمنين، ورغم أن هناك من يتهمه بالتطرف والتعصب، إلا أنه وفي مرحلته الأخيرة من الدعوة وهي مرحلة الفضائيات أصبح أكثر اعتدالاً من المرحلة السابقة وهي مرحلة شرائط الكاسيت، وهي المرحلة التي كان يحرم فيها مشاهدة التليفزيون ويطلق عليه «المفسديون».

بل إنه وفي بداية انتشار الإنترنت في مصر، أنشأ موقعًا لنفسه، ووضع على صفحته الرئيسية صورة له، وبعد أيام رفع الصورة، وكتب يقول لمتصفحي الموقع، إنه يعتذر عن نشر الصورة وقد رفعها حتى لا تكون فتنة.

لقد تغير الشيخ كثيرًا، وأصبح يهتم بمظهره العام، أيام كان خطيبًا للمنبر فقط، يتناقل مريدوه مواعظه وخطبه النارية التي كان يعرف فيها كيف يؤثر على جمهوره، للدرجة التي ألقى فيها ذات مرة قصيدة فاروق جويدة التي واجه بها سلمان رشدي بعد أن أصدر روايته آيات شيطانية التي هاجم فيها الرسول وآل بيته، وقد استخدم الشيخ كل المؤثرات الصوتية أثناء إلقائه للقصيدة، فلم يتمالك من يسمعه نفسه أو يمنعها من البكاء.

في هذه المرحلة لم يكن حسان يهتم بنفسه، ذقنه طليق لا يهذبه، يرتدي البسيط من الثياب، لكن وبعد أن أصبح نجمًا فضائيًا، فهو يهتم بمظهره أكثر من ذي قبل، ولا ينافسه في ذلك إلا الشيخ محمد حسين يعقوب، الذي يطلب من مسئولي الإضاءة في الاستوديوهات التي يصور بها أن يسلطوا الأضواء عليه أكثر حتى يبدو وجهه نورانيًا، لكن شيئاً من هذا لا يفعله مثلاً الشيخ أبو إسحاق الحويني، الذي يبدو بسيطاً في

ملابسه، ولم يختلف كثيرًا عن الصورة التي كان يبـدو عليهـا عنـدما كـان خطيب منبر فقط.

تقوى محمد حسان وعمله من أجله للدعوة الإسلامية، لم تقف حـائلا أن يصبح الرجل واحدًا من أثرياء الدعاة، ولأنه أصبح صاحب قناة فضـائية هي الرحمة الـتي تعرضـت لأزمـة هـذا العـام، فتغـير اسـمها إلى نسـائم الرحمة، ثم تغـير الاسـم للمـرة الثالثـة وأصـبح الروضة بعـد أن أغلقت القناة في زحمة إغلاق القنوات الدينية، فإننا يمكن أن نقـول إنـه أصـبح واحدًا من أثرياء رجال الأعمال في مصر.

وهذه قصة طويلة تتزاحم فيها التفاصيل، ويمكن لنـا أن نحكيهـا من البداية.

من سطور السـيرة الذاتيـة للشـيخ محمـد حسـان، هـو محمـد محمـد إبراهيم حسان، ولد في «دموه»، وهي قرية صغيرة من قري محافظــات الدقهلية، كان البيت الذي ولد فيها متواضع الحال، لكنه معروف بالتدين، فقـد كـان جـده لوالـده حافظاً للقـرآن، وقـد تـولى رعايتـه وقـام على تحفيظه للقرآن، وهو ما حدث له في الثامنة من عمره.

كان من المفروض أن تقود النشـأة الدينيـة لمحمـد حسـان خطواتـه إلي الأزهر الشريف، فبعد أن حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مصباح محمــد عــوض، اســتطاع أن يحفــظ كــذلك متن أبي شــجاع في الفقــه الشافعي، وبعض متون العقيدة، ولما وجد جده قدرته على الحفظ ألزمه بحفظ كتاب رياض الصالحين، ثم حفظ الأجرومية، ودرس على يد شــيخه التحفة السنية.

وفي سن الثالثة عشـرة من عمـره صـعد محمـد حسـان المنـبر لأول مرة في حياتـه في قريـة ميت مجاهـد المجـاورة لقريته، ومن وقتهـا لم ينزل من عليها إلا قليلاً، فهو يحرص على خطبة الجمعة، ولا يمتنـع عنهـا إلا إذا حالت الظروف القاهرة بينه وبين ذلك.

لكن هناك ما حدث في حياة حسان ـ ولا أدعي معرفـة كاملـة بـه ــ أبعده عن الأزهر، وقاده إلي التعليم العام، ولأنه كان متفوقاً، فقد التحق بكلية الإعلام جامعـة القـاهرة، وفضل أن يـدخل قسـم العلاقـات العامـة مبتعدًا عن قسمي الصحافة والإذاعة والتليفزيون، ورغم أن زملاء محمـد حسان في دفعته أكدوا أنه لم يكن طالبًا بارزًا، حيث كان متفرغاً للدعوة في مسجد المدينة الجامعية التي عاش فيها سـنوات الدراسـة الأربع، إلا أن حسان يشير إلى أنه حصـل على تقـدير جيـد جدًا في السـنة النهائية، وهو ما لا يمكن لأحد أن يكذبه فيه، لكن من كلام محمد حسان عن كليتــه يتضـح أنـه لم يكن متواجدًا بمـا يكفي ليعـرف مـا الـذي يـدور فيها، فهـو يستشهد دائمًا بمادة «كيفية مخاطبة الجمـاهير» الـتي درسـها ليؤكـد أنه

يخاطب الجماهير على أساس علمي، رغم أن كلية الإعلام ليس فيها مادة مستقلة بهذا الاسم.

حتى تخرج حسان في كلية الإعلام، لم يكن إلا طالبًا متوسط الحال، يسعى في الأرض لتحصيل العلم، وقد سافر خلال إجازة السنة الأولى الجامعية إلى الأردن وهناك حضر بعض اللقاءات للشيخ الألباني، وهو شيخ العصر في الحديث ومعلم أبو إسحاق الحويني، لكن يبدو أن حسان لم يتمكن من التتلمذ على يديه، لأنه لم يذكر ذلك.

بعد التخرج استرد محمد حسان نفسه، فهو يريد أن يكون داعية، ولابد له أن يدرس دراسة نظامية، والتحق بالفعل بمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، لكنه لم يكمل الدراسة فيه، فقد أخذته فترة التجنيد الإلزامي، وهي الفترة التي قضاها في الخطابة والوعظ داخل الجيش من خلال إدارة التوجيه المعنوي، وبعد أن أنهي فترة تجنيده عاش حسان فترة في مدينة السويس، التي كانت قريبة من منطقة تجنيده.

تحتل السويس مساحة رحبة من حياة محمد حسان، فهو لا يكف عن ذكرها في خطبه، ويستشهد كثيرًا بما حدث له فيها، كانت فترة تألق هائلة في حياته كداعية، وهناك تزوج لأول مرة وأنجب وعرف طعم الحياة، وبدأ اسمه يعرف في المناطق المجاورة للسويس، وبدأ يعرف طريقه لسوق الكاسيت، الذي لم تكن أرباحه مجزية بدرجة كافية، لكنها كانت عاملاً مساعدًا في نقل الرجل من خانة متواضع الحال إلى الرجل الميسور.

لم يستمر الشيخ محمد حسان كثيرًا في السويس، فقد كانت هناك محطة مهمة لابد أن يمر بها، ليس في تحصيل العلم فقط، ولكن في جمع الثروة أيضًا، هذه المحطة كانت محطة المملكة العربية السعودية، ففي السعودية ومن خلال الشيخ صفوت نور الدين جلس حسان إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو الرجل الأهم والأكبر في مجال الدعوة الإسلامية خلال النصف قرن الأخير، وتلقي على يديه العلم، فسمع منه كثيرًا من الشروح مثل شرح فتح الباري والنونية والعقيدة الطحاوية والواسطية.

ومن يد عبد العزيز بن باز إلى يد الشيخ بن جبرين الذي درس حسان على يديه الفقه وأصوله والتفسير والعقيدة، ومنه إلى الشيخ عبد القادر شيبة الحمد الذي درس على يديه كتاب بلوغ المرام، وأمام الفقيه الأصولي السلفي محمد بن صالح العثيمين في القصيم جلس حسان ليواصل تعليمه.

لم يذهب محمد حسان إلى السعودية ليكون طالب علم فقط، ولكنه ذهب للعمل، وبتزكية من صالح العثيمين، أصبح حسان مدرسًا في جامعة

محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم بكليتي الشـريعة وأصـول الـدين، وظـل لسـنوات يـدرس مـواد الحـديث ومنـاهج المحـدثين وطـرق تخـريج الحديث، وهو العمل الذي كان يتقاضى عليه حسان عائدًا مجزيًا، استطاع من خلاله أن يعود إلى مصر وهو صاحب ثروة كبيرة.

عاد حسان إلى مصر مع بداية التسعينيات ليصبح من خلال مـا حصـله من علم على يد شيوخ الوهابية الكبـار أحـد ألمـع وأبـرز دعـاة السـلفية، الذين غزوا الأسواق بشرائط كاسـيت كـانت تنتجهـا شـركات بعينها، ولم يكن الشيخ محمد حسان ممن يتركون أمورهم في يد الآخرين، فقد كـان شريكاً في الشركة التي تنتج له شرائطه، وهي الشـركة الـتي لم تتـورع في منتصف التسعينيات أن تذهب إلى إحدى الصحف الخاصة بـإعلان عن شـرائط الشـيوخ، بعـد أن بـدأت الصـحيفة في مهاجمـة شـيوخ السـلفية وفضح تجارتهم بالدين، وكان المضـحك أن الجريـدة أخـذت الإعلان الـذي حصلت على ثمنه مسبقاً، ونشرته وإلى جـواره نشـرت حلقـة جديـدة من الهجوم على شيوخ السلفية.

كـانت هـذه الحيلـة دليلاً قاطعًـا على أن شـيوخ السـلفية يملكـون عقليات اقتصادية ويدركون أسرار البـيزنس، فهم لم يـترددوا في شـراء الصحف بالإعلان إذا ما كانت هذه الصـحف ستفضـحهم، أو تكشـف أبعـاد مخططهم للتجارة بالدين، وهو مـا تكـرر بعـد ذلـك من الفضـائيات الـتي ملكوها، وهي فضـائيات اعتقـدت أكـثر من مـرة أنهـا يمكن أن تشـتري الصحف بالإعلان، لكن كانت محاولاتهم تبور في كل مرة.

لم تكن عوائـد شـرائط الكاسـيت وبعض الكتب الـتي نشـرها حسـان مجزية، لكنهـا وضـعت قـدمي الشـيخ على عتبـة الملايين، لم تكن ملايين كثيرة، لكنه استطاع أن يدخل من خلالها نادي المليونيرات، وقـد اسـتفاد حسان من سماته الشخصية الـتي حبـاه اللـه بها، فثروتـه لم تظهر عليـه أيامها لأنه متواضع ولا يميل إلى التفاخر بما يملك.

كانت مرحلة الفضائيات تحديدًا هي نقطة الانطلاق في حيـاة وثـروة محمد حسان، أدرك الشيخ بذكائه أن الكاسيت لن يستطيع أن يصمد أمام الفضائيات فولى وجهه شطرها، وفي سنوات قليلـة أصـبح نجمهـا الأول بلا منــازع، وقبــل أن يســتقل بقناتــه الخاصــة وهي قنــاة الرحمــة في 7/7/2007م، كان مطلوبًا في حوالي 5 قنوات دينية هي الحكمـة والأمـة واقـرأ والرسـالة، لكن ظلت قنـاة النـاس هي القنـاة الأهم الـتي احتفت بحسان احتفاء خاصًا من الناحية المادية.

إن محمـد حسـان لا يتحـدث كثـيرًا أو قليلاً عن ثروته، لكن هنـاك من بحث وأعـد دراسـة عن ثـروات شـيوخ السـلفية في مصـر، وهـو البـاحث والإعلامي هــاني الـديباني، الـذي أورد أرقامًا محــددة عن ثــروة محمــد

حسان، وهي أرقام لم تبتعد كثيرًا عما يتردد في أوساط القنوات الفضائية وأوساط الدعوة.

في قناة الناس كان يحصل محمد حسان على 50 ألف جنيه شهريًا مقابل ظهوره في برامجه، وفي شهر رمضان كان يسجل 15 ساعة خاصة وكان يتقاضى عنها 100 ألف جنيه، وكان حسان بذلك هو أغلى داعية لدى قناة الناس، وهو ما جعله يعتقد أنه سبب المكاسب التي تحققها هذه القنوات، ولذلك تركها وذهب ليؤسس قناته الخاصة متحججًا أنه اعترض على الظهور في قناة الناس بعد استضافتها لعمرو خالد وهو طبقاً للفكر السلفي مقصر، رغم أن محمد حسان نفسه ظهر بعد ذلك على قناتي اقرأ والرسالة، وهي بلغة الإعلام كانت بيت عمرو خالد التي ظهر فيه، وخاصة اقرأ، وهو ما يؤكد أن حسان خرج حتى تكون المكاسب كلها له.

لكن قبل أن ينتقل محمد حسان إلى قناة الرحمة مالكاً لها، كان يأتيه دخل ضخم جدًا من بيع السيديهات التي تحمل حلقات برامجه، لكن يبدو أنه لم يقنع بما كان يأتيه من شركة «يوتيوب» التي كانت تتولى إنتاج السيديهات وتوزيعها، فقام من خلال أخيه محمود حسان الذي أصبح مديرًا لقناة الرحمة بعد ذلك، بمقاضاة سعيد توفيق صاحب الشركة وكان غرضه أن يتقاسم الأرباح كلها، بدلا من أن يحصل على نسبة صغيرة منها، وهو ما تحقق للشيخ وأخيه، وبعد أن كانت السيديهات تباع بأسعار مناسبة ومعقولة، رفعت الشركة أسعارها حتى يتوافر هامش ربح معقول للشيخ.

على قناة الرحمة أصبحت هناك مصادر دخل ثابتة ومعروفة، ومنها بالطبع الإعلانات، وتحصد القناة شهريًا حوالي مليون و800 ألف جنيه من إعلانات التلي شوب، وهي إعلانات عن بطاطين وحلل وأطباق وأطقم سراير، هذا غير المحمول الإسلامي.

على خط الإعلانات تأتي مليون جنيه تدخل القناة شهريًا من الاتصالات المدفوعة مقدمًا من المشاهدين الذين يتسابقون على برامج الفتاوى وخاصة التي يكون مقدمها الشيخ حسان، ولا تكون مكالمات قناة الرحمة مقتصرة على طلب الفتوى فقط، ولكنها كانت تمتد إلى الإشادة بالشيخ وتمجيده، وقد أعلن حسان نفسه أن كثيرًا من المشاهدين ينتظرون أكثر من ساعتين على الهاتف في انتظار الرد، وفي هذا دعم هائل للقناة والدعوة.

الرسائل القصيرة التي تحتفي بها القناة دخلها حوالي 900 ألف جنيه شهريًا، ومن المعروف أن الشيخ حسان أحد أهم المشايخ الذين يحضون المشاهدين على إرسال رسائل للقنوات الدينية، فأثناء أزمة

الرسوم المسئية للرسول، وكان أيامها في قناة الناس، أطلق صرخته المدوية أن انصر رسولك ولو برسالة، دون أن يعلم المشاهد أن ثمن هذه الرسالة لن يذهب إلى الرسول، ولكن سيتم تقسيمه بين شركة الاتصالات والقناة وجيب الشيخ حسان شخصيًا.

من بين ما يمتلكه الشيخ محمد حسان كذلك عددًا من القصور والفيلات، فلديه طبقاً لدراسة هاني الديباني مجمع سكني في مدينة 6 أكتوبر عبارة عن خمس عمارات على ألف متر، وتصل القيمة الأولية لهذا المجمع 15 مليون جنيه، وهو المجمع الذي شهد آخر أزمة تعرضت لها عائلة الشيخ محمد حسان، عندما ادعت امرأة من الشرقية أن أحمد نجل حسان الأكبر تزوجها عرفيًا، ثم لا يريد أن يعترف بالزواج، وهو ما أكدته وأثبتته في محاضر رسمية، فقد تهجمت على عمارات 6 أكتوبر، التي تعتبر الآن المقر والمستقر الرسمي لعائلة الشيخ وعائلته كلها.

يمتلك الشيخ كذلك فيلاً في مدينة العاشر من رمضان، وفيلاً في مدينة الشروق، يقال إنها كانت مملوكة لحليمو وهو من أشهر مشجعي النادي الأهلي، وهناك كذلك فيلا بجمصة يصيف فيها الشيخ وعائلته، فهو لا يصيف في الساحل الشمالي، ولا يفضل أن يصيف في الخارج، لأنه بالأساس ليس لديه وقت لذلك، هناك كذلك فيلا يمتلكها الشيخ في كفر البدماص بمدينة المنصورة أمام كلية الدراسات الإسلامية، وفيلا أخرى في ميت بدر بالمنصورة أيضًا، هذا غير بيت الشيخ الكبير في دموه مسقط رأسه، وهي القرية التي لم ينسها حسان بل ما زال يتردد عليها تقريبًا أسبوعيًا، وإلى جوار هذه العقارات يملك محمد حسان حوالي 200 فدان في أماكن متفرقة، منها 50 فداناً على طريق مصر إسكندرية الصحراوي.

يمتلك الشيخ محمد حسان عددًا كبيرًا من السيارات، للدرجة التي يقال إنه يملك أسطولاً منها، يملك هو شخصيًا سيارتين أحداهما فولكس واجن باسات ألماني، وأكبر وأحدث سيارة ماركة تويوتا، هذا غير السيارات التي يملكها إخوته وأولاده.

أما الغريب فهو أن شقيق الشيخ حسان وهو محمود يمتلك حسابًا في بنك خاص وهو البنك الأهلي سوستيه جنرال، ولا يعرف أحد هل الأموال التي في هذا الحساب هي أموال محمد، أم أنها أموال الشيخ محمد حسان لكنها مكتوبة باسم محمود.

في سياق اعتراضه على إغلاق قناة الرحمة، استبعد الشيخ محمد حسان أن يكون السبب ماليًا، فهو سدد كل ما عليه من مستحقات، والرجل صادق كل الصدق في ذلك، خاصة أن القناة سددت كل ما يستحق عليها لمدينة الإنتاج الإعلامي ولإيجار القمر الصناعي حتى

2014م، ولا يمكن أن نجزم بصحة ما يقال عن أن هـذا الـدعم جـاء رأسًا من الرئيس القذافي الذي دعا الشيخ حسان إلى ليبيا وصلى وراءه، لكن الأمر المؤكد أنه يثير التساؤل.

لكن التساؤل الأكثر واقعية، هو كيف يدير الشيخ محمـد حسـان هـذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، والرجـل إذا تـابع كـل صـغيرة وكبـيرة، فإنــه لن يتفــرغ لدروســه وخطبه مواعظه، وهـذا صـحيح، ولـذلك يــترك حسان كل شيء لشقيقه محمود حسان، الذي يمكن اعتباره وزيــر ماليــة عائلة حسان، وهو بالمناسبة صاحب فكرة شراء الأرض في أكتـوبر وبنـاء المجمع السـكني المكـون من خمس عمـارات عليها، حـتى تكـون العائلـة كلها في مكان واحد، يبذل محمود حسان مجهودًا خارقاً في تنمية الثروة التي كونها الشيخ محمد حسـان، وهـو مجهـود مـدفوع بـالطبع، فمحمـود أيضًا صاحب ثـروة، لكنهـا بكـل المقـاييس ليسـت في قـدر ثـروة الشـيخ محمد حسان التي نسأل الله أن يبارك له فيها.

- غطى هــذا الجــزء الأكــبر من صــفحة كاملة من صــفحات الجريــدة استكملتها نبذة عن «البحث عن قصور الشـيخ من 6 أكتـوبر إلى مدينة الشروق»، تحدثت فيها عن تجربة قامت بها «الفجر» منذ عدة شــهور، وجـاء تحت عنـوان «البحث عن قصـور الشـيخ من 6 أكتـوبر إلى مدينة الشروق»، جاء بها:

الاهتمام بثروة الشيخ محمد حسان ليس موضوعًا جديدًا، فهـو يمثـل علامة فارقة على العلاقة بين الدعوة والبـيزنس، فـالمعروف أن الـدعاة إلى الله لا يربحون ولا يتربحون من الدعوة، ولكن محمد حسـان ورفاقــه من دعاة السلفية، ومن قبلهم الـدعاة الجـدد وعلى رأسـهم عمـرو خالـد ظهرت عليهم آثار الثروة التي كونوها بالملايين.

ولذلك حاولت «الفجر» منذ عـدة شـهور أن تبحث عن القصـور الـتي يعيش فيها الشيخ محمد حسان، نزلنا ومعنا مصور الجريدة الزميل أحمــد حماد، وبالفعل قمنا بتصوير هذه القصور من الخـارج، كنـوع من التوثيـق للثروة الهائلة.

ومن أهم المحطات المجمـع السـكني في 6 أكتـوبر، والعمـارة الـتي يسـكن فيهـا عبـارة عن قصـر مهيب يسـكن فيـه هـو وأولاده وزوجاتـه، وملحق بالقصر باركينج لسيارات العائلة، ومن الداخل ينقسم القصر إلى عدة أجنحة، كل زوجة تعيش مع أبنائهـا في ملحـق خـاص، ويضـم قصـره مكتبـة هي من أكـبر مكتبـات الشـيوخ في مصـر، كمـا يوجـد أيضًـا جنـاح مخصص لاستقبال الضيوف الذين لا ينقطعون عن زيارة الشيخ.

من 6 أكتوبر إلى مدينة الشروق التي اشترى فيها الشيخ حسان فيلا كان يمتلكها حليمو أحـد أشـهر مشـجعي الأهلي، وهي فيلا شـهيرة جـدًا

هناك، وتعتبر من أفخم الفيلات في الشروق، ويتردد عليها الشيخ حسان من وقت إلى آخر للاسترخاء والبعد عن القاهرة، خاصة بعد أن يكون أجهده العمل الذي لا ينقطع عنه.

- جريدة «اليوم السابع» في (5/4/2011م)، صدرت الجريدة ملفها بعرض عام للسلفية مهدت له بفقرة تحت عنوان: «أول مواجهة سياسية مع شيوخ السلفية حول الديمقراطية والأقباط وفرض الحجاب بالقوة»!، وكذلك «السلفيون والسياسة.. الخروج من تحت الأرض.. دخول التيارات الدينية للسياسة يجبرها على تقديم برامج لا خطب»، وكتبت هذه باعتبارها «مانشيتات» أي بخطوط كبيرة مميزة، وبعضها باللون الأحمر، وغطى صفحة 9 بالكامل، وجاء فيها:

النظام السابق دعم السلفيين لمواجهة الإخوان، مثلما فعل السادات مع الإخوان لمواجهة اليسار، بعد ثورة 25 يناير أصبحت التيارات السياسية في طريقها للتبلور، ودخلت تيارات أخرى على الخط السياسي والإعلامي منها التيارات السلفية، التي تبدو شكلا واحدًا لكنها تتنوع في المضمون، والمصادر.

بدءً من أنصار السُنة إلى الجماعة الإسلامية والجهاد والقاعدة والوهابيين، كلهم ينتمون للفكر السلفي ويعلنون التزامهم بأفكار وتصرفات السلف كما يرونها، ويتصورون إمكانية إعادة صورة الإسلام الأولى، لكنهم يتنوعون في مصادرهم وأشكال تصرفاتهم.

منهم نجوم الفضائيات مثل محمد حسان أو يعقوب، ومنهم سلفيون عائدون من السعودية، أو تيار في الإسكندرية أو المحافظات، أغلبهم كانوا يعملون في الدعوة بعيدًا عن السياسة وبعضهم كانت له علاقات مع أمن الدولة وينظمون مظاهرات للمطالبة بإطلاق من قالوا إنهن مسلمات محتجزات في الكنائس.

يتوزعون على الإسكندرية والفيوم والصعيد والوجه البحري والقاهرة، بعضهم اتهم بالتورط في الاعتداء على منازل وممتلكات بزعم تطبيق الحدود، مثل مهاجمة بعض المنتمين إلى «السلفيين» سيدة في منزلها بالمنوفية، وقطعوا أذن مسيحي في قنا مما أثار قلق وغضب كثيرين، واضطر السلفيون لتكذيب هذا والتبرؤ منه، خاصة أنه أعاد صورة الجماعات الإسلامية في التسعينيات التي اصطدمت بالمجتمع والدولة وانتهت إلى السجون أو القتل، أو الهرب إلى أفغانستان أو السعودية.

وهم حديثو عهد بالعمل السياسي وبعضهم يتبنى أفكارا تخلط بين الواقع والخيال، ومازالوا بالرغم من اعترافهم بالثورة لم يغيروا أفكارهم عن التعددية والمشاركة والمواطنة، ومازال بعضهم يفهمها على طريقة وهابية أو باكستانية أو أفكار نشأت في أوقات الصراعات

المسلحة في آسيا أو جمهوريات روسيا السابقة، القاعدة تختلف مع الإخوان وهناك انتقادات لأيمن الظواهري للإخوان ترجع إلى أن الظواهري يتبنى الجهاد والحرب.

الظواهري كان يشكك في إمكانية قيام تغييرات ثورية سلمية في الدول العربية وهي نظرية سقطت بثورات سلمية جماهيرية نفت تصورات الظواهري الذي خرج ليعلن تأييد الثورة ويدعو إلى اكتساح الانتخابات أو شن حرب وهو هنا ينتمي إلى فكر معزول يعجز عن قراءة الواقع، وأفكار لم تختبر سياسيًا، وفكر يعتبر الحرب غاية وليست وسيلة.

يتجاهل الظواهري وكثير من السلفيين أن السعودية التي كانت أكبر داعم لهم ماليًا ومعنويًا تواجه أزمات وتحولات تدفعها لوقف التمويل الأمر الذي يجعل هذه التيارات في مأزق.

السلفيون يدخلون للسياسة بعد سنوات كانوا يمارسون فيها سلطة دينية في غيبة السياسة، وأصبحوا يعملون في العلن ويحتاجون إلى تقديم خطاب سياسي وعدم الاكتفاء بخطاب الترهيب والترغيب.

مع دخول تيارات كثيرة خاصة من الشباب أصبحوا يمتلكون شجاعة المواجهة ويرون الإسلام في صورة وسطية معتدلة، كما أن اتساع العدوان على القانون والخروج على المجتمع والإسلام الوسطي يمكن أن يقود لتصادم مع الدولة، ويضع السلفيين في موضع المتهم الذي يتجاهل القانون ويقود إلى الفوضى وهو ما دفع بعض دعاتهم لنفي هذا وإعلان استنكاره.

من جانب الدولة يتوقع أن تعمل على مواجهة الخروج على القانون حتى تستعيد هيبتها مع تقديم برامج اجتماعية واقتصادية للفقراء لتنهي سطوة التعصب، مع الأخذ في الاعتبار أن المجتمع المصري يميل إلى الوسطية والاعتدال، ولهذا استهجن أغلبية من أدلوا بنعم للاستفتاء ما حاول السلفيون تصويره على أنه صراع ديني الأمر الذي دفع يعقوب للتراجع عن تصريحاته حول غزوة الصناديق والعودة لخطاب معتدل.

ولا يمكن اعتبار السلفيين كلهم متشددين فمنهم من يعتنق الوسطية والدعوة السلمية ومنهم من يستقوى في مواجهة الضعفاء وهؤلاء يتجهون للتصادم مع العائلات أو الحكومة أو المجتمع.

وأهم أزمات السلفيين مع السياسة هي عدم استيعاب العمل السياسي والمنافسة بين البرامج، أغلبهم كان ينطلق ولا يزال من تحريم الأحزاب أو الانتخابات وعليهم استيعاب هذا من جديد. ولا تزال فكرة الأحزاب الدينية مرتبكة وهناك من يطالب بأحزاب على أساس

ديني، رفضًا للدستور وقانون الأحزاب وهي أزمة يتوقع أن تواجه أي أحزاب لن تلتزم بالقانون.

كما أن نجوم الفضائيات من السلفيين عليهم تقديم خطاب جديد يفرق بين السياسة بوصفها جدلاً وعملاً ينتهي إلى برامج، وبين كلام عام وقصص مؤثرة، لكنها لا يمكن أن تترجم إلى برامج سياسية واقتصادية.

لا توجد إحصاءات بأعداد المنتمين للسلفية في مصر لكنهم يقدرون بين مليون إلى مليون ونصف، والبعض يقدرهم بأكبر من هذا يختلفون في التفاصيل والتصورات وطريقة العمل، وليس كل السلفيين تيارًا واحدًا، بينهم التابعون لابن عبد الوهاب ومنهم العائدون من السعودية، ويختلفون عن السلفيين الذين نشأوا في مصر أو الذين ارتبطوا بالقاعدة والأفغان والشيشان والجهاد الخارجي.

وهناك أنباء عن أن 3 آلاف من هؤلاء قرروا العودة لمصر بعد سنوات عاشوا خلالها في مجتمعات أخرى ولديهم تصورات مختلفة، ويفترض أن يعودوا لقواعد المجتمع المصري وأن يتم التعامل معهم على هذا الأساس، أفكار أيمن الظواهري الرجل الثاني في القاعدة تختلف مع أفكار الجماعة الإسلامية التي توصلت إلى مراجعات اعترفت فيها بخطأ العنف، بل هناك تفكير مشترك بين سلفيين محليين وبين القاعدة.

بعض السلفيين المصريين يعتمدون على أفكار محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه في السعودية مثل ابن باز وابن عثيمين، وهي أفكار تختلف عن أفكار السلفيين الذين نشأوا في المجتمع المصري بوسطيته واعتداله.

وينتشر السلفيون على الطريقة السعودية بين شرائح المجتمع في المدارس في الجامعات، بين التجار وأصحاب المحلات، بين رجال الأعمال والدعاة وخطباء المساجد، وتنتشر المنتقبات في مناطق يمثل السلفيون فيها كتلة سكانية غالبة، لكن منهن من وصلن إلى الجامعة الأمريكية ونوادٍ مثل الصيد والدقي والساحل الشمالي وهؤلاء أثرياء، ومنهم نماذج أخرى وجدت مصدرًا للرزق في السعودية وعادت بأفكارها، بين دعاة السلفية المهيمنين على سوق الكاسيت في مصر، ونجد أن محمد حسين يعقوب ومحمد حسان ومحمود المصري أشهر من قادة الإخوان أو السياسيين لأنهم يقدمون خطابًا قصصيًا مريحًا أو مهدئًا بلا التزامات برنامجية أو سياسية.

الأصل عند السلفيين مقاطعة الانتخابات لكن بعضهم ترشح كمستقلين أو على قوائم الأحزاب خاصة الحزب الوطني.

أيمن الظواهري كان يرى أن التغيير لا يمكن أن يتم إلا بالحروب واستبعد التغيير السلمي وهو أمر أسقطته ثورة يناير السلمية، وعاد

ليطالب بإقامة أمة إسـلامية بالانتخابـات أو القـوة دون أن يـدرك الفـرق بين أفغانستان ومصر، وهو في بعض أفكـاره أقـرب إلى الحكـام العـرب الـذين تصـوروا اسـتحالة الثـورة الجماهيريـة عليهم، لكن الواقـع كـذبهم وسـقط بن على ومبـارك، وفي الطريـق اليمن وليبيا، وسـقطوا بخـروج الشعب بفئاتـه الوسطي وجعـل الشـعب طرفاً في معادلة الحكم، وكـان الـذين ثـاروا أولاً لا ينتمـون للجماعـات السـلفية التي تـرددت كثـيرًا في الانضمام إلى ثورة يناير يوم 25 وأيضًا 28 يناير، لكنهم بعد نجـاح الثـورة سارع عدد من المنتمين للسلفية بالظهور والانتقال إلى ميـدان التحرير، وكانت جماعـة الإخـوان أسـبق في الظهـور، لكنهـا ليسـت الفاعـل الذي أشعل الشرارة، وبالتالي فإن هناك أجيالاً شابة تنتمي للوسـطية وتطلب دولة مدنية يتساوى فيها المواطنون.

وظهرت خلافات بين التيارات المختلفة في التحرير والإخــوان، التي حـاولت طمأنـة الجميـع، وهنـاك فـرق بين الإخـوان كتيـار سياسـي في الميدان منذ سنوات وله نـواب في البرلمانـات، وعلاقـات مـد وجـزر مـع النظام السابق. بينما كان التيار السلفي بعيدًا عن السياسة، بل يحرمها. وبعضهم يفتقد إلى القدرة على العمل ضـمن المجتمـع، الأمـر الذي أدى إلى مصادمات بينهم وبين تيارات سياسية والمجتمع.

ومــازالوا يفتقــدون إلى الحس السياســي أو القــدرة على قــراءة الواقع، ويميلـون إلى القطعيـة والمصـادرة، والاسـتقطاب واسـتعراض قوة، هم أنفسهم لا يدركون أبعادها، خاصة أنهم متعددو الفروع، فالذين ينتمون إلى التيار السلفي يتنوعـون بين من خرجـوا حـديثاً من السـجون مثـل عبـود وطـارق الزمـر بعـد فـترة عزلة غـاب عنهم واقـع المجتمع، وتسببت خطاباتهم المتعجلة حول المسيحيين والجزية وخلافه في صدمة للمجتمع وتياراته المدنية.

كما أن عـدم تفهمهم معـاني مثـل المدنيـة وتصـوراتهم عن إمكانيـة فرض رؤيتهم على أغلب المجتمـع بـالقوة أو الاسـتعراض أثـارت ضـدهم الغضب والرفض خاصة أن تجمعاتهم تعمل وسط الضعفاء والفقراء بينما يعجزون عن التلويح بالقوة في المجتمعات ذات العائلات والقوة القبلية، أو التي تحظى بدرجات من التماسك، وهناك بين السـلفيين تيـار إعلامي أو نجوم من مصلحتهم أن تبقى صورتهم مقبولة إذا كانوا ينوون الدخول إلى عــالم السياســة الذي يختلــف في مصــر عنــه في الســعودية، أو أفغانستان أو باكستان.

فالسـعودية تتجـه حاليًـا إلى الانفتـاح على العـالم والدولـة الحديثة، وبعد أن كانت مصدرًا لدعم وتمويل بعض هذه التيارات، تتجه إلى تحولات سياسية وثقافية تأثرا بما يجرى في العالم، كما أنها لم تنجح بالرغم من أنها استندت إلى أفكار وهابيـة في تقـديم نمـوذج إسـلامي للعـدل وفي

الخلافة التي يطالب بها دون أن يدركوا أن التاريخ لا يعود، وأن كل دولة لها ظروفها التاريخية والجغرافية، وبالتالي فإن مصادر الفكر السلفي تختلف من السعودية إلى أفغانستان أو باكستان وكلها أفكار تعلن التزامها بالسلف.

وعليهم إن أرادوا الدخول للسياسة أن يلتزموا قواعدها أو يعودوا للدعوة ويبتعدوا عن السياسة التي يتوقع أن تضعهم في محك التجربة بعد سنوات كانوا فيها يقدمون خطابًا يمتلئ بالوعود دون أن يلتزم ببرامج وقواعد السياسة، ويعلموا أن الخلاف معهم ليس خلافا على الإسلام وإنما اختلاف على بشر وبرامج سياسية.

- وكانت الصفحة التالية تحت عنوان «أشهر 9 كتب لتيارات أهل السُنة والجماعة في مصر» بقلم هدى زكريا وسارة عبد المحسن، جاء فيها:

تنوعت مضامين كتب الدعاة السلفيين في مصر وفقا لتنوع تلك التيارات ما بين التيار الشرعي والمدخلي والمستقل والحركي، فنجد من بين هؤلاء الدعاة من يحث الآخرين على تجنب المشاركة السياسية والتفرغ للتوعية والتثقيف الديني، وذلك على أساس أن التحليل السياسي له فرسانه، ومنهم من قام بتكفير الشيعة في أعماله ليقف على جذور العداء المتأصل بين الشيعة وبينهم، ومنهم أيضًا من حرص على ترهيب الناس من خلال تصويره لعذاب القبر وأهواله وكذلك فيهم من وضع حلاً للصراع العربي الإسرائيلي الذي فشل في إدارته كثير من الحكام العرب، بالعودة إلى الله والتضرع له.

وفيما يلي عرض لأشهر تلك الكتب التي توضح أيديولوجية وطريقة تفكير أصحابها الممثلين لمختلف التيارات وآرائهم في الشؤون العامة السياسية والدينية والحياتية.

في كتابه «حب الوطن الإسلامي من الإيمان.. هكذا ضيعوا الأوطان» يدعو الشيخ محمد بن سعيد رسلان، وهو واحد من أبرز رموز تيار السلفية المدخلية، إلى ضرورة الحفاظ على الوطن إسلاميًا على اعتبار أن هذا جزء من تطبيق الشريعة الإسلامية محذرًا من إلحاق الضرر بأي دولة شهدت الفتح الإسلامي وذلك لما قد يترتب عليه من فوضى تضيع مكاسب الإسلام التي تحققت فيها عبر قرون.

يجيب الشيخ محمد بن سعيد رسلان، في كتابه «متى تعود فلسطين؟» على هذا السؤال الذي يحمل عنوان عمله، قائلاً إن إعادة فلسطين واستردادها من القوات الإسرائيلية المحتلة يقتصر على العودة إلى الله وإدراك الطريق إليه محذرًا من الابتعاد عنه والذي سيفقدنا كثيرا مما في أيدينا.

ويشير رسلان في كتابه إلى أن ما يحدث اليوم في غزة ليس قضية معونات إنسانية أو قضية تتعلق بالنفس البشرية في عمومها وليست

قضية خيرية ينتدب لها ما ينتدب من أهل المروءة من أصحاب البذل والعطاء ولكنها قضية عقائدية تتعلق بالاعتقاد في أصله وبالدين في صلبه، ويوضح رسلان أن كافة المساعي الدولية لحل أزمة فلسطين لا تغنى شيئاً وليست وسيلة للوصول إلى المطلوب لأنها بعيدة عن الأصل وهو التمسك بالهوية الإسلامية القائمة على نصرة الدين بصدق.

واستبعد رسلان فكرة استعادة الأراضي المحتلة طالما أن الشعوب بعيدة عن تطبيق الشرعية، متسائلا باستنكار: هل يمكن أن ينتصر شعب شاعره محمود درويش؟ إنما ينتصر شعب شاعره كحسان رضوان الله عليه مؤُحد مخبت منيب.

يتحدث الشيخ محمد بن حسين يعقوب، أحد رموز التيار السلفي المستقل، في كتابه «أهوال القبر»، عن فزاعة الموت بادئاً عمله بالتأكيد على أن الحياة فانية لا أمل فيها ولا سبيل لنجاة الإنسان سوى مدى علاقته بربه، ويُرجع يعقوب في كتابه سبب عدم التفات الناس إلى عظة الموت وما يحدث للموتى في قبورهم إلى الحرب «الضروس» التي تشن على الإسلام مؤخرًا.

ويعتمد يعقوب في كتابه على أسلوب الترهيب مصورًا مشهدًا للإنسان وهو ينام في القبر تلك الحفرة التي لا تتجاوز بضعة أمتار، لا يتحرك وجهه فيها يميناً أو يسارًا ويبقى فيها وحيدًا دون أهله أو ماله، كما يصف ما يلقاه من عذاب في القبر إن كانت روحه خبيثة فتنادى عليه الملائكة بأقبح أسمائه في الدنيا وتنتزع روحه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، على عكس صاحب الروح الطيبة ثم يستعرض يعقوب عقيدة أهل السُنة والجماعة في عذاب القبر وذلك للتأكيد على أن التصديق بأهوال القبور وعذابها واجب شرعي وجزء من الإيمان.

على عكس الطريقة التي اتبعها الشيخ محمد حسين يعقوب في كتابه «أهوال القبر»، للترهيب من عذاب الموت وللتحقير من شأن الدنيا، جاء كتاب «لا تحزن وابتسم للحياة» للشيخ محمود المصري والذي ينتمي لنفس تياره السلفي المستقل، ليتحدث عن أهمية أن يعيش الإنسان بأمل في الحياة وأن يكون متفائلاً مهما واجه من صعاب ومهما فقد من أشخاص أعزاء على قلبه.

في هذا الكتاب يرفع المصري شعار ابتسم للحياة فهي برغم ما فيها من الألم فهي إلى زوال ليبقى هناك جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله للصابرين المحتسبين، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر.

أحمد فريد، هو أحد مؤسسي تيار الدعوة السلفية وله العديد من المؤلفات أشهرها على الإطلاق «الفوائد البديعة في فضائل الصحابة وذم الشيعة» حيث أراد من هذا الكتاب تبرئة الصحابة، ممن وصفهم بالحمقى والأغبياء «الشيعة»، كما أطلق عليهم أيضًا الملحدين وذلك ليقر عين أهل السنة وليدافع به عن أصحاب النبي ﷺ الذين ضحوا بدمائهم وأموالهم في معارك كثيرة من أجل نصرة الدين الإسلامي، كما دعا الكاتب في عمله بالشقاء عليهم لأنهم سبوا صحابة الرسول وخاضوا في سيرتهم بدون علم.

«الرد العلمي على كتاب تذكير الأصحاب بتحريم النقاب» وصف كل من يرفض ذلك بالفاسق الفاجر ردًا على من ادعى في أحد مؤلفاته بتحريم النقاب وأنه ليس فرضًا على المرأة لباسه، قام الشيخ محمد إسماعيل المقدم وهو أحد مشايخ تيار الدعوة السلفية بتأليف كتاب «الرد العلمي على كتاب تذكير الأصحاب بتحريم النقاب» حيث وصف «الشيخ المقدم» في كتابه مؤلف هذا الكتاب وهو الدكتور إسماعيل منصور بأنه من المبتدعة الذين يريدون تكثيف الأمية الدينية ويحاولون تغريب الإسلام عن أهله.

وكان السبب في هذا الهجوم هو أن إسماعيل منصور قال في كتابه أن«المحجبة المنقبة آثمة عاصية بسبب ارتدائها النقاب» وهذا ما دفع الشيخ إسماعيل المقدم للتصدي له بتأليف كتابه «الرد العلمي على كتاب تذكير الأصحاب بتحريم النقاب» بأحاديث النبي محمد ﷺ وآيات من القرآن الكريم، ليبطل دعوته للفسق والفجور واصفاً إياها بالدعوة الساقطة والكاسدة قائلاً إن قاسم أمين وهو أشد من ظلم المرأة ــ على حد قوله ــ لم يجرؤ على قول ما قاله مؤلف هذا الكتاب.

وفيما يخص مسألة التبرك، أشار الشيخ محمد صفوت نور الدين وهو أحد مشايخ تيار أنصار السنة المحمدية في أحد مؤلفاته وهو «التبرك الممنوع والمشروع» إلى أن التبرك بأثر النبيﷺ ، أي زيارة قبره وقبر صاحبيه عمر وأبو بكر يعد تبركاً مشروعًا، ولكنه نفي البركة عن كل من يتمسح بقبر النبي ﷺ أو بالحجر الأسود مستندًا في ذلك على بعض أحاديث الرسول ﷺ، فضلاً عن طلب الحُجَّاج من الكعبة والدعاء منها والتبرك بكسوتها والتي يؤكد صفوت أنها بدع لم يأت بها رسول الله بأي وصية أو سلطان، مشيرًا إلى أن اتخاذ القبور مساجد أمر حرمه الله ورسوله.

يستهل الشيخ محمد حسان وهو أحد مشايخ تيار الدعوة السلفية المستقلة كتابه «عالمية الإسلام» بعدد من آيات القرآن الكريم التي توضح أن الله أراد أن يكون الدين الإسلامي هو دين العالم كله.

كما أن يوم عرفات ذلك اليوم الذي يأتي فيه أناس من كل أنحاء العالم منهم من يصلى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية كل هذه الألسنة مستحضرًا عظمة الله الذي لا تختلف عليه اللغات ولا تشتبه عليه الأصوات.

كما شرح في كتابه لماذا يأتي الناس لهذا المكان بهذا الزحام الشديد وذلك لأن مكة التي عرفت ببكة تعنى الزحام لأن البك في اللغة هو الزحام، مؤكدًا أن فريضة الحج هي أكبر الدلائل على عالمية الإسلام وإن لم تكن الشاهد الوحيد لكنها دليل واضح وصريح على أنه دين جميع خلق الله.

وفي قضية الجهاد في سبيل الله قام الشيخ ياسر البرهامي وهو أحد مشايخ تيار الدعوة السلفية بتأليف كتاب «الجهاد في سبيل الله ضوابط وواقع» حيث أشار في كتابه إلى فضائل الجهاد والمجاهدين وفضل الشهادة، مؤكدًا أن حب الجهاد فرض وكراهيته نفاق.

مؤكدًا على أن جهاد النفس هو السبيل الوحيد للجهاد ضد من وصفهم أعداء الله داعيًا شباب الأمة الإسلامية للهجرة بأنفسهم عما نهى الله عنه.

أما صفحة 12 فعالجت موضوعين كلٍ منهما شغل نصفها وجاء تحت عنوان «وشيوخ السلفية يردون»، وفي النصف الأعلى شمل المانشيت «أسامة القوصي أرحب برئيس مسيحي للبلاد، ولا أتوقع قيام دولة دينية وأعتذر لشباب التحرير»، وتحت هذا العنوان عنوان آخر «غزوة الصناديق ليست (زلة لسان)، والإخوان المسلمون يفكرون بطريقة (صهيونية)»، حوار سارة علام، تصوير عمرو دياب.

- يقول أسامة القوصي إنه «مسلم، سلفي، عقلاني»، ويرى في الدولة المدنية حلاً، بل يؤكد إنها أصل في الفكر الإسلامي، الأمر الذي يزعج السلفيين الذين نعرفهم في الشارع منه ومن خطبه، ويرى أنهم أساءوا للسلفية الطيبة بتصرفاتهم التي وصفها بالمتخلفة وخطبهم التي اعتبرها «همجية»، هذا ما أكده الشيخ السلفي أسامة القوصي في حواره مع «اليوم السابع»، متحدثاً عن الفكر السلفي من وجهة نظره، وفتح القوصي النار على الشيخ محمد حسين يعقوب، وهاجم القرضاوي، وجماعة الإخوان المسلمين، ورحب برئيس مسيحي واعتذر لشباب الثورة عن سوء فهمه لهم ويعيد النظر في مفهوم الخروج على الحاكم.. وفيما يلي نص الحوار:
- **<u>ما مفهوم الفكر السلفي من وجهة نظرك؟</u>**

السلفية مصطلح مشتق من كلمة «سلف» أي مضى، والسلف الصالح هم الجيل الأول وهو النبي ﷺ وأصحابه، لأنهم المثل والنموذج، لأن الإسلام الأول هو الإسلام الصافي قبل أن تدخله الشوائب، التي

انقسم على أثرها المسلمون إلى سُـنة وشيعة، وظهرت فرقـة الخـوارج التي خرجت على الإمام على بن أبى طالب.

- **ما رأيك فيما حدث الأسبوع الماضي من حوادث متكررة مثل قطع الأذن، وحرق محال الخمور، والمظاهرات المطالبة بظهور كاميليا شحاتة؟**

تخلف.. فهم أساءوا إلى السلفية الطيبة ويحضرني قول محمد عبده عن الإســلام «رأيت ســلفية بلا ســلفيين وســلفيين بلا ســلفية»، وإذا سافرنا للغرب فسنرى سلفية بلا سلفيين، وقضية كاميليا يراد المتـاجرة بها سياسيًا، وتحولت إلى مواجهة طائفية فالإسلام لن يزيد بكاميليا ولن تنتقص من المسيحية.

- **ذكرت أن السلفية تستخدم في الصراعات السياسية، فكيف تحالف السلفيون فجأة مع الإخوان في الاستفتاء على التعديلات الدستورية رغم الصراع التاريخى بينهما؟**

لأنها تجارة بالدين واسـتغلاله لأغـراض السياسـة والشـهرة والمـال، وأفسر التحالف بما قاله الشيخ حسان نحن صغار في السياسة وسنتعلم من الإخوان.

- **ولكن.. ما الذي دفع الجماعات السلفية للعمل بالسياسة رغم أن الفكر السلفي يحرم الخروج على الحاكم حتى لو كان ظالمًا؟**

منذ سنوات كنت أظن أن المظـاهرات خـروج على الحـاكم حـتى لـو كـانت سـلمية، ولكني تـراجعت عن ذلـك، لأن مشـايخ السـلفية كـانوا يحرمون المظـاهرات لأنها وافـدة علينـا من الخـارج، رغم أن الكثـير من جوانب الحياة وافدة علينا فلابد من إعمال العقل، واليوم أحـرم الخـروج المسلح على الحاكم وليست المظاهرات السلمية.

- **وما قولك في الخطبة التي نسبت إليك ليلة جمعة الغضب والتي قلت فيها لابد من خمد فتنة شباب التحرير الذي تم استغلاله، وهاجمت القرضاوي بشدة؟**

أنـا قلت هـذا الكلام ومـازالت مصرًا على بعضـه، فأنـا لا أوافـق هـذا الشـباب على الشـتائم الـتي وجهوهـا للـرئيس، وأنـا لـدى موقـف من القرضاوي لأنه إخواني ويقيم في بلاد أخرى وبينه وبين الـرئيس مبـارك موقف ما، فلا أقبـل هـذا منـه، وأنـا لم أفهم تسلسـل ثـورة الشـباب إلا بالتدريج فأنا وأبنـاء جيلي لم نتعـود على تلـك الطريقـة في التعبـير عن الغضب وكنت أخشى أن يتجه الشباب لقصر العروبة وتحدث فتنة كبرى.

- **ألم يكن من الأولى بك، أن تنصح الشباب بعدم الذهاب إلى القصر الجمهوري بدلاً من القول «أنا ضد هذا الشباب الذي تم استغلاله»؟**

في ذلك التوقيت كان هناك من يستغل الثورة لمصالحه الشخصية وكنت أخشى على مصر التي ينتظرها المجهول، ولم أكن أعرف من هم هؤلاء الشباب وما هي توجهاتهم؟ وما هي حقيقتهم؟ ولابد أن يعذرني شباب التحرير على جهلي بهم، وهذا المقطع الذي نزل على الإنترنت غرضه النيل منى.

- **<u>لماذا تتخذ هذا الموقف المعادى من الشيخ القرضاوى؟</u>**

القرضاوي رأس من رؤوس الإخوان، والإخوان ليسوا سهلين أبدا، الإخوان بدأوا يطبقون تلك الخطط الصهيونية على من لا يدخل جماعتهم، ومرشدهم السابق قال «طظ في مصر» لأنهم يعتقدون أن مصر لا تعنى لهم شيئاً، والإخوان والسلفيون يرغبون في دولة دينية وهنا الخطورة.

<u>بعد الحقائق التي ظهرت عن مبارك وعائلته وثرواته، هل مازلت تحرم الخروج على الحاكم؟</u>

نعم، مازلت أحرم الخروج على الحاكم ولكن أقصد الانقلاب المسلح، ومازلت اعتبر مبارك رمزًا حتى هذه اللحظة حكم البلاد 30 عامًا رغم أنه وقع في فساد عظيم لابد أن يحاسب عليه، ولا فارق عندي بين مبارك والرئيس القادم لأني أحترم المنصب الذي يمثل البلاد وهيبتها.

- **<u>وهل للدولة المدنية أصل في الفكر الإسلامي؟</u>**

إدارة الدولة أمر دنيوي، وأفرق بين الأمور الدنيوية والأمور الدينية، فشيخ المعهد الأزهري لابد أن يكون مسلمًا لأنها ولاية إسلامية، أما الدولة فهي إدارة مدنية الغرض منها الإصلاح يتولاها أقدرنا أو أذكانا.

- **<u>وماذا لو أفرزت الانتخابات رئيسًا مسيحيًا أو سيدة؟</u>**

من حقه الترشح للرئاسة وتمثيل البلاد تماما كما حدث مع سيدنا يوسف حين حكم مصر الذي عمل تحت رئاسة ملك لا يدين بالإسلام، أما المرأة فمن حقها أيضًا فهناك من يسيء تفسير حديث «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» والذي كان ينطبق على حالة واحدة هي حكم ابنة كسرى لبلاد الفرس بعد وفاة أبيها، وهي حكمت لنسبها وليس لكفاءتها وهناك فرق شاسع.

- **<u>كيف يخطط السلفيون لاستعادة دولة الخلافة الإسلامية؟</u>**

هم يرغبون في استخدام الديمقراطية لاستعادة دولة الخلافة الإسلامية، وفي رأيي فإن دولة الخلافة ستعود ولكن بالمعنى الحديث للكلمة كاتحاد للدول العربية مثلاً، ولكن ليس كما يطمح هؤلاء.

- **<u>وهل ترى أن تأسيس حزب سياسي للسلفيين حل؟</u>**

أحبذ تلك الفكرة، فالسلفيون يؤسسون حزبًا مدنيًا ذا مرجعيــة دينيــة ولن يسمح لهم بتأسيس حــزب ديني، وقــد تــدخل المــرأة والأقبــاط هــذا الحزب وإذا منعوا ذلك يصبح حزبًا عنصريًا أقف ضده.

- وما رأيك في خطبة «غزوة الصناديق» للشيخ محمد حسين يعقوب؟

هذه ليست زلة لسان، فلا ينبغي أن نطــرد أحدًا من بلــده، فــإذا قــال يعقوب من لا يعجبه يذهب لأمريكا وكندا، فعليه أن يذهب هو إلى كهــوف أفغانستان.

- وهل هناك علاقة بين السلفية والوهابية؟

نعم هناك، علاقــة سياســية وليســت دينيــة، فالوهابيــة دعــوة وجــدت مؤيدًا سياسيًا وهو الأمير محمــد بن ســعود، وتأسســت الدولــة الســعودية ذات الأصل الوهابي، والشــيخ محمــد بن عبد الوهــاب ســلفي ومــا يحــدث الآن أن السعودية تدعم الفكر الوهابي بــالكتب والمــال وهنــاك من يــأتي من المملكة ويساعد السلفيين بالمال.

وهل تلقيت أموالا من السعودية؟

نعم، حدث هذا معي وتخصص لي جمعية إماراتية تسمى جمعيــة الــبر راتبًا شهريًا لأني لم أكن أعمل لأني طبيب حــديث التخــرج ســافرت وأنــا طالب بكلية الطب منذ 30 عامًا في رحلة البحث عن الحقيقــة، وتغــيرت مصر كثــيرًا وقتهــا وقتــل خالد الإســلامبولي وحســن عبد الحميــد ــ وهم أصهاري ــ الرئيس السادات، ولو كنت هنا لمنعتهم.

- وهل تتوقع قيام دولة إسلامية في مصر؟

لا أظن، لأن البلد مليئة بالعقلاء الذين لن يسمحوا بذلك.

- ومن ستعطى صوتك في انتخابات الرئاسة المقبلة إذا كان أمامك البرادعي وعمرو موسى وهشام البسطويسي؟

أرى البرادعي رجلاً محترمًا لا يصــلح لحكم مصــر وتنقصــه الكاريزمــا، ولا أعــرف البسطويســى، وســأعطى صــوتي لعمــرو موســى لأنــه رجــل سياسي وله مواقف عادلة مسبقة.

وشُــغل النصف الثاني من الصفحة برد الشيخ عبــد المنعم الشــحات، وجاء تحت عنوان «عبد المنعم الشحات: نــرفض ترشــح المــرأة والأقبــاط للرئاسة».

عبد المنعم الشــــحات، المتحــــدث باســــم الــــدعوة الســــلفية في الإسكندرية، يعتبر أن السلفيين يتعرضــون الآن لظلم كبــير من المجتمــع ومن وســائل الإعلام، وأن هنــاك مغالطــات وشــائعات ســاهم البعض في ترويجها ضــدهم أظهــرتهم على أنهم الســبب في الفوضــى الــتي تحــدث

رغم أنهم أول من نادى بتشكيل اللجان الشعبية لحماية ممتلكات المواطنين مسلمين وأقباطاً، وتفاصيل أخرى في الحوار التالي:

- **السلفيون متهمون بأنهم كانوا ضد الثورة لكنهم خرجوا ليزعموا أنهم ضمن مفجريها؟**

أولاً.. لا توجد ثورة تنشأ في يوم وليلة، الثورة جاءت نتاجا لتراكم جهود كثيرة، والسلفيون مكون من مكونات العقل الجمعي الذي أدى إلى الثورة، فنحن ضد المظاهرات لأنها في الغالب تؤدى إلى مصادمات بين الشرطة والشعب، لكننا كنا نريد الإصلاح، وعندما حدث وتحولت إلى ثورة وحدث الخطأ الأمني الفادح طرحنا مطالبات للتعامل مع الحدث وكنا أول من نادى بتشكيل اللجان الشعبية للحفاظ على الأمن وحياة المواطنين.

- **لكنكم متهمون بنشر الفوضى وأنكم جزء من الثورة المضادة وليس العكس؟**

من قال هذا، نحن دعوة وحركة اجتماعية دينية غرضها التثقيف وتوعية الناس بأمور دينهم وتبصيرهم بالطريقة التي يعيشون بها دنياهم.

- **هل تُسمى ما حدث ثورة أم ماذا؟**

دعنا من المصطلحات، الذي حدث هو تغيير إيجابي كبير، ولا شك هو تغيير للأصلح بعد الخروج من ديكتاتورية مفرطة إلى حريات، ومن حالة نهب عام إلى استرداد الأموال العامة، وإذا كان الجميع يسميها ثورة، فلماذا لا نطلق عليها ثورة.

- **هناك اتهامات للسلفيين بأنهم كانوا موالين للأمن ومنفذي أوامر للنظام السابق؟**

هذه اتهامات لاحقت الجميع، وهناك أفراد ينسبون أنفسهم للفكر السلفي وهم غير ذلك ومحدودون جدًا لديهم شبهة شرعية وخلل في السلوك يرون أنهم يجب أن يطيعوا الحاكم أيًا كان نوعه.

- **كيف نعرف السلفي، وأين السلفيون من هدم الأضرحة والاتهامات بإقامة الحدود وقطع أذن مسيحي ومطاردة القبطيات؟**

الفكر السلفي عام، والدعوة السلفية أكبر تجمع سلفي في مصر، أما فيما يتعلق بالاتهامات للسلفيين فلماذا لم تسألني عن دور السلفيين في منع الفوضى وحفظ الممتلكات وحماية الأمن والمواطنين، فالفوضى التي حدثت لا يوجد إثبات على أن السلفيين من قاموا بذلك، فمثل هذه الأحداث كانت ومازالت تحدث يوميًا، من يريد أن يتأكد يذهب إلى أقرب قسم شرطة ويختار عينة عشوائية من البلاغات ليكتشف ذلك، وأحداث قنا شارك فيها 21 شابًا منهم شاب واحد ذو

لحية، والإعلام اعتبره سلفيًا ونسبوا إليه وحده القيام بالحادث، ولم تسأل وسائل الإعلام عن ماهية هذا الشاب، وما تردد عن الأضرحة غير حقيقي فلا يوجد ضريح تم هدمه وإذا كان فلن يكون السلفيون من قام بذلك.

- **عبود الزمر تحدث فور خروجه من السجن عن ائتلاف يجمع السلفيين والجماعة الإسلامية والجهاد فهل توافقون على هذا؟**

لم تصلنا دعوة الزمر، قرأنا عنها في الإعلام، والمناسب حاليًا للسلفيين مراعاة فقه وأدب الخلاف، ونحن لدينا مشروع آخر هو إحياء أدب الخلاف في المساجلات الفكرية بين التيارات الإسلامية.

- **كذلك هناك دعوة من الإخوان للحوار مع السلفيين؟**

لم أسمع بها، فالسلفيون والإخوان يعرفون عن بعضهما البعض كل شيء.

- **لماذا تركتم المسجد وخرجتم للشارع حاليًا؟**

نحن نناقش الشأن العام، وعلاقتنا دائمًا ترتبط بالشارع، كنا نؤدي نفس الدور داخل المسجد، لكن حدث فراغ فخرجنا لسده ودعانا الناس لنكون معهم، لكن التركيز على السلفيين ليس أكثر من أنه حالة إعلامية فقط.

- **لكن هناك خوفا منكم فلماذا لا تقدمون مبادرة وتحركاً جادًا للطمأنة؟**

نحن نمارس الطمأنة فعليا الآن وقبل ذلك.

- **لكن هناك الكثيرون حتى المقربون من التيار الإسلامي ومنهم الكاتب فهمي هويدي اعتبر التظاهر بعودة كاميليا شحاتة جزءً من الثورة المضادة؟**

هذا رأيه، وَوَصفُنَا بثورة مضادة فيه درجة من التعالي على الحقائق، وقضية كاميليا شحاتة كانت دعوى ضد الرئيس السابق شخصيًا وحبيب العادلي، وحددها القضاء سلفاً في هذا التوقيت وهويدى وغيره لديهم نقص في المعلومات، فالسلفيون لم يختاروا توقيت نظر القضية، والوقفة الاحتجاجية كانت سلمية بشهادة ضباط الشرطة، فلماذا لم يُقل على مظاهرة الأقباط أمام ماسبيرو ومظاهرات التحرير إنها ثورة مضادة؟!

- **بهذا نكون قسمنا مصر فيخرج السلفيون في الإسكندرية والأقباط في القاهرة وحلوان فهل تريدون هذا؟**

أولاً، لم يخـرج السـلفيون في الإسـكندرية، من خرجـوا مجموعـة حقوقيـة يمثل السـلفيون عضـدها وهي «لجنـة الـدفاع عن المسـلمات الجدد»، تطالب فقط بتفعيل القانون ليس أكثر.

- **<u>لماذا لا تتركون مثل هذه القضايا للأزهر؟</u>**

بالعكس، نحن أكثر من يطالب بتفعيل دور الأزهـر، وإصـلاح أي خلـل موجود.

- **<u>ما موقفكم كسلفيين من الكنيسة والمسيحيين؟</u>**

ليس موقفـا من الكنيسـة ولكن قياداتهـا، وهنـاك فـرق كبـير بين موقفنا من قيادات الكنيسة ومن النصارى، فموقفنا من قيادات الكنيسة هو موقف جمال أسعد ورفيق حبيب، فالكنيسـة تعـدت سـلطتها الدينيـة، وصارت دولة داخل الدولة، أما الموقف من النصارى لم يتغير، وننصـحهم بعدم الانقياد وراء بعض القيادات الكنسية التي تسعى لزعامـة سياسـية، فالمسيحيون عاشوا تحت مظلة الإسلام 15 قرناً، ولم يتعـرض لهم أحـد ولم يُظلموا، فالنظام في مصر ليس طائفيًا.

- **<u>هناك عدد من الشخصيات أعلنت نيتها للترشيح للرئاسة فمن تؤيدون ومن ترون أنه الأقرب إليكم؟</u>**

لم نحسـم أمرنـا بعـد، ولنـا معـايير سـنختار على أساسـها مرشـح الرئاسة الذي سنصوت لـه، ولـو هنـاك شـخص حـاز أعلى الـدرجات وفقاً لهذه المعايير سنختاره.

- **<u>هل تعطى صوتك لقبطى إذا توافرت فيه هذه الشروط أمام مرشح مسلم لا تتوافر فيه؟</u>**

النظام العام للدولة يجب أن يقوم على مبـادئ الشـريعة الإسـلامية، بالتالي يكـون على غـير المسـلم أن يبتعـد عن المهـام الـتي تتطلب من القائم بها الاضطلاع بالشريعة الإسـلامية، وتطبيقهـا، فالولايـات العامـة في الدولة الإسلامية تتطلب من صاحبها إدراكاً للشريعة الإسلامية.

- **<u>هل يعنى هذا أنكم ترفضون ترشيح الأقباط والمرأة للرئاسة؟</u>**

منصب رئيس الدولـة محسـوم وممنـوع على غـير المسـلم والمـرأة، لكن يجب التفرقة بين حالة غير المسلم وحالة المرأة، وعدم الخلـط بين الأمرين.

- **<u>كيف ترون علاقة الدين بالدولة؟</u>**

أرجو أن تركز هنا على علاقة الدين الإسلامي بالدولة، فهي علاقة لا ينبغي أن تُحمل أوزار علاقة أي دين آخر بالدولـة، فالتشـريعات القرآنيـة

تتكلم عن تنظيم المجتمـــع، وتؤكـــد أن الإســـلام دين ودولـــة وينظم المعاملات.

علاء الغطريفي ورد على الرد:

- كتب الأسـتاذ علاء الغطـريفي مقـالاً عن الشـيخ محمد حسـان ثم كتب مقالاً آخر تحت عنوان «شكرًا أتباع محمد حسان»، جاء فيه:

أمطرني أتباع ومريدو محمد حسـان بسـيول من الشـتائم والإهانـات لشخصي ولأهلي، واتهمني معظمهم بالكفر والزندقة والعمالة والخيانـة للوطن والخروج عن الملة، لمجرد أنى تناولت مواقـف شـيخهم، وأشـكر كل من سبني وقذفني حتى من اختصوني بألفاظ خارجـة يعـاقب عليهـا القانون، وأبعث بكل رسائل الاحترام والعرفان للقلـة من مريدي الشـيخ التي ناقشت أفكاري من خلال بريدي الإلكتروني أو على صفحات موقـع «المصري اليوم»، كما أتوجـه بشـكر خـاص للأخ الذي تظـاهر، على مـدار يـومين ضدي تحت بـاب جريـدة «المصري اليـوم»، وأثني على موقفـه وممارسته حقه في التعبير عن رأيه.

تحية سلام لكل من أشهر سيف الاعتراض في وجه أفكاري، وسأمنح مساحة من مقـالي لتعليقـات الإخـوة الـذين أسـاءوا لي وسـأذكرها نصـا بأخطائها اللغوية علها تنزل على قلوبهم بردًا وسلامًا، وسأتجنب رسـائل التهديد التي وصلتني لأن الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

سأبدأ بالأخ الكريم الذي قال «مالك ومال سيدك الشيخ محمد حسان يا وضـيع ولا حـبيت تتشـهر من مبـدأ خـالف تعـرف.. أيهـا الحقـير.. أيهـا الوضـيع.. أسـبت محلـك أنتا»، وتنـاولني أخ آخـر قـائلا: «عيب عليـك يـا شيوعي.. أنت شكلك إنسـان قـذر غيـور من كـل مـا هـو نـاج وأكيـد أنت عميل قذر من بقايا النظام»، واختـار ثـالث طريقـة أخـرى للقـدح قـائلا: فمن تكون أنت وأمثالك كي تتحدثون في شـأن عـالم جليـل ربـاني ضـن الزمان أن يجود بمثله، ومن تكون أنت أيها القزم لتتطـاول على العلمـاء فأنت لا تساوى مسمار في نعل أحدهم».

ورابع علق قائلاً «أولاً أنا لا أود أن ألوث لساني باسـمك النتن القـذر لأنك إنسان مثل الجيفة عندما تتكلم عن أسيادك وأسـياد أسـيادك فيجب أن تستخدم أعظم الألفاظ».

وفي رسالة أخرى قال أحد المريدين «هل تعلم أن هناك نـاس تـرى أن قيمـة تـراب محمـد حسـان خـير من دم بعض النـاس كالقرضـاوي»، ونصت رسالة أخرى على موقف الشيخ حسـان من مسـألة الخـروج على الحاكم وجاء فيها أن الخروج على الحاكم مشروط بإبانته للكفر، وهو مـا

لم يحدث في عهد مبارك، وهذا يذكرني بالكيفية التي استفادت بها دول ما بعد الخلفاء الراشدين من الخطاب الأصولي الذي تحول إلى مطية لأنه خطاب الإضمار ووجوب استمرار الأوضاع حتى لو كان السلطان ظالمًا فاسقاً، ولهذا تسامح السلاطين والحكام مع هذا الخطاب لأنهم وجدوه تخفيفا لوطأة الواقع وطريقة للتسكين والتنويم وليس محاولة للتغيير الفعلي، ووسط آلاف الرسائل جاءتني رسائل كثيرة عن سيرة «حسان» وعلاقته بنظام القذافي، وبعضها أحالني إلى كلمات «وجدي غنيم» عنه، ولكن لن أخوض فيها لأني أتناول المواقف وليس الأشخاص.

وتواصل معي قراء آخرون دعموا كلماتي، وتحدثوا عن أنه «لا عصمة لأحد»، ومنها رسالة من محمد حسين مرعى، عميد متقاعد بالقوات المسلحة، قال فيها: تعليقاً على عمودك الواعي.. محمد حسان.. اثبت محلك: أضيف إليه.. قف.. وللخلف در.. انصراف.

عايشت جميع الاتجاهات الإسلامية بمسمياتها المختلفة منذ ١٩٧١م، ويعرفونني جيدًا.. قامت الثورة وانفضح الأشباه وتعرى المستور ــ سلفيون ــ أنصار سُنة ــ صوفية ــ أئمة المنابر إلا مَن رحم ربى.

جأروا بالثناء على النظام وسبحوا بحمده بأوامر أمن الدولة.

ولعبوا بهم كما يلعب القط بالعصفور، وصالوا وجالوا عن الحكم الشرعي في كل شيء حتى إرضاع الكبير فشاب الجنين في بطن أمه من عظيم علمهم وافتراءاتهم، تركوا الكلام عن ذروة الأمر وسنامه، وما وعى أي منهم ما قاله سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ لأمير المؤمنين عمر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم «والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا».. وهو عمر.. وأقولها للجميع «ألم تعلم بأن الله يرى».

- وفي 20 فبراير سنة 2011م، نشرت «الشروق» خبرًا عن مؤتمر السلفية، وأنه يهاجم البرادعي ونور ويدعو إلى مصر الإسلامية، وجاء في الخبر:

شنت الجماعة السلفية هجومًا ضاريًا على عدد من القوى السياسية وعلى رأسها محمد البرادعي وأيمن نور، وطالبت بالتأكيد على أن مصر دولة إسلامية وإلغاء القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية قبل تعديل 1980م، وتفعيل المادة الثانية من الدستور والخاصة بأن دين الدولة هو الإسلام.

كانت الجماعة عقدت مؤتمرًا بمدينة المنصورة، مساء أمس الأول، لأول مرة منذ نحو 30 عامًا، بعنوان «مصر إسلامية»، بحضور كبار مشايخ السلفيين في مصر ومن بينهم محمد حسان ومصطفى العدوى وحازم شومان.

قال محمد وفيق، قاضٍ بمحكمة بنها، إن المادة الثانيــة من الدســتور تنص على أن الإسلام دين الدولة والعربيــة هى اللغــة الأساسـية ومبـادئ الشريعة هى مصدر التشريع، مشـيرًا إلى أن الشـريعة الإسـلامية مصـدر رئيسي للدستور بعد تعديل عـام 1980م، فلا يجـوز بعـد التعـديل تشـريع قوانين تخالف الشريعة، مضيفاً: «المحكمة الدستورية العليا أرست مبــدأ أن أى قانون موجود في الدولة قبل عام 1980م خارج الشـريعة لا يحـق لها أن تتعرض له، ومطلبنا هو تفعيل المادة الثانيــة وأن تطبـق الشـريعة على جميع قوانين الدولة، حتى تلك السابقة على 1980م، عـبر 3 طـرق وهى تعديل المادة الثانية من الدستور بطريقة تسمح بتطـبيق الشـريعة، لذا يجب أن تدرج المادة الثانية ضمن المواد التى يتم تعديلها، والطريقــة الثانية أن يطالب مجلس الشعب نوابه بتغيير القانون المخـالف للشـريعة قبـل تعـديلات 80، والحـل الأمثـل أن تغـير المحكمـة الدسـتورية مبـدأها وتقول إن نص المادة الثانية يعلو فوق القانون».

وقال الداعية حازم شومان إن التيار السـلفي شـهد حملات للقضـاء عليه، ومن بينها غلق القنوات الفضائية، مضيفاً: «لو أطلـق كـل الشـعب لحيته، ثم جاء أوباما رئيسًا لمصر، فسـوف يضـطر هـو الآخـر إلى إطلاق لحيتــه لأنــه سـيعرف أن الشـعب يريـد أن يحكم بالإسـلام»، فيمـا شـن شومان هجومًا حادًا على بعض السياسـيين مثـل محمـد الـبرادعي وأيمن نور.

وأكد الشيخ محمد حسان ثقتـه بـالمجلس الأعلى للقـوات المسـلحة، مطالبًا لجنة تعديل الدستور بـأن يبـذلوا مـا في وسـعهم لضـمان تفعيـل المادة الثانية، فيمـا وجـه دعـوة إلى الشـعب المصـرى بإرجـاء المطـالب الفئويــة الــتى تعطــل مصــالح الشــعب لحين اســتقرار الأمن، فضلاً عن ضرورة الإصلاح الشامل والفوري لمنظومــة الإعلام والتأكيــد على هويــة مصر الإسلامية.

وختم المؤتمر فاعلياته بعدة توصيات من بينها الإفــراج الفــوري عن كل المعتقلين بدون وجه حق، وإسقاط الضرائب عن محدودي الدخل.

- وجاء في جريدة «الأنبـاء الدوليـة» (العـدد الصـادر في 22/3/2011م) حديث مع الشيخ المحلاوي «أحلم بتحول مصر إلى إيران جديدة»، جـاء فيه:

للشيخ أحمد المحلاوي تاريخ طويل مع رؤساء جمهورية مصر العربية فقد اعتقل في عهد السادات وكـانت خطبـه أحـد روافـد ثـورة الخـامس والعشرين من يناير الـتي دفعت مبـارك للتنحي.. الرجـل الـذي أبعـد عن العمل كإمام وخطيب مسجد عام 1996م دخـل في عزلـة لفـترة طويلـة قبــل أن يعــاود الظهــور في مقدمــة المشــهد السياسي، وفي لقــاء

مع الشيخ المحلاوي للحـديث عن الثـورة والتعـديلات الدسـتورية والكثـير من الأمور والملفات المهمة التي تتعلق بالسلفية والإخوان وغـيرهم من التيارات الدينية.. كان هذا هو نص الحوار:

- **بداية كيف ترى التعديلات الدستورية التي تم الاستفتاء عليها قبل أيام قلائل وماذا قلت فيها؟**

شخصيًا أرى أن هـذه التعـديلات كافيـة لعبورنـا من النفـق المظلم الذي أدخلنا فيه الرئيس السـابق مبـارك وهي مجـرد قنطـرة تنقلنـا إلى دستور جديد تصيغه لجنة مسـتقلة تعـبر عن مختلـف التيـارات السياسـية والاجتماعية وقد قلت نعم لهذه التعديلات.

- **وماذا كانت مخاوفك في الفترة الماضية؟**

الكل يعلم أن مبارك كان أقرب للأمريكان وإسرائيل منه إلى الشعب المصري، وعقب تنحيه ذهب إلى شرم الشـيخ ليكـون بجـوارهم وأقولهـا بصراحة إن مبارك لدى إسرائيل أهم من شارون ونتنيـاهو وكـان خـوفي منصبًا على مكائد إسرائيل واستغلالها للحالة الأمنية الهشة الـتي أعقبت ثورة يناير، وهي الثورة التي أعتبرها انتفاضة ربانية.

- **كيف ترى التقارب السلفي الإخواني والجهادي؟**

هـو تقـارب محمـود فلكـل جماعـة أو فصـيل منهم أهـداف نبيلـة ومرجعيتهم المشتركة هي الإسلام فلا مـانع من تقـاربهم وتعـاونهم في أمـور الـدنيا والسياسـة والـدين خاصـة وأن الإخـوان لهم رصـيد وخـبرة سياسية تؤهلهم لخوض انتخابات الشعب المقبلة، كما أعتقد أن للسلفية أرضية سياسية مهمة.

- **ألا تخشى من تحول مصر إلى دولة دينية أو بالأحرى إلي إيران جديدة؟**

ولمَ الخوف من الدولة الدينية أو الأحزاب الدينيـة فالمصـريون 95% منهم مسلمون والباقي مسيحيون فلنا حق إنشاء حزب سياسـي وللآخـر الحق في إنشاء حزب سياسي مسـيحي، أمـا بالنسـبة لتحويـل مصـر إلى إيران جديدة فهـذا شـيء جيـد أيضـًا ولننظـر كيـف تقـاوم إيـران كلا من إسرائيل وأمريكا وكيف أنهـا الدولـة الإسـلامية الوحيـدة الـتي تقـف في وجه الصهيونية والمارد الأمريكي.

- **ألا تخشى من الفتنة الطائفية؟**

نحن جميعًا مسلمون وأقباط شركاء في هذا الـوطن وكلنـا يعلم من كان مصدر الفتنة في العهد السابق، بل أقولها صراحة إن العلمانيين هم من وراء الفتن لإجهاض محاولة بناء دولة على أساس ديني تحترم الآخـر وتضمن له حقوقه.

- **<u>وماذا عن المادة الثانية من الدستور؟</u>**

هذه المادة لا يمكن المساس بها فلا يمكن إلغاؤها سواء بالتعديل أو صياغة دستور جديد فالأمر ليس محل نقاش من الأساس وبالمناسبة الكلام عن وجود تقارب بين فلول الحزب الوطني وجماعة الإخوان المسلمين كلام مضحك فالحزب الحاكم في عهد مبارك كان ومازال يسمى الإخوان بالجماعة المحظورة.

- وخصصت جريدة «صوت الأمـــة» في (5/3/2011م، العدد 534، ص 10) لنقد شمل معظم الصفحة، وتحدثت فيه عن موضوعين الأول «الجماعة السلفية تدعو إلى حمل السلاح دفاعًا عن المادة الثانية من الدستور، والأقباط يردون: السلفيون لا يمثلون المصريين والدولة المدنية خط أحمر سنقاتل من أجله» جاء فيه:

مع الاستجابة لمطالب الشعب في تغيير الدستور طالبت أصوات بإلغاء المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، إلا أن شيوخ الجماعة السلفية الذين نالوا شعبية واسعة خاصة بعد أحداث 25 يناير ومشاركتهم في أحداث الثورة أعلنوا بوضوح رفضهم لإلغاء المادة الثانية وقال الشيخ محمد حسان بشأنها إنه مستعد لحمل السيف والاقتتال للحفاظ عليها واعتبارها خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه مما أدى لاحتدام الجدال بين الأقباط والسلفيين لأول مرة، وأكد الشيخ محمد الزغبي لـ صوت الأمة» أن الدولة المدنية في المفهوم العصري لها صورتان: صورة علمانية وصورة دينية مع الاحتفاظ بحقوق الأقلية واحترامها احترامًا كاملاً ولذلك نقول إن المادة الثانية خط أحمر لأن مصر دولة إسلامية والشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والأقباط أقلية لهم حقوقهم المشروعة كاملة ولهم منا البر والقسط والإحسان كما أمرنا الله في القرآن ولن نسمح أبدًا بكونها مدنية علمانية ولو كان ذلك على جثثنا ودمائنا وأضاف الشيخ الزغبي: السلفيون يحترمون حقوق الأقباط المشروعة لكن أن يتدخلوا في إلغاء المادة الثانية من الدستور وتدمير الهوية الإسلامية لمصر وتذويب الشريعة الإسلامية فهذا لن نقبله أبدًا لأنه تدخل سافر وقبيح في شأن أعظم دولة إسلامية فهي بلد الأزهر قبلة العلم والعلماء في كل زمان ومكان وأشار إلى أن الأقباط لن يجدوا أمناً ولا أماناً ولا سلامًا أو عدلاً إلا في ظل الإسلام وأهله والتاريخ يشهد على ذلك على مر السنين والأعوام، وأعظم شاهد على ذلك بشهادتكم أنتم ما قام به الموجودون بحراسة الكنائس في أيام الفوضى من سلب ونهب، فالمسلمون حرسوا الكنائس والقساوسة وعوام الشعب القبطي وعن الدعوات التي تطالب بتغيير نظرة السلفيين للحياة السياسية أوضح الزغبي أن الذين يطالبون بذلك غاب عنهم أن الأحكام تنقسم إلى أحكام

ثابتة ومتغيرة والأخيرة تتغير طبقاً للزمان والمكـان والعـادات والأحـوال والتقاليد وما يجري الآن من المظاهرات السلمية والانتخابات البرلمانيـة والمحليـة هي من النـوازل ويجتهـد فيهـا علمـاء السـلف طبقاً للمصـالح والمفاسد، ولذلك يظن البعض أن اجتهاد علماء السلف اختلاف وارتبـاك، بينمـا يرى المفكـر القبطي ممـدوح رمـزي أن مـا يحـدث من الجماعة السـلفية والإخـوان هـو غلـق البـاب مطلقـاً أمـام إجـراء أي تعـديل على الدستور، يلغي المادة الثانية أو يطورها بمعنى أن تشمل المـادة إضـافة هي «الشـريعة الإسـلامية المصـدر الأساسـي للتشـريع ومصـادر أخرى» ويعد هذا دعوة إلى حالة الاحتقان بين عنصـري الأمة بعـد حالـة الانفـراج في العلاقات بين الأقباط والمسلمين والاتحاد على هدف، وما نرجوه هو أن يتم فهم هـذه المتغـيرات الطارئـة على الأمة وهي الحداثـة وأرى أن الاستماتة لتكريس مفهوم الدولة الدينيـة فيـه خطـورة على بنـاء الدولـة ونحن في ذلك السياق سوف نتعامل مع الاقتراب من مدنيــة الدولة على أنــه خــط أحمــر لا يجب الاقــتراب منــه وكــذلك هــو مطلب الكثــيرين من المصريين لأنه بالحساب فإن جماعة الإخوان المسلمين وكـذلك الجماعـة السلفية لا تمثل نسبة 1% وبالتالي كيف يفرضون آراءهم على أكـثر من 99% من المصريين وأضاف أنا أرى أن المادة الثانية تتعارض مـع المـادة 40 من الدستور والـتي تنص على أن المصـريين متسـاوون في الحقـوق والواجبات فكيف أطالب بحقي والثانية تقـف حـائلاً بيـني وبين حقـوقي التي أنشدها مثل أن أرشـح نفسـي لرئاسـة الجمهوريـة مثلاً فأجـد هـذه المادة لا تسمح لي بذلك لأنها تجعـل من الـدين الإسـلامي عنوانـاً للدولة موجود فيها أكثر من فصيل ديني آخـر وبالتـالي قـد تكـون هنـاك كفـاءة قبطية كبيرة عندها من المـؤهلات مـا يجعلهـا قـادرة على تـولي منصـب رئاســة الدولــة فيجد نفســه مكبلاً بهــذه المــادة، فالــدول الكــبرى تهتم بالكفاءات دون النظر إلى الدين والعرف فمثلاً رئيس الصـومال مسـيحي رغم أن الأغلبية في الدولـة مسـلمة ورئيس وزراء الهنـد مسـلم بـالرغم من أن المسلمين أقلية في الدولة، فهذا هو الاعتبار الـذي يؤخـذ بـه في تكوين دولة عصرية وفي سـياق متصـل أشـار ممـدوح نخلـة رئيس مركـز الكلمة لحقوق الإنسان إلى أن المادة الثانيـة قـد طـرأ عليهـا تعـديل في عهد السادات وهـو بإضـافة «أل» لتخصـيص الشـريعة الإسـلامية مصـدرًا أساسياً للتشريع وهو كان نوعًا من التوجه الديني الـذي يسـعى إليـه في ذلك الوقت كنوع من تأكيد أن الدولة إسلامية كنوع من الخـروج من نفـق أن الدولـة تـدور في الفلـك السـوفييتي في ذلـك الـوقت أثنـاء الحـرب البــاردة بين أمريكــا والاتحــاد الســوفييتي في ذلــك الــوقت مــع خلاف السادات الدائم بينه وبين البابا شـنودة والـذي عمـد هـو الآخـر في ذلـك الوقت إلى أن يظهر أنه يمثل مركز قوة ضد الدولـة كمـا كـان يرى ذلـك السادات، وأطالب أن تعاد المادة الثانية إلى سابق عهدها الأول وهي أن

الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع وليست هي كل المصادر، وبالتالي يخرج من حالة الإقصاء التي تمارسها الدولة منذ زمن طويل ضد الأقباط.

- شمل النصف الأسفل كلمة عن «مؤتمر السلفيين بطنطا: نريد رئيس جمهورية يحكم بالكتاب والسُنة، وعلامات الساعة وضحت في عهد مبارك بظهور أحمد عز «الطبال» وأنس الفقي «الرقاص» وصفوت الشريف «مهندس» عمليات تصوير النساء»، وجاء فيه:

عقدت الجماعة السلفية بطنطا أول مؤتمر لها عقب ثورة 25 يناير التي أفسحت لهم المجال للتحرك بحرية لنشر دعوتهم بعد أن كانوا محاصرين في ظل النظام السابق وذلك في حضور عدد من كبار الشيوخ السلفيين والمئات من أنصارهم.

وطالب المشاركون في المؤتمر بتطبيق الشريعة الإسلامية ليس بشكل جزئي ولكن بشكل كلي وعدم المساس بالمادة الثانية من الدستور، كما طالبوا بتحويل مصلحة الضرائب إلى مصلحة الزكاة المصرية موضحين أن هذا أنفع للبلاد والعباد، وتساءل أحد الشيوخ ما الذي يمنع أن نراجع قانون الأسرة؟

وقال الشيخ علاء عابد ممثل السلفية في محافظة البحيرة خلال المؤتمر إن هذه الأيام تشهد صراعًا بين خيل الكفر وخيل الإسلام ونحن مأمورون بالانطلاق لنشر الدعوة وخفض الرءوس التي ارتفعت لتنادي بالباطل في حين تستحي من النداء بالحق وأكد أن الرئيس القادم الذي ننشده ليس الرئيس ابن الخمسين وليس ذا الوجه الجميل فقط إنما نرجو أن يكون رئيسًا يحكم بكتاب الله وأشار إلي أن ما حدث في ميدان التحرير وتضليل الرئيس عنه كان بفضل الله تعالى الذي أعماه وأضله لنصل إلى زمن الانطلاق والحرية.

من جانبه قال الشيخ علي غلاب ممثل مطروح إننا لم نولد مع ثورة 25 يناير ولكننا كنا ومازلنا موجودين ولابد أن ننتهز الفرصة لإظهار قوتنا وتوضيح صورتنا التي شوهها النظام السابق علي مدار سنوات طوال ونحن أوراقنا لا تختلط وأن السلفيين لم ولن يتغيروا، وأضاف: لنا أهدافنا وثوابتنا وبلغة العصر لنا أجندتنا وأوراقنا لا تختلط مع طلاب الدنيا ولا طلاب الكراسي والمناصب وقال ملمحًا عن الإخوان المسلمين «نحن لا نهدف لجذب الأصوات إلى صناديق الانتخابات»، وطالب بانتهاز فرصة فتح الأبواب المغلقة وإلا سنندم عليها وقال موجهًا حديثه للشباب: إذا لم تكن موسى فكن هارون ولذلك يجب أن يقترن التعليم في المسجد بالخروج إلى كل مكان بداية بالمدارس والجامعات والأسواق ويجب أن يسمع الناس منا بعد أن كانوا يسمعون عنا.

وشهد المؤتمر هجومًا حادًا علي جميع التيارات والأحزاب والأفكار القائمة في مصر بما في ذلك شباب 25يناير وأكد أحد الشيوخ أن السلفيين هم أول من دعوا للثورة منذ أزمان عديدة وأنهم ليسوا أبناء يناير وإنما لهم أجندة واضحة لا لبس ولا غموض فيها ويتبنونها منذ قديم الأزل.

في المقابل أكد الدكتور أحمد النقيب ممثل المنصورة أن التوحيد كان أساس دعوة النبي محمد عليه السلام وركز على معاني البراء والولاء والأخوة والمحبة في الله التي تم اغتيالها هذه الأيام وقال إن المسلم قد يتسع صدره للعلمانيين والنصارى والشيوعيين وشباب أبريل ويناير ويونيو ومارس بينما يضيق صدره مع أهل السُنة والجماعة مما ينذر بشر مقيم.

بينما قال الشيخ سيد العفاني ممثل الفيوم في كلمته إن من علامات الساعة حسب حديث النبي هو أن يعلو التحوت «أنصاف الرجال وحقراؤهم» على الوعول «أكابر وأفاضل الرجال» مشيرًا إلى ارتقاء أحمد عز (الطبال) وأنس الفقي (الرقاص) وصفوت الشريف (القواد) إلى سدة الحكم وأضاف أن المواطنة التي تسوي بين المختلفين تصبح كفرًا وأن النظام استحمرنا وأن أول من زرع العلمانية في مصر محمد علي باشا الذي وصف مواطني مصر بأنهم حمير وثيران في رسالة له إلى حكام فرنسا ووصف جمال عبد الناصر بأنه كان رمزًا من رموز العمالة والخيانة والدجل وعبد الحكيم عامر بالحشاش وأن سعد زغلول باع 600 فدان للإنفاق على القمار وإنه أول من وقع علي فصل السودان عن مصر وجعل اللغة الإنجليزية اللغة الأولى وتليها العربية واستطرد قائلاً: البنا أفضل ملايين المرات من العلمانيين، وقال أنا لا أخاف على مصر من البلطجية ولكني أخشى عليها من بعض الإسلاميين.

- وفي جريدة «المصري اليوم» (1/10/2011)، تحت عنوان «..ومؤتمر «الأصالة»: من يرفض «الشريعة سيدخل النار حتى لو نطق الشهادتين»:

أكد الدكتور محمد عبدالمقصود، القيادى السلفي، أن الأمن لن يعود من جديد إلى مصر إلا بعد تطبيق الشريعة الإسلامية، بعكس ما يردده البعض من أن تطبيقها يزيد من «الانفلات»، واصفاً من يقول ذلك بـ «الجاهل»، محذراً من يرفض الشريعة بأنه سيدخل النار حتى لو نطق بالشهادتين.

وانتقـد «عبدالمقصـود» خلال المـؤتمر الجمـاهيري لحـزب الأصـالة السلفي الذى عقد مساء الخميس بحلوان من يقول إن الدولـة المدنيـة خط أحمر، مؤكداً أن الخط الأحمر الوحيد هو كتاب «الله»، مشيرًا إلى أن «الإخوان والسـلفيين إيد واحـدة»، وأن الأحـزاب الإسـلامية هى الفـائزة في النهاية لأنها «حزب الله».

وقال الدكتور عادل عفيفي، رئيس حزب الأصالة، إن هدف حزبه هـو الحفـــاظ على الشـــريعة الإســـلامية، في مقابـــل تمســـك العلمـــانيين والليبرالـــيين بالقـــانون الفرنســـي، مضـــيفاً: «إذا لم نتمكن من تطـــبيق الشريعة الإسلامية يبقى الشعب المصرى مافيهوش رجالة».

وقال ممدوح إسماعيل، نائب رئيس حزب الأصالة، إن الإسلاميين لم يتمكنوا من الوصول إلى وسائل الإعلام مثل العلمانيين، «فنحن سـلاحنا السيف، في الوقت الذى يمتلك فيه عدونا قنبلة ذرية»، مشيرًا إلى حاجة الإسلاميين لدعم مـادي وكفـاءات ليصـلوا إلى النـاس، خاصـة أن القـوى الإسلامية تخطو خطوات «ميتة» في الممارسة السياسية وحـتى الآن لم تصل إلى القطاع الأكبر من الجماهير التى وصفها بـ«الكتلة الصامتة».

وأضاف «إسـماعيل» أن الأحـزاب الإسـلامية لم تتحـد حـتى الآن في مواجهة الأعـداء من العلمـانيين الـذين يملكـون المـال ويحـاولون إغـراء الشعب المصرى الفقير، الأمر الذى يفـرض على الأحـزاب الإسـلامية أن تتضامن وتبذل جهدًا أكبر «حـتى يكـون الشـعب سـلاحًا في أيـدينا وليس في أيدى الأعداء».

- وفي أســـفل نفس الصـــفحة.. قيـــادي ســـلفي: المعارضـــون لتطـــبيق الشريعة الإسلامية «قطاع طرق» و«زناة فجرة»:

حذر الشيخ مسعد أنور، القيادى السـلفي، من إهـدار فرصـة تطـبيق الشـريعة الإسـلامية خلال هـذه المرحلـة، مؤكـداً أن الإسـلاميين لـديهم «فرصة ذهبيـة لتطـبيق الشـريعة وتمكين دين اللـه في الأرض»، مطالبًـا بالتمسـك بهـا لأنهـا لن تتكـرر وعليهم أن يقفـوا جميعًـا على قلب رجل واحد «حـتى لا يسـتغل العلمـانيون تفـرق التيـارات الإسـلامية ويفرضـوا سيطرتهم على البلاد ويضعوا قوانين ضد شرع الله».

ووصف «مسعد»، خلال المؤتمر الجماهيرى الذى عقده حـزب النـور، الخميس بـــالمرج، الـــذين يخـــافون تطـــبيق الشـــريعة الإســـلامية بـــأنهم «ســـارقون أو قطّـــاع طـــرق أو زنـــاة فجـــرة» يخشـــون من تنفيـــذ الحـــدود عليهم، مؤكدًا أن إغفال تطبيق الشـريعة الإسـلامية والتمسـك بالقـانون الفرنسي «العفن» جريمة كبرى في حق المسلمين.

وقال الدكتور ياسر برهامى، نائب رئيس الدعوة السلفية، إن «جميع طوائف الشعب المصرى مسلمين وأقباطاً يطالبون بتطبيق الشـريعة ولا داعي لاستخدامها فزاعـة»، مشـيرًا إلى أن السـلفيين لن يسـفكوا دمـاء حرمها الله، لكن لا يمكن فصل الدين عن الدولة.

وطـالب الـدكتور عمـاد الـدين عبـدالغفور، رئيس الحـزب، المجلس العسكري بألا ينقض عهده مع الشـعب ويحـدد أقـرب وقت لتسـليم البلاد إلى سـلطة منتخبـة، وأوضح «عبـدالغفور» أنـه رغم اعـتراض حزبـه على قانون الطوارئ ومحاكمة المدنيين أمام محـاكم عسـكرية والمـادة 5 من قانون الانتخابات التى تمنع الأحزاب من المنافسة على الدوائر الفرديـة، إلا أنه ضد الخروج في مظـاهرات لوجـود بعض الـدعوات المشـبوهة بهـا التى تسعى إلى التخـريب والانفلات الأمني، وقـال «سـنلجأ إلى وسـائل ضغط أخرى قبل الخوض فى المظاهرات».

وأكـد «عبـدالغفور» أن هنـاك مـؤامرة من بعض القـوى السياسـية لإفساد الثورة ووضع عراقيل أمامها، لكن «الثورة» ستستمر حتى إقامة دولة حديثة تقوم على احترام حقوق الإنسان وتكون الشريعة الإســلامية المصدر الرئيسي للتشريع.

- ونشــرت جريــدة «الخميس» في عــددها الصــادر في (7 أبريل ســنة 2001م، ص 7) مانشيت كبير بعنوان «الدستور السـلفي في عشـرين مادة»، جاء فيه:

انتشر على نطاق واسع في الانترنت دستور مكون من 20 مادة، قالوا إنه دستور سلفي.. دون وجود اسم شخص او جهة أو هيئة أو حزب عليه.. وهو الأمر الذي يُعد في منتهى الخطورة على السلفيين بصفة خاصة.. لأن هذا الدستور ومواده العشرين كتب بعناية بحيث يعتقد كل من يقرؤه بأن من وضعه سلفي من خلال العبارات والتشبيهات الإسلامية التي اعتاد الناس على سماعها ممن ينتمون إلى الجماعات الإسلامية بصورة عامة.. بل إن المفاهيم التي تحتوي عليها المواد أقرب ما يكون إلى ما تقول به السلفية مع تحريف المعنى في أكثر من مادة.. وقبل ان ازيد في الملاحظات نقرأ معًا الدستور المشبوه المزمع أنه دستور سلفي:

مادة (1): الديار المصرية ديار إسلامية، ولا يجوز تعديل هذه المادة أو تغييرها إلى الأبد.

مادة (2): لغة القرآن الكريم (اللغة العربية) هي اللغة الرسمية والوحيدة للديار المصرية، ولا يجوز تداول أي لغة على الأرض المصرية

الإسلامية في أي من مؤسساتها غير لغة القرآّن الكريم، ولا يجوز تعديل هذه المادة أو تغييرها إلى الأبد.

مادة (3): الله غاية الديار المصرية، والرسول محمد قدوة أهل الديار المصرية، والقرآن الكريم وسُـنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هما فقط دستور الديار الإسلامية، والاستشهاد في سبيل الله هو أسمى أماني أهل الديار المصرية ولا يجوز تعديل هذه المادة أو تغييرها إلى الأبد.

مادة (4): مذهب إمام أهل السُـنة والجماعة (الإمام أحمد بن حنبل) والسلف الصالح من بعده (الإمام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام ابن القيم والإمام ابن عثيمين) هو المصدر (الوحيد) للتشريع ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (5): تحتكم الديار المصرية لله وحده ويحذر تداول أي شرائع وضعية أو قوانين علمانية إلحادية تخالف حكم الله تطبيقاً لقول الله تعالى (إن الحكم إلا الله)، وتكون جميع مؤسسات الديار المصرية خاضعة لهذه الآية الكريمة وتزال صور البشر من جميع مؤسساتها وتصبح هذه الآية هي الشعار الوحيد المرفوع في جميع هيئاتها ومن يخالف حكم الله ويعرقل تطبيق شريعة (الله الحكم) يطبق عليه حد الردة والخروج عن الملة في يوم الجمعة من بعد صلاة العصر في ميدان التحرير وتنقل جميع وسائل إعلام الديار المصرية كي يشهد عليه الأشهاد، ولا يجوز تعديل هذه المادة أو تغييرها إلى الأبد مادة.

مادة (6): تدرس الشريعة الإسلامية تدريسًا جبريًا على جميع أهل الديار المصرية وتضاف إلى المجموع ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (7): تعطل أعمال الدولة إجباريًا وقت الأذان ووقت الصلاة ويرفع الآذان في جميع مؤسسات الديار المصرية وتتولى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراسم خشوع أهل الديار المصرية لأداء الصلاة ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (8): لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة (المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد الرسول) ويحرم شد الرحال إلى القبور والأضرحة ومن يسمون بأولياء الله الصالحين ومن يخالف ذلك يقام عليه الحد من بعد صلاة العصر يوم الجمعة أمام الأشهاد ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (9): يلزم على أهل الديار المصرية إطلاق اللحية وحف الشوارب للرجال، والنقاب للنساء، وتتولى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إتمام أهل مصر للزي الاسلامي الشرعي ومن يخالف ذلك تطبق فيه شريعة الله ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (10): يحذر أن تكون مصادر الدخل القومي للديار المصرية مما يخالف شرع الله، وعلى الأجانب في الديار المصرية الامتثال لقوانين الدولة المصرية ومن يخالفها تتولى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترحيله إلى بلاده ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (11): ينهى ترحال أهل الديار المصرية إلى آثار الفراعنة الكافرين والملحدين.

مادة (12): يشترط فيمن يتقدم لإمامة الديار المصرية كي يشغل منصب خليفة المسلمين أن يكون.. مسلمًا.. ذكرًا.. أتم سن الرشد الذي حدده الله في كتابه بأربعين عامًا.. حصل على الأهلية من هيئة تطبيق الشريعة.. ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (13): يحظر إنشاء أي أحزاب في الديار المصرية ويحظر تكوين أي كيانات تخالف إجماع الأمة حول هيئة تطبيق الشريعة.

مادة (14): هيئة تطبيق الشريعة هي الحاكم الفعلي والمنظم للديار المصرية وتتكون من 150 عضوًا ممن حصلوا على شهادة الدكتوراه في المذهب الحنبلي ويتم انتخابهم من بين أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام أحمد بن حنبل.

مادة (15): مخالفة أمر هيئة تطبيق الشريعة حرام شرعًا وممنوع قانوناً لأنها تطبق شريعة الله على الأرض المصرية المسلمة، كذلك الخارج على الحاكم الذي يحكم بشريعة الله يقام عليه الحد، ويمنع إنشاء أي كيانات مؤسسية تخالف في عملها هيئة تطبيق الشريعة وتتولى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محاكمة الخارجين عن شرع الله ولا يجوز تغيير أو تعديل هذه المادة إلى الأبد.

مادة (16): يدفع مسلمو الديار المصرية الزكاة إجبارًا ويدفع أهل الذمة الجزية إجبارًا.

مادة (17): أهل الذمة لهم ما لأهل الديار المصرية من المسلمين من حقوق وواجبات فلا تمس كنائسهم ولا ينقص منها ولا يزاد عليها.

مادة (18): الديار المصرية لا تعترف إلا بأتباع الديانات السماوية الحنفية فقط لا غير.

مادة (19): تكون جميع وسائل الاعلام من راديو وتليفزيون وانترنت خاضعة لرقابة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مادة (20): لا يجوز تغيير أو تعديل العشرين مادة الأولى من دستور مصر إلى الأبد وإنما يمكن الإضافة إليها العديد من المواد التي لا تخالف منهج أهل السُـنة والجماعة والسلف الصالح.

انتهت مواد الدستور المفروض إنه سلفي.. وكل مادة منه قصد عن عمد أن تخيف فئة من الفئـات أو تقلق الجميع إما على حرية العبادة مثل التي تتحدث عن علاقة المسلمين بالأقباط.. أو على حرية رأي وممارسات حياة.. أو على مكتسبات اقتصادية ضخمة من خلال المادة التي تتحدث على عدم زيارة الآثار الفرعونية الكافرة، وهكذا كانت كل مادة من المواد تلقي بقنبلة من القلق والخوف في قلوب الجميع تجعلهم يرفضون السلفية من قبل أن يعرفوها أو يعاملوها.. ومع خطورة مثل هذا الدستور وانتشاره بسرعة كبيرة على شبكة الانترنت، فإن أحدًا من السلفيين لم يعقب أو يرد أو يرفض أو يندد.. مما يجعل البعض يشك في ان الدستور فعلاً من وضع السلفيين، وربما كانت عملية تسريبه من غير جهة رسمية مجرد بالونة اختبار للمجتمع لقياس مدى تقبله له.

وإذا كانت عملية هدم الاضرحة جعلت السلفيين في مرمى نيران الصوفية الذين ثاروا لعملية الهدم.. بل إن مفتي الجمهورية الدكتور علي جمعة دخل على خط الصراع وأطلق نيرانه من على المنبر وهاجم هدم الاضرحة بشدة خاصة عندما صرح بحواره مع السلفي الذي أراد أن يهدم ضريح الامام الحسين.. وعندما سأله المفتي هل الإمام الحسين صنم؟ قال له: نعم صنم.. فبكى المفتي! ورغم اعتراضي على بكائه ودخوله الصراع بهذه القوة إلا أنه استجاب للأحداث ودعا الله من على منبر الجامع الأزهر أن يحمي مصر من السلفيين من امثال الذي يريد هدم ضريح الحسين ومن شرورهم.. مؤكدًا أن هؤلاء يفسرون الدين من فهمهم الضيق ولا يعرفون سماحة الدين الإسلامي أو أدب الاختلاف وليس لديهم أي حق فيما يفعلون.. وأنهم بفعلهم هذا ضيعوا الدين تحت دعاوى حفظ آيات من القرآن والنقل من بعض أحاديث الرسول بشكل خاطئ ووفق علم ضعيف وسند غير قوي.

إذن أصبحت دار الإفتاء هي الأخرى في خانة المواجهة مع السلفيين والرد السلفي في الغالب سلبي للغاية ولا وجود لدفاع قوي عن السمعة والمفاهيم والتوجهات.. مما دفع عددًا كبيرًا من العلماء في الدخول على

الخط أيضًا وتوزيع الاتهامات في قضية الأضرحة على اعتبار أنه لا يجوز هدمها مادامت هي مجرد قبور وليست مزارات أو أي نوع آخر من أنواع الشرك.. ووصل إلى أن يصدر مجمع البحوث الاسلامية قرارًا بتحريم هدم الأضرحة لأنه يحدث فتنة ويشوه الإسلام داعيًا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى التكاتف لنصرة الدين.. إذن أصبحنا في حرب ونحتاج لنصرة الدين.. من خلال مجموعة من الأفعال والأقوال لأفراد محسوبة أو تدعي أنها سلفية.. وفي ظل سكوت سلفي وعدم القدرة على رد قوي مقنع لكل هؤلاء بأنها بريئة من كل ما يحدث.

عمومًا إن ما حدث في ستاد القاهرة يوم السبت الماضي أثناء مباراة الزمالك والإفريقي التونسي والهمجية التي وقعت على أرض الملعب ليس ببعيد عما يحدث باسم السلفية سواء كان بأيديهم أو بأيدي غيرهم.. فالأمر كله يتعلق بخطة أو رغبة أصحاب النفوذ الذي كان والسلطان المفقود وأعوانه.. في تحقيق وإرساء نبؤة الرئيس مبارك المخلوع بأن البديل عنه سيكون الفوضى العارمة.. ومنذ أن قالها كل الشواهد تؤكد أن أعوانه في كل مكان يعملون بجد لتحقيق ذلك بكل الطرق.. والتصميم على إرسال رسالة للداخل والخارج بأن الثورة جاءت بالخراب والدمار على أيدي البلطجية والمجرمين الذين فشلت الثورة في تحجيمهم.. ولا مانع من استخدام بعض العناصر من توجيه نفس الرسالة من داخل الأضرحة أو عبر أي وسائل اخري لتقلق الجميع وتؤكد ان النظام الفاسد البائت ليس له بديل إلا الفوضى وللأسف فإن جهات أمنية أو افراد تحاول إثبات ذلك باستماتة لعل وعسى يرجع العز المفقود.. ولكن هيهات فإن الشعب الذي قام بثورة يناير لا يمكن أن يقبل الرجوع للوراء.

وأعود لموضوع تشويه السلفية بيد أصحابها أو بالمدسوسين عليها.. الأمر يحتاج إلى تدخل سريع وواضح يزيل اللبس والفهم الخاطئ ويؤكد سماحة هذا المذهب وتفهمه لما يدور في المجتمع كونه جزءً لا يتجزأ منه.. مما يساعد على وقف هذه الحملة الشرسة جدًا على سمعته ووجوده.. وحسناً فعلت جماعة أنصار السُـنة المحمدية عندما أصدرت بياناً ــ رغم تأخره ــ أكدت فيه أنه ليس من منهجها إحراق آثار أو أضرحة، ولا تولي إقامة الحدود لأن ذلك كله منوط بالولاة والحكام، ولا الاعتداء على المخالفين من المسلمين أو غير المسلمين، فكما يؤمنون أنه «لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» والعقيدة، فبالأولى لا يُكره الناس على ما هو دون ذلك.

ورغم كل شيء فإن المستقبل أفضل للجميع بإذن الله رغم الصورة التي أصبحت غير واضحة في أكثر من حدث ومكان.. إلا أن الشعب

المصري أصبح مفتوح العقل والعينين ولن يسمح لأحد بإذلاله مهما كان الثمن أو تشويه صورته أمام العالم وأعاد اكتشاف مصر وحضارة شعبها.

- وفي عـدد الجمعة من صـحيفة «الأهـرام» الصـادر في (8/4/2011م) خصصت الصـــفحة السادسة بكاملها للحـــديث عن الســـلطة تحت مانشـــيتات زاعقــة مثل «إســـلامية.. إســـلامية.. لا مدنيـــة ولا علمانية»، ومثل «غزوة السلفيين»، كما استعرضت الصفحة آراء بعض الفقهاء، وجاء المقال الرئيسي بالصفحة، وهو للأستاذ سيد صالح، وجاء فيه:

ذات يوم، سأل شاب من ثوار ميدان التحرير شيخاً جليلاً عقب صلاة الجمعة «يعني إيه سلفية بالضبط»؟.. أليس معناها إتباع سُـنة رسول الله ، وأصحابه، والتابعين؟

قال الشيخ الجليل: هي فعلاً كذلك.. فبادره الشاب بسؤال: إذن السلفيون الحقيقيون هم من يتبعون السُـنة، ويقتدون بأفعال الصحابة وتابعيهم، ومادام الأمر كذلك، فلماذا هم متشددون إلى هذا الحد، مع أن الإسلام دين يسر وسماحة.. أليس أحدهم هو من أفتى بأن التظاهر، والخروج على الحاكم حرام؟.. أليس هم الذين يقومون بهدم أضرحة أولياء الله الصالحين باعتبارها شركاً ووثنية؟ أليس أحد دعاتهم هو من أطلق تعبير غزوة الصناديق خلال الاستفتاء على التعديلات الدستورية الأخيرة؟ أليس أحد دعاتهم هو من أفتى بتحطيم التماثيل؟.. أليس أحدهم هو من قطع أذن أحد الأقباط بدعوى تطبيق حدود الله؟.. هل هؤلاء هم السلفيون حقاً.. قال الشيخ: لا.. فذلك ليس من السلفية في شيء، ولكنهم قد تبرأوا من مثل هذه الفتاوى والأفعال، وعدلوا عنها.. ولكنا نأخذ عليهم تشددهم، وذكر الشيخ الشاب بالحديث الشريف: «ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا!».

ولكي نقترب أكثر من الفكر السلفي بشكل أعمق يجعل الناس يفهمون معنى السلفية الحقة، وكيف نشأ الفكر السلفي في مصر، ولكي نرصد ما للسلفيين وما عليهم، لجأنا إلى العلماء، والمتخصصين.. وهنا يقول الدكتور ناجح إبراهيم ــ أحد مؤسسي الجماعة الإسلامية في مصر ــ إن أهم أهداف الحركة السلفية كان في البداية محاربة التقليد، والاعتماد على الدليل من الكتاب والسُـنة.. وقالت أنها لن تقلد الأئمة الأربعة مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، ولكن أكثرهم وقعوا في تقليد شيوخهم ممن هم أقل علما وفقها من هؤلاء الأئمة الأربعة العظام.. كما أن بعض تلاميذهم أخذوا يفهمون الكتاب والسُـنة بطريقتهم الخاصة، يضاف إلى ذلك أن التعددية الفقهية التي رسخها الأزهر الشريف طوال تاريخه، غابت عن معظم المدارس السلفية،

فالأزهر طوال تاريخه لم يحصر طلابه في مذهب فقهي واحد.. أو يلزمهم برأي فقهي واحد.. وكان يدرس المذاهب الأربعة في تعددية فقهية رائعة، ولكن بعض شيوخ المدرسة السلفية قصروا تدريس الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وحده، بل إنك لا تكاد تجد مسجدًا لهم يتبنى رأيًا مخالفاً لهم في مسألة فقهية بسيطة مثل زكاة الفطر.. فالجميع يقول أنها يجب أن تؤدي عيناً.. وكأن ذلك القول محكم من التنزيل لا يجوز مخالفته، مع أن أداء زكاة الفطر نقدًا هو رأي جمهرة كبيرة من علماء السلف مثل أبي حنيفة، وعمر بن عبد العزيز، والبخاري وغيرهم.. ومع أن أداء زكاة الفطر نقدًا هو أسهل للمزكي والفقير، وأيسر على الناس والمجتمع.. ويتناسب مع المجتمعات المصرية المتحضرة، وهذا كله يقتل التعددية الفقهية عند أتباع هذه المدرسة.. كما يقتل كذلك التعددية بعد ذلك فيما هو أبعد من ذلك وأهم، والمطلوب الآن أن تلتزم المدرسة السلفية بالتعددية الفقهية، لأنها سُـنة كونية لا يستطيع أحد مقاومتها، وهي ثراء للفقه الإسلامي، وتوسعة على الناس، وهي أيضًا من فقه السلف الصالح، وعلمًا أساسيًا على فقههم، والتقليد الآن يكاد يقتل الروح، والابتكار، والتجديد، والحرية لدي أبناء الحركة السلفية، ويجعلهم أسرى لبعض أقوال شيوخهم التي قالوها في شبابهم، ولم يحرصوا على تطويرها أو تجديدها بعد أن حنكتهم وعركتهم التجربة.

ويتفق الدكتور ناجح إبراهيم مع السلفيين في حبهم للعبادة والعلم، وحبهم لخدمة الناس جميعًا، وحبهم للدين وللإسلام، وإظهارهم للهدى الظاهر، وسُـنن الأنبياء، ونشرهم لسُـنن كثيرة كانت غائبة عن المجتمع المصري، مثل صوم عرفة، والاثنين، والخميس، واللحية، وكذلك صفاء العقيدة الإسلامية بعيدًا عن غلو الشيعة، وبعيدًا عن غلو الخوارج في تكفير عوام المسلمين.. وكذلك بعض الخرافات التي كانت منتشرة في المجتمع المصري، ونختلف معهم في الأداء السياسي، فأكثرهم يفتقرون إلى الحس السياسي، والدخول في واقع وعمق مشاكل المجتمع الحقيقية، وإذا أراد السلفيون دخول المعترك السياسي، فعليهم أن يندمجوا أولاً مع المجتمع، ويدخلوا هذا المعترك برفق، وتدرج، وأن يهتموا بفقه الخلف الذي أهملوه كثيرًا، وأن يعرفوا أن العلم موجود بين السلف والخلف، ولا يمكن أن يمحى العلم أبدًا من مصر، وأن ينفتحوا على العلماء والدعاة من التيارات الإسلامية الأخرى، وعليهم عدم اختزال العلم في مجموعة قليلة من علماء السعودية، وبعض هؤلاء العلماء قد لا تتوافق فتاواهم مع طبيعة وواقع المجتمع المصري الذي يختلف جذريًا مع واقع المجتمع السعودي، وعليهم ألا ينغلقوا على أنفسهم في المساجد، أو في حلقات العلم التي تناقش القضايا

الفقهية القديمة فقط، وكذلك عليهم ألا يصطدموا مع أعراف المجتمع التي لا تخالف الإسلام.. لأن المجتمع المصري متدين بطبعه ولديه من الدين الوسطي الكثير والكثير، فلا داع لهدم كل تدينه.. ثم إقامة صرح ديني جديد عنوانه «السلفية».. ولكن البناء على ما هو موجود، وكما نجحوا في التوافق مع نظام الحكم السابق فأهم منه التوافق مع المجتمع لأنه أبقى.. وهو الأرضية التي تعمل فيها كل الحركات الإسلامية.

والحركة السلفية كما يراها الدكتور ناجح إبراهيم جزءٌ لا يتجزأ من الحركة الإسلامية المصرية، والعالمية.. وينطبق عليها ما ينطبق على الحركة الإسلامية.. فهم بشر يعملون بالإسلام، وللإسلام.. وقد يصيبون في اجتهاداتهم في هذا العمل الإسلامي أو يخطئون.. وعلينا أن نشجعهم حينما يصيبون، ونذكر لهم فضلهم في ذلك.. وننكر عليهم بالحسنى والرفق إذا أخطأوا في اجتهاداتهم، وعليهم في المقابل أن يتواضعوا لله وللناس إذا أصابوا.. ولا يروا أنفسهم في ذلك أو يتعالوا على غيرهم من عوام المسلمين.. لأن الله أعلم بمن هو أتقى، وما يقبله من الأشخاص والأعمال.. وألا يروا أنهم المتحدث الحصري والوحيد عن السلف الصالح.. وأن يؤمنوا بأن السلف الصالح ملك لكل التيارات الإسلامية السُـنية، وعليهم أن يعترفوا بالخطأ إذا أخطأوا.. وأن تكون لديهم شجاعة تصحيح مسيرتهم بين الحين والآخر.. والمراجعة والتصحيح هو دليل قوة.. وليس دليلا على الضعف، وهو سُـنة من سُـنن السلف الصالح.. ولكني أراها متروكة عند كثير من أبناء الدعوة السلفية.. إذ يظن بعضهم أنه مادام انتسب إلى السلف فهو مثلهم في كل المحامد والصلاح.. وهذا وهم كبير يؤدي إلى شعور متأصل عند بعضهم بالاستعلاء على الآخرين من عوام المسلمين، كما أن بعضهم لا يفرق بين العلو بالذات، والاستعلاء بالإيمان.. فالفرق بينهما أدق من الشعرة.. وهوى الأنفس يخلط بين الأمرين خلطاً متعمدًا.

إيجابيات السلفيين وسلبياتهم:

ومن أبرز إيجابيات السلفيين ــ كما يقول الدكتور ناجح إبراهيم ــ حرصهم على العبادة، وقيام الليل.. والاهتمام بعقيدة أهل السُـنة والجماعة، ومحاربة البدع العقائدية التي كانت تريد غزو مصر في الفترة الماضية، ومحاربة التغريب، ومحو الهوية الإسلامية لمصر، كما أن معظم شيوخهم يصونون أنفسهم عن المحرمات والشبهات.. ويحرصون على أن يكونوا قدوة في الدين.. وبعضهم يتمتع بزهد وحياء وأدب كبير مثل الدكتور محمد إسماعيل.. أما ابرز السلبيات التي ينبغي على السلفيين علاجها، فهي احتكار بعضهم للنسبة إلى السلف الصالح.. وإقصاء الآخرين وغمط حقهم، واختيار الأشد والأحوط في الفروع الفقهية، بدلاً

من اختيار الأيسر الذي كان يختاره رسول الله ﷺ: «فما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا»، ومن سلبياتهم أيضًا التمسك برأي فقهي واحد، وتعميمه على كل مساجدهم، وتلاميذهم مع عدم جواز مخالفته.. حتى لو كان لا يناسب الواقع المصري على الإطلاق، ويؤخذ عليهم ضعف الربط الصحيح بين الواجب الشرعي، والواقع العملي.. وذلك لكثرة الخطأ في قراءة الواقع المصري.. وإغفال أن ما يصلح له يختلف تماما عما يصلح للواقع السعودي أو الخليجي، وكذلك عدم إعطاء مقاصد الشريعة الإسلامية القدر الكافي من الاهتمام.. مع زيادة الاهتمام بالفرعيات الفقهية التي لا يتناسب معظمها مع الإنسان المصري مع ترك ما يناسبه، وإهمال بعضهم إتباع السلف في المقاصد والغايات العظمي.. والاهتمام بالتسلف في الوسائل.. مع أن الأفضل هو التسلف في المقاصد وليس في الوسائل.

كلنا سلفيون، وكل مسلم يأخذ من السلف الصالح يعتبر سلفيًا.. هكذا قال لي السيد محمود أبو الفيض عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وشيخ الطريقة الفيضية الشاذلية، أما أن نسمي فئة باسم السلفيين وهم يأتون بأفعال تخالف السلف الصالح فذلك أمر محل نظر، وكثير من الناس أصبحوا غير راضين عن تصرفات جماعة تزعم أنها من السلفيين، وقد تابعنا كيف أنهم رفضوا ثورة 25 يناير منذ بدايتها، ونددوا بها، وبالقائمين عليها، وأفتوا بحرمة ذلك، فخلطوا ما بين الثورة السلمية المعبرة عن رأي وهو أمر مباح شرعًا، وبين الثورة التي يصحبها عنف، وتلك يرفضها الشرع، لكنهم خلطوا بين الأمرين بينما يبدو الفرق بين الحالتين واضح وضوح الشمس.

وحين سألته عن مدي خطورة هذه الجماعة على المجتمع المصري، أجابني السيد أبو الفيض بأنهم يشكلون خطورة فعلا، باعتبار أنهم يقولون أنهم يقتدون بالسلف الصالح، في حين لا يستندون إلى سند من أسانيد السلف الصالح، فليس من الشريعة أن يطبق الإنسان الحد بيده، ولا أن يحرق الأضرحة، ولا أن يهدمها، فذلك حرام شرعًا، وقد دعونا السلفيين للحوار في كل موضوعاتهم، وأفكارهم، وفكرنا في عقد مؤتمر يجمع كل المؤسسات والجماعات الدينية للوصول إلى رأي، أو نبذ الخلاف والعنف حتى يعود ذلك بالخير على المجتمع، والدعاة هم علماء هذه الأمة، ولابد أن يكونوا متحدي الصف، لكننا وجدنا أفكارًا وآراء لبعض الدعاة تخالف هذا النهج، وهذا أمر شنيع.. فمن المعلوم أن الاعتداء على المقابر، ونبش القبور حرام شرعًا، لأن فيه اعتداء على حرمة الموتى.

ويسألني: ما معني حديث السلفيين عن ضرورة إقامة دولة دينية، ويقول: لابد أن يعرفوا لنا الدولة الدينية من وجهة نظرهم، فهل معني الدولة الدينية هو إقامة الحدود باليد، دون احتكام إلى قانون، أو محاكم،

أو دون الخضوع للتحقيقات، هل هي دولة «ملالية» كما هو الآن في إيران، نحن نريد أن نتحاور معهم في هذا الأمر، فإن كان صوابا اتبعناه، وإن كان غير ذلك وقفنا ضده، ونحن كمتصوفين نمثل فصيلاً كبيرًا في المجتمع، والطرق الصوفية لن تترك الأمر يمر بهذا الشكل، لكن سيكون لنا موقف يرضي الله ورسوله، ولن نخرج عن الشرع قيد أنملة، كما أننا نرفض الاعتداء على الأقباط، واضطهادهم، وترويعهم، وهذه كلها أمور مرفوضة في الإسلام.

يسروا ولا تعسروا:

ومن ظاهر القول ــ والكلام هنا للشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر سابقاً ــ وكما يبدو من اسم السلفية، هو أنهم الذين يتبعون السلف الصالح، وكذلك يتبعون النقل وليس العقل، وهم ينقلون دون تفكير، ويتهمون الذين يعملون العقل بأنهم، ضالون، وخارجون، وبعيدون عن دين الله سبحانه وتعالى، فهم يعتبرون بناء الأضرحة كفرًا، وبناء القبور على سطح الأرض كفرًا!

ويؤخذ على هؤلاء كما يقول ــ وكيل الأزهر السابق ــ تشددهم، إذ يجب علينا سواء السلفيون أو غيرهم أن نتبع قول الرسول ﷺ «يسروا ولا تعسروا.. وقوله بشروا ولا تنفروا».. وقوله ﷺ: «ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما.. فقد كان أبعد الناس عنه».. وهم أي الجماعة السلفية، متشددون ومغالون في التشدد، وهو أمر لا يجوز، ويسألني هل تتذكر حركة طالبان، وما فعلته في أفغانستان من حيث تحريم عمل المرأة، وتحطيم التماثيل باعتبارها وثنية، وكفر، هذا هو جزء من الفكر السلفي.

السلفية المعاصرة:

السلفية هم من كان عليه الرسول ﷺ وأحباؤه، وهم نواة أهل السُـنة والجماعة، وهذا هو المجموع، والأصل العام الذي يمثل أكثر من90% من المسلمين.. هكذا قال لي الدكتور عبد المعطي بيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وعميد كلية أصول الدين السابق، لكن السلفية المعاصرة تتمذهب بمذهب غريب عما كان يتبعه الرسول وأصحابه.. هم يأخذون بظاهر النصوص ويجمدون عند الأحكام الشرعية، ويغفلون عن علتها التي يتعلق بها الحكم وجودا وعدما، فإن وجدت العلة وجد الحكم، وإن انتفت العلة انتفي الحكم، والذي يطلع على التفاسير القديمة الأصلية للقرآن الكريم، وشروح السنة النبوية سواء كان شرح ابن حجر العسقلاني للبخاري، أو شرح النووي لصحيح مسلم يدرك أن هذه الفرقة تخالف ما كان عليه رسول الله وأصحابه في كثير من الأمور.

والسلفية المعاصرة، أو مدعو السلفية المعاصرون يرون جهاد الحاكم المسلم في بعض المعاصي التي يمكن إصلاحها (تجاهد الحاكم

المسلم إن ارتكب بعض المعاصي التي يمكن إصلاحها بالنصيحة) ثم هي تدعي هدم الأضرحة في عصرنا الحالي، وتنادي بتحطيم التماثيل، وهي بهذا تغفل تماما عن علة حكم هدم الأضرحة، وتحطيم التماثيل، وأنها كانت معبودة من دون الله في عصر السلف الصالح، ولذلك حطمها السلف الصالح، لكنها لم تعد معبودة في عصرنا، وبالتالي لم تعد لها قيمة دينية، وأظن أن أحدهم قد أخطأ هذا الخطأ منذ فترة قريبة، ورجع عن مقولته، وبعضهم يهدم الآن بعض الأضرحة بالفعل، مع أن السلف الصالح كانوا يرون في الأضرحة أنها تتخذ مساجد، بينما هي في عصرنا الحالي ليست بهذه المثابة، فلو سألت من يزور قبر الحسين، أو السيدة زينب، أو قبر أحد من أولياء الله: هل تعبد هذا الولي من دون الله لأنكر ذلك تمامًا، ولتبين أنه لا يعبد إلا الله، وربما يتعارك معك، ويضربك إن زعمت أنه يعبد صاحب الضريح، أو يقدسه من دون الله، بينما الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية كان يهدم بعض الأضرحة التي اتخذها الناس معابد، فالحكم مختلف لافتقاد علته، كذلك يأمرون بتسوية القبور غافلين عن أن هذا الحكم متغير من أرض إلى أرض، ففي الصحراء العربية تكون الأرض رملية، فلا تخدش كرامة الميت إن دفن في لحد وسوي قبره، بينما كلنا نعرف أن الأرض في مصر، ذات طبيعة طينية أو سبخة أحياناً، وقد أفتى العلماء منذ مئات السنين أن الأكرم للموتى ليس اللحد أو الشق، وإنما المقابر كما هي معروفة في مصر، وفي كثير من الدول العربية نكتشف أن الموتى غارقين في الطين، وكان الأكرم للميت أن يدفن بالطريقة المعروفة التي يدفن بها في مصر بمحضر من علماء الأزهر منذ مئات السنين، فكيف يغفل إخواننا مدعي السلفية عن هذا المبدأ الرئيس في الاجتهاد في الفقه الإسلامي، ويريدون تعميم الحكم دون النظر إلى اختلاف الأماكن والأزمنة، وآخر ما رأينا من أحد دعاتهم هي مقولة «غزوة الصناديق»، بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يستشير أصحابه كما فعل في غزوة أحد، وكانت تتعدد آراء الصحابة، وتري منهم الرأي، والرأي الآخر، وكان كل من الرأيين سواء بنعم أولا تحت مظلة الإسلام مهما اختلف الاجتهاد، لان هذه أمور دنيوية تختلف فيها الآراء باختلاف رؤية المصالح والاجتهاد في تحريها بين موافق وغير موافق، ولم ينكر الرسول عليهم ذلك، بل أنكر القرآن من قال بمثل هذه المقولة بعد غزوة أحد، فقد قال الله تعالى: «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» (آل عمران:154)، فكيف إذن نعد اختلاف الاجتهاد معارك وغزوات، عندما يأتي مثل هذا الرد على من قالوا «لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا»، وكيف يتشبه أصحاب هذا الرأي بالسلفية، وهي منهم براء تمام البراءة، فهم إذن ليسوا إذن فرقة إسلامية جديدة، وإنما هم جماعة يخطئون الاجتهاد، ويتعصبون لهذا الخطأ ويجمدون الفقه الإسلامي، ويكفون عقولهم عن أن ينقلوا الإسلام الحقيقي إلى الأجيال

المتعاقبة، والقرآن كتاب مفتوح، والسُـنة كذلك، والإسلام دائما متجدد، وصالح لكل زمان ومكان.

وقد كان السلفيون كما يقول الدكتور عبد المعطي بيومي ــ أول من خرج على الحاكم في السبعينيات من القرن الماضي ــ وكانوا يزعمون أنه لا يطبق الشريعة الإسلامية، مع أنه كان يطبق في ذلك الوقت دستورا ينص في مادته الثانية على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، والغريب أنهم سكتوا عندما انتشر الفساد، وعم البلاء بالمجتمع، وطم الاحتكار، فلم نسمع لهم حسًا، ولا ركزًا، فقد قال أحدهم مؤخرًا أن الخروج على الحاكم لا يجوز، بينما قلنا لهم أنه إذا استشرى الفساد، وإذا كان الحاكم مخالفاً ظاهر المخالفة للشريعة الإسلامية وجب خلعه.

المتحدث الرسمي يتكلم: ما يتعرض له السلفيون من هجوم، هو في رأي المهندس عبد المنعم الشحات المتحدث الرسمي باسم الدعوة السلفية (ومقرها الرئيس الإسكندرية) محاولة من البعض لإحراج الفكر السلفي، إما أن يتراجع عن فكره، أو يظهر في صورة المصادم للمجتمع، فيستغل أن الدعوة السلفية لها موقف واضح وصريح من أنها ترى حرمة بناء المساجد على القبور وفقاً للحديث الذي رواه البخاري ومسلم «لا تتخذوا القبور مساجد والحديث الآخر «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا أني أنهاكم عن ذلك»، وهذا الرأي يوافق عددًا كبيرًا من علماء الأزهر قديمًا، وحديثاً منهم الأستاذ الإمام محمد عبده، والشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر الأسبق، والدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية الأسبق، كما أن إقامة المساجد على القبور يفتح الباب أما ممارسات يتفق الجميع على عدم مشروعيتها، وعلى أنها تشوه الوجه الحضاري لمصر، كالتمسح بحديد الأضرحة، والتداوى بتربتها، مع ترك أسباب التداوى المعاصرة، والمعرفة في الطب، ولكن مع أننا نري هذه الرؤية لا نحاول طرحها على الناس بالقوة، وهذه الأضرحة موجودة قبل وجودنا، ولم نتعرض لأي ضريح منها، غير أن بعض وسائل الإعلام، تريد منا إما أن نتراجع عن هذه الرؤية، وهذا في تقديرنا إقصاء، واضطهاد، وإرهاب فكري، وإما أن تشوه صورتنا بأحداث مختلقة لا أساس لها، أو بأحداث فردية، وإذا اعتبر أسلوب التعميم صحيحًا ــ لجاز حينئذ ــ أن ننسب ذلك إلى المصريين ككل، وليس السلفيين.. وعلى أي الأحوال، نحن لنا أدبيات موجودة من قبل، كما أننا أصدرنا بيانات ردًا على الأحداث الأخيرة، وإن كانت هذه الأحداث صحيحة فنحن ندعو لأصحابها أن يتوبوا إلى الله منها، ونحن نؤمن بأنه لا يجوز تغيير المنكر بمنكر أشد.

أقاطعه: لكنكم دعوتم إلى عدم التظاهر، وعدم الخروج على الحاكم؟

نحن نمنع المظاهرات عندما يكون فيها قلة من الشباب أمام جحافل الأمن، فهذا يعرضهم للخطر، ولا يحقق أي فائدة تذكر وذلك خوفا على الشباب من القتل أو الإصابة بأذى، أما عندما رأينا أن عدد هؤلاء المتظاهرين الذي خرجوا يمثلون زخمًا شعبيًا يمنع الأمن من استئصالهم، فقد أيدناهم، وساهمنا في حماية الجبهة الداخلية معهم، ونحن نتبرأ ممن يتسمى بالسلفية، ثم يمتنع عن محاولة إزالة الحاكم الظالم، رغم قدرته على ذلك، وفي ذات الوقت ننهي الشباب عن التهور، والمصادمات غير المحسوبة، حتى لو كان ذلك في وجه الظالمين.

لقد أعلنتم في مؤتمركم الأخير بمسجد عمرو بن العاص عن رغبتكم في إقامة دولة دينية، ورددتم شعار: إسلامية.. إسلامية، لا مدنية، ولا علمانية.. فكيف يرى السلفيون الدولة الإسلامية؟

المتحدث الرسمي باسم الدعوة السلفية: هناك اختيار ثالث، وهو أن الدولة الإسلامية ليست هي دولة دينية وفق المصطلح الغربي، ولا دولة مدنية وفق المصطلح الغربي أيضًا، وإنما دولة يكون فيها حق التشريع لله، وباقي السلطات تكون نابعة من الشعب بآليات أكثر مرونة من الآليات المعروفة في الدولة المدنية الحديثة، ونحن مع ذلك لدينا آليات للتعامل مع الدولة المدنية الحديثة كما هي، وذلك عن طريق إقناع عموم الناخبين بضرورة أن يكون الدستور معبرًا عن هوية الأمة، وناصًا على مرجعية شريعتها.

وغزوة الصناديق؟

الشحات: من قال هذا التعبير اعتذر، وباقي الدعاة أنكروا عليه ذلك، مع أن هذا الخطأ تم تضخيمه إعلاميًا في مقابل التغافل عن أخطاء صدرت عن غيرهم أكثر فداحة منه، كمن قال أحدهم «موعدنا الخناقة القادمة».. وكذلك التغافل عمن قال إن صوتاً واحدًا يقول «لا» بمائة ألف صوت بنعم، وهو ما يعد ازدراء للأغلبية من الشعب المصري التي صوتت بنعم في التعديلات الدستورية الأخيرة، وهذه الكلمة لو قالها سياسي في أوروبا لقضى عليه الجمهور بالاعتزال الفوري من عالم السياسة نهائيًا.

أقاطعه: لكنكم أشعتم الخوف في قلوب ونفوس المصريين من الدعوة السلفية ؟!

الشحات: أزعم أن الغالبية العظمي من الناس لا يخافون من السلفيين، لكن الخوف مصدره الغرف المغلقة في البرامج الحوارية، والتي بلا شك تؤثر على شريحة من الشعب لكنها ليست كبيرة، وعلى أي حال فنحن نرسل رسائل تطمينية إلى الشعب المصري وفق رؤيتنا

الشرعية وليس على حسابها، ونحن نقول للنصارى: ديننا يأمرنا بالتعايش السلمي معكم، ونقول لعموم المسلمين لن نفرض عليكم اختيارا فقهيًا، وإنما نعرض عليكم أدلتنا، وحتى من اختار نفس اختيارنا ثم خالفه سلوكيًا، فلن يتعدى دورنا النصيحة اللينة الرفيقة له دون اللجوء إلى استخدام العنف.

وتضمنت الصفحة نصوصًا تحت عنوان «شعاراتهم وأقوالهم»، فقالت عن «أهداف الجماعة»:

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًا صحيحًا صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه وحب (رسول الله) ﷺ حبًا صادقاً يتمثل في الإقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.
- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقاً.
- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله في جميع شئون الحياة.

وتحت عنوان «شعاراتهم وأقوالهم» جاء:

- لا بديل عن هويتنا الإسلامية: الإسلام دين ودولة، الأمن والأمان في تطبيق شرع الله، إسلامية.. إسلامية.. لا مدنية ولا علمانية.
- الإسلام هو المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يسن ويشرع.
- السلفية تعظم أهل البيت، ولكن لا تقبل بناء المساجد على أضرحة.
- رفض رئاسة الدولة لرجل غير مسلم، ورفض ولاية المرأة، والموافقة على مشاركتها في مناحي الحياة.
- اصطلاحات الدولة المدنية والعلمانية مفاهيم غربية مستوردة لا نقبلها أبدًا.
- من لا يريد أن يحكم بالشريعة ويتصور أن فيها ظلمًا وقسوة فقد خرج عن ملة الإسلام.
- السلفية ليست حزبًا وإنما هي منهج ودعوة للرجوع بالإسلام إلى منهجه الصافي وإلى زمن الرسول، وفهم السُـنة بنهج الصحابة الكرام.
- السلفيون ليسوا دولة، وليس لهم سلطان حتى يطبقوا الحدود.

- وأفــردت جريــدة «الفجــر» في عــددها الصــادر في (25/4/2011م النصف صـفحة العلـوي، ص 6) الحـديث تحت عنـوان «محمد حسـان رئيسًا للجمهورية»، قالت الصحيفة:

هذه ليست دعوة هزلية، ولا سخرية من قيمة وقامة الشيخ محمد حسان، فله كل احترام وتقدير، لكنها استجابة للواقع، فالرجل يما يملكه من شعبية جارفة، وقدرة على التأثير في الشارع، ومقدرة هائلة على حل أعقد المشكلات وأعمقها، يستحق أن يصبح رئيسًا للجمهورية.. ولا داعي لأن يرهق المرشحون أنفسهم في وضع برامج وجولات للترويج لأفكارهم، وعقد صفقات سياسية للفوز بكرسي الرئاسة، ثم لا داعي من الأساس لأن يتورطوا في منافسات لن يتورع أحد فيها عن استخدام كل أسلحة الحرب السياسية مهما كان تدنيها وانحطاطها.

نرشحه للمجلس العسكري.. فهو وحده من يحل مشاكل المصريين الآن.

- محمد حسان رئيساً للجمهورية:

الشيخ حسان وحده قادر على حل كل المشاكل، ولن نكون ساعتها في حاجة إلى هيئة مستقلة لوضع دستور جديد، ولا قوانين، فالرجل لديه قدرة على إنهاء أي أزمة مهما كانت كبيرة في جلسة واحدة وبخطبة واحدة.. وقد فعلها في قرية صول بأطفيح، فقد أنهى أزمة كنيستها في لحظات بعد أن استقبله أهلها المسلمون بالهتافات كأنه قائد أو زعيم سياسي.

ينفي الشيخ محمد حسان نفيًا تامًا أي رغبة أو تفكير لديه في أن يرشح نفسه رئيسًا للجمهورية ــ وأنا أصدقه تمامًا فهو رجل صادق لا يكذب أبدًا ــ لكني أعتقد أن المنصب لو عرض عليه دون انتخابات أو منافسات، فإنه سيقبل، على الأقل ليتمكن من تنفيذ فكرته الأساسية في الحكم التام بالإسلام، وإزالة كل ما يرى ــ من وجهة نظره بالطبع ــ أنه يخالف الإسلام.

الرجل ليست عليه أي شبهة إذن في طموح أو طمع سياسي، لكن من يديرون ويحكمون الآن هم من جعلوا كلمة الشيخ حسان ــ بما تمثله من تيار سلفي عنيف وعنيد ــ هي العليا.

بعد أن تفجرت أحداث قنا ــ السلفيون أوقفوا الدنيا اعتراضًا على تعيين محافظ مسيحي ــ كان قد تسرب خبر ــ مساء الاثنين الماضي وتحديدًا الساعة الرابعة واثنتين وأربعين دقيقة ــ عبر المواقع الإلكترونية المختلفة، يشير إلى أن الشيخ محمد حسان واللواء منصور العيسوي وزير الداخلية في طريقهما إلى قنا لحل أزمتها.

بعد ساعات من نشر الخبر، لم يكن الشيخ محمد حسان قد وصل إلى قنا، وأكدت مصادر من هناك أن الشيخ لم يصل ويبدو أنه لم يصل، فقد وصل اللواء العيسوي واللواء محسن النعماني وزير التنمية المحلية لمناقشة أهلها في اعتراضاتهم على المحافظ المسيحي.. وهي المناقشات التي انتهت بحل وحيد وهو أن يتقدم المحافظ باستقالته، رغم أنه لم يدخل مكتبه.. وبذلك يكون الجميع توصلوا إلى حل يرضي جميع الأطراف، لا تتم إقالة المحافظ بسبب ضغط الشارع وهو ما يحافظ على هيبة الدولة.. وفي الوقت نفسه تتم الاستجابة للشارع الغاضب فتعود الحياة إلى طبيعتها مرة أخرى.

لماذا نضع الشيخ محمد حسان هنا في جملة مفيدة ؟.. أثناء تصاعد الغضب السلفي في قنا، ظهرت مطالبات بأن يسافر إليهم الشيخ محمد حسان، إنهم يريدونه وحده ليتحدثوا معه، لأنهم يعرفون أنه وحده القادر على حل مشكلتهم والتأثير على من بأيديهم القرار.

كان حسان قد أثبت كرامة حقيقية عندما أنهى أزمة صول وتم بناء الكنيسة.. رغم أن كل ما فعله حسان كان إهدارًا تامًا للقانون، فهناك من اعتدى على كنيسة صول وخربها، وهؤلاء كان يجب أن يتم تقديمهم إلى المحاكمة فورًا، لأنهم خالفوا القانون، لكن الجلسة العرفية التي قادها حسان كانت كافية، فقد حرص على أن يعلن أنه قاد مجلس الصلح وفقاً للأحكام العامة لشرع الله ولفتوى أكثر من 20 عالمًا من مصر والعالم الإسلامي.

قد يضيق البعض عندما أقول إن الدول لا تحكم بالفتاوى.. لكن هذا ما فعله محمد حسان.. قد تكون الفتوى أقنعت السلفيين الثائرين بأنه لا يجوز شرعًا هدم كنيسة أو تخريبها.. ولكن الشرع لم يقدم من اعتدى للقانون، وعليه فلم تكن مهمة حسان في صول إنهاء الفتنة الطائفية فقط، ولكن كانت من أجل حماية المعتدين المسلمين من العقاب.

ولذلك فإن السلفيين في قنا قرروا أن يكون هو قائدهم في التفاوض، وقد جرت اتصالات عديدة بالشيخ، وطبقاً لمصادر قريبة منه، لم تكن الاتصالات من قنا فقط، ولكنها جاءته من القاهرة أيضًا، ومن جهات مسئولة، تطالبه بالسفر، فهو يملك شفرة السلفيين، ويعرف كيف يتعامل معهم.

لكن المفاجأة أن الشيخ محمد حسان رفض السفر هذه المرة، ولا تعتقد أنه برفضه السفر يكون خذل السلفيين في قنا الذين وقفوا وقفة رجل واحد ضد المحافظ المسيحي، بل إنه دعمهم دعمًا هائلاً، فقد أجاب من اتصلوا به إلى أنه لابد من إجراء حاسم وسريع قبل أن يسافر إلى قنا، إذ إن سفره دون أن تتم الاستجابة لأهالي قنا لن تكون له أي جدوي.

الشيخ حسان أصبح يجيد لعبة السياسة إذن، مارس شكلاً من الضغط، إنه يعرف أنه يقدر أن يهدئ سلفيي قنا بكلمة منه، لكنه لم يقلها، بل ضغط من أجل الاستجابة لما يطلبونه، رغم أن ما يطالبون به لا علاقة له لا بالقانون ولا بالدولة الحديثة، فالمحافظ المسيحي عماد ميخائيل لن يؤم الناس في الصلاة، حتي يتم الاعتراض عليه، إنه ذاهب لتيسير أعمال الناس، في ولاية سياسية وإدارية بحتة، لا علاقة لها بالولاية الدينية.. وكان يجب أن يأخذ فرصته، ثم يصدر الحكم عليه، كما طالب هو في أول تصريحاته الصحفية.

عصر الثلاثاء عرفت أن الشيخ حسان في طريقه إلى قناة سيصلها مع صلاة العشاء، وكانت المفاجأة أن الشيخ ذهب إلى قنا ليعلن من هناك أخبارًا سارة ــ كما قال محدثي ــ وهو ما يعني أن الرجل نجح في تفاوضه وضغطه.

قد لا يدرك البعض أهمية تولى محمد حسان ــ بما يمثله من قيادة تيار سلفي هائل في الشارع المصري ــ للرئاسة، لكنني أؤكد لكم أنه الأنسب، بل إني أقترح على المجلس العسكري أن يسلم حكم مصر إلى هذا الرجل من بابه، ولا يرهق نفسه في تحمل المزيد من القلق والاضطراب الذي يسيطر على كل شيء في مصر.

إن السلفيين الذين يقودهم محمد حسان بأفكاره وكلماته ــ لا أدعي أن الرجل قائد تنظيم ــ يريدونها دولة بلا قانون، يفعلون بها وفيها ما يحلو لهم.. يعطلون مصالح الناس ويستقوون عليهم بعددهم ويدعون بعد ذلك أنهم يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا.. ولذلك ومن أجل راحتنا جميعًا.. اجعلوا محمد حسان رئيسًا للجمهورية، وهو وحده الذي سيضع القانون ويطبق الحدود ويريح الناس ويحل مشاكلهم من خلال الجلسات العرفية.. ويا دولة القانون.. البقاء لله وحده.

- وجاء في النصف الأسفل من الصفحة تحت عنوان «إمام السلفيين في قنا لـــوزير الداخلية: قطع الطريق حـــرام شـــرعًا، ولكننا فعلنا ذلك لتسمعوا أصواتنا»:

شهدت محافظة قنا طوال الأيام الماضية مظاهرات حاشدة ضد تعيين اللواء عماد شحاتة ميخائيل محافظاً جديدًا خلفا للواء مجدي أيوب المحافظ السابق، وتطور الوضع إلى حد تنظيم اعتصام أمام مبنى المحافظة وآخر على شريط السكة الحديد وثالث امام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوي.

الاعتصام أدى لقطع طريق مصر/أسوان الزراعي وتعطيل حركة القطارات، وهدد الاهالي بقتل المحافظ الجديد اذا لم يتم تغييره، بل وقطع المياه عن محافظة البحر الأحمر في تصعيد خطير جدًا، ينذر

بتدهور الأحوال للأسوأ، خاصة مع فشل وفد المفاوضات الرسمي المكون من وزير الداخلية منصور العيسوي ووزير التنمية المحلية محسن النعماني واللواء محسن الشاذلي قائد المنطقة الجنوبية في إقناع المعتصمين بفتح الطرق فرفضوا وربطوه بتنفيذ مطلبهم باقالة المحافظ الجديد وتعيين محافظ مسلم.

انطلقت شرارة الأحداث مساء الخميس الماضي عندما شاهد أهالي قنا خبر تعيين اللواء عماد إبراهيم ميخائيل محافظا لقنا علي شاشة التليفزيون المصري فانطلق ثلاثة شباب من ائتلاف شباب الثورة بقنا الي ميدان الساعة وبدأوا في الهتاف ضد تعيين لواء شرطة اتهموه بالمشاركة في قتل الثوار قبل رحيل مبارك، خاصة أنه كان نائبا لمدير أمن الجيزة.

ووفق شهود عيان بدأت أعداد المتظاهرين في ازدياد وانضم لهم عدد من الشباب السلفي وشباب الاخوان المسلمين، وكان ائتلاف شباب الثورة بقنا قد طالب في مظاهرات سابقة بإقالة مجدي أيوب محافظ قنا واتهامه بالفساد والمحسوبية ووصل عدد المتظاهرين قرابة الخمسة آلاف شاب طافوا بأنحاء المدينة حتى وصلوا إلى مبنى المحافظة وظلوا يهتفون حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وانصرفوا على وعد بتنظيم جمعة حاشدة.

ظهر اليوم التالي خرجت مظاهرات حاشدة من المساجد الرئيسية بقنا التحرير وناصر والجودي والوحدة والنور المحمدي ورفع المتظاهرون شعارات طائفية ضد تعيين محافظ مسيحي وتوجهت المظاهرات إلى مقر مبنى الحزب الوطني ثم مبني المحافظة، وبدأ توافد باقي وفود القرى والمراكز المقربة من قنا حتى وصل عدد المتظاهرين إلى قرابة عشرين ألف متظاهر بدأوا اعتصامًا مفتوحًا للمطالبة بإقالة المحافظ الجديد قبل وصوله وحاصروا مبنى المحافظة الذي يتكون من طابقين ويوجد بشارع جانبي بشرق قنا.

وهو ما فسره ناصر أبو القاسم احد قيادات الجماعة الاسلامية بقوله: إن ذلك يرجع للطابع القبلي الذي يميز قنا حيث توجد ثلاث قبائل كبيرة هي الهوارة والأشراف والعرب.

ويؤكد ناصر أن الاهالي يشعرون بالغضب لوجود تقرير تابع لجهاز أمن الدولة المنحل يذكر فيه إن قنا بطبيعتها القبلية هي محافظة مستأنسة مما يسمح بتولي محافظ مسيحي أو امرأة دون مشاكل وهو ما أثار الاهالي بعد تسريب تلك التقارير خاصة مع تردد شائعة أن نادية مكرم عبيد مرشحة لتولي موقع محافظ قنا وهو ما يثير حفيظة مجتمع تقليدي محافظ مثل قنا.

وحول مشاركة الجماعة الاسلامية في الأحداث الجارية أوضح ناصر ابوالقاسم أن الجماعة في قنا تحمل هم خروج الشيخ بدري مخلوف القيادي بها الذي لم يفرج عنه حتي الآن رغم انتهاء مدة عقوبة المؤبد منذ السبت الماضي بسجن العقرب المجاور لسجن مزرعة طرة.

ويضيف دكتور خالد وشاحي منسق ائتلاف الثورة بقنا أن مسيحية المحافظ السابق مجدي أيوب كانت مانعًا ضد إصداره قرارًا حاسمًا حتى لا يفسر أنه أصدره لصالح أو ضد المسيحيين لكونه مسيحيًا، وهو ما تسبب في عدم حل العديد من مشاكل المحافظة وأدى لحدوث أزمات طائفية لم تحدث في تاريخ قنا مثل أزمة مذبحة نجع حمادي وأزمة فتاة فرشوط.

ويؤكد الوشاحي أن مطلب إقالة أيوب كان على رأس أهداف مظاهرات الثورة، وأن ستمائة شاب بالائتلاف مشاركون بالفعل في فعاليات الاعتصام الذي بدأ مساء الجمعة أمام مبنى المحافظة.

واللافت أننا عندما زرنا ميدان مبنى المحافظة وجدناه وقد تحول إلى ميدان تحرير صغير وضعت حواجز تفتيش على مداخله الخمسة ومنع مرور السيارات ووضعت يافطات بأسماء قبائل قنا رافضة لتعيين ميخائيل محافظاً لقنا وتطالبه بالرحيل رغم أنه لم تطأ قدماه أرض قنا حتى الآن وعلقوا دمية مشنوقة مكتوبًا عليها اسمه وأقاموا منصة مزودة بساوندات صوت تلقى عليها كلمات الحضور وافترش قرابة الثلاثمائة شخص جوانب الميدان وينامون أسفل الأسوار وحاصروا مبنى المحافظة الذي تقوم قوات الجيش والشرطة العسكرية بتأمينه.

التقينا هناك العمدة كمال عبدالباقي كبير الحميدات/هوارة الذي ألقى كلمة على المنصة والدموع تترقرق في عينيه، حيث عبر عن رغبته في تعيين محافظ مسلم لم يطلق الرصاص على الثوار وأن محافظة قنا تحتاج إلى محافظ مسلم لديه القدرة على التعامل بحزم مع قبائل المحافظة.

وتساءل بهاء مؤمن أحد المعتصمين عن سبب اختيار عصام شرف لميخائيل تحديدًا هل هو مضغوط عليه أم أن شائعة اتصال عصام شرف بالبابا شنودة لترشيح قبطي لتولي منصب محافظ قنا هي شائعة حقيقية.

رفض المعتصمون اقتراحًا بترشيح الشيخ مصطفي قرشي إمام السلفيين بقنا أو مصطفى بكري محافظاً لقنا بدلاً من المحافظ الجديد ويبذل المستشار زكريا عبدالعزيز رئيس نادي قضاة مصر السابق واحد أبناء محافظة قنا دورًا مهما في توصيل صوت الأهالي للسلطات ويعمل على تهدئة الموقف.

واللافت للنظر حقاً أن أعضاء الطرق الصوفية بقنا مشاركون في الاحتجاجات أيضًا، حيث قال محمود إبراهيم عرفات إن قنا توجد بها أربع طرق صوفية رئيسية هي الطريقة الخليلية والشاذلية والرفاعية والبرهامية وانتشار الأضرحة، وخاصة أكبرها وهو ضريح سيدي عبد الرحيم القناوي الذي جاء من المغرب منذ 750 عامًا مضت.

أمام مسجد وضريح سيدي عبد الرحيم القناوي يعتصم قرابة المائتي شخص مغلقين طريق مصر/أسوان الزراعي بحواجز حديدية وتوجد منصة بها ساوندات يلقى فيها الشباب القناوي كلماته وهتافاته ذات طبيعة طائفية مع ملاحظة اختفاء أي تواجد للعناصر السلفية التي يتواجد عدد قليل من عناصرها في اعتصام على شريط السكة الحديد على المزلقان.

على الناحية الأخرى الموجود بها مسجد سيدي عبد الرحيم القناوي وعندما اقتربنا منهم.. اكتشفنا أن معظم المعتصمين شباب صغير السن ويفترشون الحصير أعلى قضبان السكة الحديد ويغطون اعتصامهم بأغطية قماش لاتقاء حر الشمس.

وذكر لي ــ أحد المعتصمين ــ رفض ذكر اسمه أن من أوحى بالاعتصام على شريط السكة الحديد هو أحد افراد جماعة الإخوان المسلمين ظهر السبت الماضي.. بعد رؤية اللواء عماد ميحائيل يؤدي القسم الدستورية على شاشة التليفزيون.

المثير للذعر حقاً هو ما يتردد عن أن المعتصمين سيقومون بتصعيد احتجاجهم للضغط على إقالة عماد ميخائيل عن طريق التهديد بغلق محطة المياه التي تقوم بتزويد محافظة البحر الأحمر بالمياه والموجودة في محافظة قنا واللافت للنظر حقاً هو وجود مسيرات تندد بالمحافظ تجوب أرجاء المدينة طوال الوقت يقودها الشباب وتهتف هتافات طائفية ثم تصب في نهايتها إلى ميدان تحرير قنا المحافظة سابقاً وسط غياب ملحوظ للشرطة وتواجد مكثف لقوات الجيش أمام الأماكن الحيوية والكنائس، منذ اليوم الأول لأحداث قنا حاولت السلطات المختصة حل المشكلة حيث اختار الجيش عددًا من المعتصمين ودعاهم للحوار مع اللواء محسن الشاذلي قائد المنطقة الجنوبية.

وعندما التقى اللواء محسن الشاذلي قائد المنطقة الجنوبية بممثلي شباب المعتصمين طلب منهم فتح طريق مصر/أسوان الزراعي وتسيير القطارات فرفضوا بحجة أن الاهالي المعتصمين يرفضون ذلك ويطلبون إعلان تغيير المحافظ الجديد وذلك مساء السبت الماضي وبعد مرور ثلاثة

أيام حضر مساء الاثنين الماضي كل من وزير الداخلية اللواء محمود العيسوي ووزير التنمية المحلية اللواء محسن النعماني إلى مقر قيادة المنطقة العسكرية بالكيلو 6 على طريق الغردقة واجتمعوا مع عدد من رموز قنا وهم عبد الباقي عبيد من قبيلة الهوارة حميدات وجمال النجار من الأشراف ومحمود يوسف ممثلاً للإخوان وأحمد فتحي عن حزب الكرامة وعدد من شباب الثورة وحضر اللقاء اللواء محسن الشاذلي قائد المنطقة الجنوبية وبدأ اللواء منصور العيسوي وزير الداخلية اللقاء بالسؤال عن أسباب رفض المحافظ الجديد فرد عليه معظم الحضور بالقول لأنه ثاني محافظ مسيحي على التوالي مما يوحي بأن قنا أصبحت ضمن الكوتة وخصصت لفئة بعينها رغم أن أغلبيتها مسلمة.

وحينما سأل العيسوي عن قطع الطريق وإيقاف القطارات رد عليه الشيخ مصطفي القرشي إمام السلفيين بقنا قائلاً: إن قطع الطريق حرام شرعًا، ولكننا فعلنا ذلك لكي تسمعوا صوتنا، وحينما سأل العيسوي عن الحل، قال الحضور إن الحل في تعيين محافظ مسلم وأن وقتها سيتم فض الاعتصام وعودة الحياة لطبيعتها، وانتهى اللقاء بوعد العيسوي بنقل وجهة نظرهم للقاهرة وبعد انتهاء اللقاء عقد لقاءً خاصًا مع عدد من الحضور منهم مهاب القاضي أمين لجنة حزب الغد بقنا الذي طالبه بالتعامل مع قاطعي الطريق وفقاً للقانون وأنه مع حق التظاهر، ولكن دون قطع الطرق.

نصوص بعض الفتاوى عن السلفية

وجدنا من المهم أن يتضمن كتابنا هذا النصوص عن السلفية التي أدلى بها فقهاء السعودية الذين يعدون هم الشيوخ المعتمدون في المنطقة عن هذا الباب، وتعود أهمية هذه الفتاوى أنها تعطينا تصورًا عن فكر السلفية حول ما يطرأ على الحياة الدنيا من نشأتها، وعلاقات متبادلة مع زملاء أو جيران، وفي مناسبات عديدة، فهي صورة للمجتمع في ظل فكر سلفي، وهي ـ أكثر من أي تعليل نظري أو تحليل فقهي ـ تبرز فهم الحياة والعلاقات والموقف من الآخر، ومن هنا تكمن أهميتها[1].

(أ) الشيخ عبد العزيز بن باز:

ما يخص العلاقة بين المسلم وغير المسلم هناك أمور متعددة منها

الإجابة:

أولاً : الدعوة إلى الله عز وجل، وهي أن يدعوه إلى الله ويبين له حقيقة الإسلام حيث أمكنه ذلك، وحيث كانت لديه البصيرة.

ثانيًا: لا يظلمه في نفس ولا في مال ولا في عرض، إذا كان ذميًا أو مستأمناً أو معاهدًا، فإنه يؤدي إليه حقه، فلا يظلمه في ماله لا بالسرقة، ولا بالخيانة، ولا بالغش، ولا يظلمه في البدن بالضرب ولا بالقتل، لأن كونه معاهدًا أو ذميًا في البلد أو مستأمناً يعصمه.

ثالثاً: لا مانع في معاملته في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه اشترى من الكفار عباد الأوثان واشترى من اليهود.

رابعًا: لا يبدؤه بالسلام ولكن يرد، لقول النبي ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام» رواه مسلم، وقال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» متفق عليه، فالمسلم لا يبدأ الكافر بالسلام، ولكن متى سلم عليه اليهودي أو النصراني أو غيرهما من الكفار يقول وعليكم كما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن أمها وفدت عليها وهي مشركة في فترة الصلح الذي عقد بين النبي ﷺ

---

(1) نقلاً من كتاب «الحالة السلفية المعاصرة في مصر».

وبين أهل مكة تريد المساعدة فاستأذنت أسماء النبي في ذلك هل تصلها؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «صليها»، وليس للمسلم مشاركتهم في احتفالاتهم أو أعيادهم، لكن لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك بأن يقول: جبر الله مصيبتك أو أحسن لك الخلف بخير، وما أشبهه من الكلام الطيب، ولا يقول غفر الله له، ولا يقول رحمه الله، إذا كان كافرًا أي لا يدعو للميت وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعوض الصالح ونحو ذلك.

* * *

تبادل الزيارات بين المسلمات وغير المسلمات

الإجابة:

تبادل الزيارات في مثل هذا إذا كان للتوجيه والنصح والتعاون على البر والتقوى طيب مأمور به، والحكم يعم الرجلين والمرأتين، فإذا كانت الزيارة لمسلمة أو نصرانية أو غيرهما لقصد الدعوة إلى الله وتعليم الخير والإرشاد إلى الخير لا لقصد الطمع في الدنيا والتساهل بأمر الله فهذا كله طيب، فإذا زارت المسلمة أختها في الله ونصحتها عن التبرج والسفور وعن التساهل بما حرم الله من سائر المعاصي، أو زارت جارة لها نصرانية أو غير نصرانية كبوذية أو نحو ذلك لتنصحها وتعلمها وترشدها فهذا شيء طيب.

أما الزيارة من أجل الدنيا أو اللعب أو الأحاديث الفارغة أو الأكل أو نحو ذلك، فهذه الزيارة لا تجوز للكافرات من النصارى أو غيرهن ؛ لأن هذا قد يجر الزائرة إلى فساد دينها وأخلاقها ؛ لأن الكفار أعداء لنا وبغضاء لنا، فلا ينبغي أن نتخذهم بطانة ولا أصحابًا، لكن إذا كانت الزيارة للدعوة إلى الله والترغيب في الخير والتحذير من الشر فهذا أمر مطلوب، كما تقدم، وقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ».

* * *

تفضيل العمال الكفار على العمال المسلمين

[1]

فضيلة الشيخ: يعقد السائل مقارنة أو موازنة بين العمال من المسلمين وغير المسلمين فيقول: إن غير المسلمين هم من أهل

الأمانة، وأستطيع أن أثق فيهم، وطلباتهم قليلة، وأعمـالهم ناجحـة، أمـا أولئك فهم على العكس تمامًا، فما رأيكم سماحة الشيخ؟

الإجابة:

هؤلاء ليسـوا بمسـلمين على الحقيقـة، هـؤلاء يـدعون الإسـلام، أمـا المسلمون في الحقيقة فهم أولى وأحـق وهم أكـثر أمانـة وأكـثر صـدقاً من الكفار، وهذا الذي قلته غلط لا ينبغي أن تقوله، والكفـار إذا صـدقوا عندكم وأدوا الأمانة حتى يدركوا مصلحتهم معكم، وحتى يأخـذوا الأمـوال عن إخواننا المسلمين، فهذه لمصلحتهم، فهم ما أظهروا هذا لمصلحتكم ولكن لمصلحتهم هم، حتى يأخذوا الأموال وحتى ترغبوا فيهم.

فالواجب عليكم ألا تستقدموا إلا الطيبين من المسـلمين، وإذا رأيتم مسـلمين غـير مسـتقيمين فانصـحوهم ووجهـوهم، فـإن اسـتقاموا، وإلا فردوهم إلى بلادهم واستقدموا غيرهم، وطالبوا الوكيل الذي يختـار لكم أن يختـار النـاس الطيـبين المعـروفين بالأمانـة، المعـروفين بالصـلاة، المعروفين بالاستقامة، لا يستقدم من هب ودب، وكثير من الناس يدعي الإسلام وهو كافر ليس بمسلم كالمنافقين.

ولكن أنتم أرباب الأعمال عليكم أن تسـتقدموا الطيـبين، ولا تغـتروا بهؤلاء الكفرة الذين يتصنعون عندكم ويظهرون عندكم ما يرغبكم فيهم، من أمانة وصدق ونحو ذلك، فهذا لا ينبغي منكم، بل إخـوانكم المسـلمين أولى بـأموالكم وأولى بخـدمتكم، وإذا حصـل منهم نقص فوجهـوهم وعلموهم ولاحظوهم حتى يستقيموا.

وهذا لا شك أنه من خداع الشيطان، أن يقول لكم: إن هـؤلاء الكفـار أحسن من المسلمين، أو أكثر أمانة، أو كذا أو كـذا، كلـه لمـا يعلمـه عـدو الله وجنوده من الشـر العظيم في اسـتقدام الكفـرة واسـتخدامهم بـدل المسـلمين ؛ فلهـذا يـرغِّب فيهم ويـزين لكم اسـتقدامهم حـتى تـدعو المسلمين، وحتى تسـتقدموا أعـداء اللـه، إيثـارًا للـدنيا على الآخـرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد بلغني عن بعضهم أنـه يقـول: إن المسـلمين يصـلون ويعطلـون الأعمال بالصلاة، والكفار لا يصلون حتى يأتوا بأعمـال أكـثر، وهـذا أيضـاً من جنس مـا قبلـه، ومن البلاء العظيم، أن يعيب المسـلمين بالصـلاة ويستقدم الكفار ؛ لأنهم لا يصلون، فـأين الإيمـان؟ وأين التقـوى؟ وأين خوف الله؟ أن تعيب إخوانك المسـلمين بالصلاة!

[2]

إذا تواجد عاملان أحدهما مسلم والثـاني كـافر، وهمـا متكافئـان في العمل، ومطلوب مني أن أقوِّم عملهما، فهل يجوز أن أغمط الكافر حقه بسبب ديانته.

الإجابة:

يرى فضيلته أن: «الواجب العدل بينهما، ولكن يجب إبعاد الكافر ولو كان أنشط ؛ لأن المسلم أبرك، ولو كان أقل كفاءة، فما بالك إذا كان مساويًا له وقد صح عن النبي أنه أوصى بإخراج الكفار من هذه الجزيرة وأن لا يبقى فيها دينان».

فيما يقال للكافر إذا مات

يقول السائل: إذا مات رجل أو امرأة وهو كافر فهل يمكن أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكذلك هل نقول أيضاً: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» إلى آخره؟

الإجابة:

الكافر إذا مات فلا بأس أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله، ولو كان من غير أقربائك ؛ لأن كل الناس إليه راجعون وكل الناس ملك لله سبحانه وتعالى، فلا بأس بهذا، ولكن لا يدعى له ما دام كافرًا، ولا يقال له: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً»، لأن نفسه ليست مطمئنة، بل نفسه فاجرة، فلا يقال له هذا، وإنما يقال هذا في المؤمن.

فالحاصل: أن الكافر إذا مات، لا بأس أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا بأس أن يقول لك غيرك: أعظم الله أجرك فيه، وأحسن عزاءك فيه ؛ لأنه قد يكون لك مصلحة في حياته، وقد يكون في حياته يحسن إليك وينفعك، فلا بأس لكن لا يدعى له، ولا يستغفر له، ولا يتصدق عنه إذا مات كافرًا.

* * *

التبرع بالدم لغير المسلم

هل يجوز لي التبرع بنقل دم لمريض أوشك على الهلاك وهو على غير دين الإسلام؟

الإجابة:

لا أعلم مانعًا من ذلك، لأن الله تعالى يقول جل وعلا في كتابه العظيم: «لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ»، فأخبر سبحانه أنه لا ينهانا عن الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا أن نبرهم ونحسن إليهم، والمضطر في حاجة شديدة إلى الإسعاف، وقد جاءت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها إلى بنتها، وهي كافرة، في المدينة في وقت الهدنة بين النبي وأهل مكة تسألها الصلة، فاستفتت أسماء النبي في ذلك فأفتاها أن تصلها، وقال «صلي أمك» وهي كافرة.

فإذا اضطر المعاهد أو الكافر المستأمن الذي ليس بيننا وبينه حرب، إذا اضطر إلى ذلك فلا بأس بالصدقة عليه من الدم، كما لو اضطر إلى الميتة، وأنت مأجور في ذلك؛ لأنه لا حرج عليك أن تسعف من اضطر إلى الصدقة.

حكم السكن مع العوائل في الخارج

ما حكم السكن مع العوائل لمن سافر إلى الخارج للدراسة لأجل الاستفادة من اللغة أكثر؟

الإجابة:

لا يجوز السكن مع العوائل لما في ذلك من تعرض الطالب للفتنة بأخلاق الكفرة ونسائهم، والواجب أن يكون سكن الطالب بعيدًا عن أسباب الفتنة، وهذا كله على القول بجواز سفر الطالب إلى بلاد الكفرة للتعلم، والصواب أنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار للتعلم إلا عند الضرورة القصوى، بشرط أن يكون ذا علم وبصيرة وأن يكون بعيدًا عن أسباب الفتنة، وقد قال النبي ﷺ: «لا يقبل الله من مشرك عملا بعدما أسلم أو يزايل المشركين» أخرجه النسائي بإسناد جيد. ومعناه: حتى يزايل المشركين، وقال ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين» رواه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

الواجب على المسلمين الحذر من السفر إلى بلاد أهل الشرك إلا عند الضرورة القصوى، إلا إذا كان المسافر ذا علم وبصيرة ويريد الدعوة إلى الله والتوجيه إليه فهذا أمر مستثنى، وهذا فيه خير عظيم، لأنه يدعو المشركين إلى توحيد الله ويعلمهم شريعة الله، فهو محسن وبعيد عن الخطر لما عنده من العلم والبصيرة.

* * *

حكم مشاركة النصارى في أعيادهم

بعض المسلمين يشاركون النصارى في أعيادهم فما توجيهكم؟

الإجابة:

لا يجوز للمسلم ولا المسلمة مشاركة النصارى أو اليهود أو غيرهم من الكفرة في أعيادهم بل يجب ترك ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم، والرسول عليه الصلاة والسلام حذرنا من مشابهتهم والتخلق بأخلاقهم.

فعلى المؤمن وعلى المؤمنة الحذر من ذلك، ولا تجوز لهما المساعدة في ذلك بأي شيء، لأنها أعياد مخالفة للشرع.

فلا يجوز الاشتراك فيها ولا التعاون مع أهلها ولا مساعدتهم بأي شيء لا بالشاي ولا بالقهوة ولا بغير ذلك كالأواني وغيرها، ولأن الله سبحانه يقول: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»، فالمشاركة مع الكفرة في أعيادهم نوع من التعاون على الإثم والعدوان.

* * *

الكافر ليس أخاً للمسلم

يقول: يسكن معي واحد مسيحي ويقول لي أخي ونحن إخوة ويأكل معنا ويشرب هل يجوز هذا العمل أم لا؟

الإجابة:

الكافر ليس أخاً للمسلم والله سبحانه يقول «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»، ويقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم» فليس الكافر: يهوديًا أو نصرانيًا أو وثنيًا أو مجوسيًا أو شيوعيًا أو غيرهم، أخاً للمسلم، ولا يجوز اتخاذه صاحبًا وصديقاً، لكن إذا أكل معه بعض الأحيان من غير أن يتخذه صاحبًا أو صديقاً إنما قد يقع ذلك في وليمة عامة أو وليمة عارضة فلا حرج في ذلك، أما اتخاذه صاحبًا وجليسًا وأكيلاً فلا يجوز، لأن الله قطع بين المسلمين وبين الكفار الموالاة والمحبة، قال سبحانه في كتابه العظيم: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»، وقال سبحانه: «لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ».

فالواجب على المسلم البراءة من أهل الشرك وبغضهم في الله، ولكن لا يؤذيهم ولا يضرهم ولا يتعدى عليهم بغير حق إذا لم يكونوا حربا لنا، لكن لا يتخذهم أصحابًا ولا إخواناً ومتى صادف أنه أكل معهم في وليمة عامة أو طعام عارض من غير صحبة ولا موالاة ولا مودة فلا بأس، ويجب على المسلم أن يعامل الكفار إذا لم يكونوا حربًا للمسلمين معاملة إسلامية بأداء الأمانة، وعدم الغش والخيانة والكذب، وإذا جرى بينه وبينهم نزاع جادلهم بالتي هي أحسن وأنصفهم في الخصومة عملا بقوله تعالى: «وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»، ويشرع للمسلم دعوتهم إلى الخير ونصيحتهم والصبر على ذلك مع حسن الجوار وطيب الكلام لقول الله عز وجل: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»،

وقوله سبحانه: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»، وقول النبي ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

* * *

مصافحة النصراني أو اليهودي هل تبطل الوضوء

إذا توضأ الرجل للصلاة، وقابل في طريقه نصرانيًا أو يهوديًا وصافحه، فهل يبطل وضوءه؟ وما الحكم في دعوة المسيحي لتناول الطعام في بيت المسلم؟

الإجابة:

إذا صافح المسلم النصراني، أو اليهودي، أو غيرهما من الكفرة فالوضوء لا يبطل بذلك، لكنه ليس له أن يصافحهم، وليس له أن يبدأهم بالسلام ؛ لقول النبي ﷺ: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام»، والمصافحة أشد من البدء بالسلام، فلا يبدؤهم ولا يصافحهم إلا إذا بدؤوه هم بالسلام فصافحوه، فلا بأس بالمقابلة ؛ لأنه لم يبدأهم، وإنما هم الذين بدءوا.

أما دعوتهم للوليمة وتناول الطعام فهذا فيه تفصيل: فإن كان دعاهم لأجل الترغيب في الإسلام ونصيحتهم وتوجيههم للإسلام فهذا لا بأس به، وهكذا إن كانوا ضيوفاً، أما أن يدعوهم إلى الطعام من أجل الصداقة والمؤانسة فلا ينبغي له ذلك ؛ لأن بيننا وبينهم عداوة وبغضاء كما قال تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»، والله ولي التوفيق.

* * *

حكم قبول هدايا المشركين

عندنا مسجد يبنى وبجواره نصارى، والنصارى إذا أرادوا التبرع في بناء المسجد بالمال، هل على المسلمين أن يأخذوا المال منهم؟

الإجابة:

إذا كان فيه شرط يخالف الشرع فلا، أما التبرع المجرد فإنه ليس فيه شيء، والنبي ﷺ قبل كثيرًا من هدايا المشركين.

دخول غير المسلمين المساجد

يقول السائل: بالنسبة لدخول غير المسلمين من المشركين والشيوعيين المساجد هناك من يقول: يجوز لهم دخول المساجد لعل

الله أن يهديهم، وهناك من يقول: لا يجوز لهم، فنرجو إفادتنا بالصواب أفادكم الله؟

الإجابة:

أما المسجد الحرام فلا يجوز دخوله لجميع الكفرة: اليهود، والنصارى وعباد الأوثان، والشيوعيين، فجميع الكفرة لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام لأن الله سبحانه وتعالى يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا»، فمنع سبحانه من دخولهم المسجد الحرام.

والمشركون يدخل فيهم اليهود والنصارى عند الإطلاق، فلا يجوز دخول أي مشرك المسجد الحرام، لا يهودي، ولا نصراني، ولا غيرهما، بل هذا خاص بالمسلمين.

وأما بقية المساجد فلا بأس من دخولهم للحاجة والمصلحة، ومن ذلك المدينة وإن كانت المدينة لها خصوصية، لكنها في هذه المسألة كغيرها من المساجد، لأن الرسول ﷺ ربط فيها الكافر في مسجد النبي ﷺ، وأقر وفد ثقيف حين دخلوا المسجد قبل أن يسلموا، وهكذا وفد النصارى دخلوا مسجده عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على أنه يجوز دخول المسجد النبوي للمشرك، وهكذا بقية المساجد من باب أولى إذا كان لحاجة، إما لسؤال، أو لحاجة أخرى، أو لسماع درس ليستفيد، أو ليسلم ويعلن إسلامه، أو ما أشبه ذلك.

والحاصل: أنه يجوز دخوله إذا كان هناك مصلحة، أما إذا لم يكن هناك مصلحة فلا حاجة إلى دخوله المسجد، أو أن يخشى من دخوله العبث في أثاث المسجد، أو النجاسة فيمنع.

* * *

قول: يا سيد للكافر

يقول السائل: فضيلة الشيخ.. هل يجوز أن يقال للكافر: ياسيد، مثل أن يكتب بالفاتورة أو غيرها: السيد فلان، وهو يعلم أنه كافر، أو أثناء الحديث معه بالإنجليزية مثلاً مستر فلان؟ وإذا كان لا يجوز أن يقال للكافر: يا سيد، فما الدليل؟ أفيدونا أفادكم الله.

الإجابة:

نعم، لا يقال للكافر: سيد، ولا للفاسق سيد ؛ لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقل للفاسق سيدًا»، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الشيء، فلا ينبغي للمؤمن أن يقول للكافر ولا للفاسق سيدًا ؛ لأن هذا وصف عظيم لا يليق بالكافر والفاسق، والسيد هو الرئيس والكبير والفقيه، فلا ينبغي أن يقال للكافر بالله أو المعروف بالمعاصي

الظاهرة، لا يقال له سيد، بل يدعى باسمه المعروف، فلان، أو: أبي فلان، كما قال النبي ﷺ في عبد الله بن أبي: «ما فعل أبو الحباب؟».

فإذا دعي بلقبه أو باسمه أو قيل فلان المدعو كذا وكذا فلا بأس، ويكفي هذا، أما أن يقال: السيد فلان، أو يأتي بما هو أعظم من ذلك فلا يجوز ؛ لكونه فاسقاً معروفاً بالفسق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

مشاركة المسلم لنصراني في التجارة والزراعة وسائر المعاملات

هل يجوز للمسلم أن يكون شريكاً للنصراني في تربية الأغنام أو تجارتها أو أي تجارةٍ أخرى؟ أفيدونا أفادكم الله؟

الإجابة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.. أما بعد: فإن اشتراك المسلم مع النصراني أو غيره من الكفرة في المواشي أو في الزراعة أو بشيء آخر الأصل في ذلك جوازها إذا لم يكن هناك موالاة وإنما تعاون في شيء من المال كالزراعة أو الماشية أو نحو ذلك، وقال جماعة من أهل العلم بشرط أن يتولى ذلك المسلم، أن يتولى العمل في الزراعة أو بالماشية المسلم ولا يتولى ذلك الكافر؛ لأنه لا يُؤمن، وهذا فيه تفصيل فإن كانت هذه الشركة تجر إلى موالاة أو إلى فعل ما حرم الله أو إلى ترك ما أوجب الله حرمت هذه الشركة لما تفضي إليه من الفساد، أما إن كان لا تفضي إلى شيء من ذلك والمسلم هو الذي يباشرها ويعتني بها حتى لا يخدع فلا حرج في ذلك، ولكن بكل حال فالأولى به السلامة من هذه الشركة، وأن يشترك مع إخوانه المسلمين دون غيرهم حتى يأمن على دينه ويأمن على ماله، فالاشتراك مع عدوٍ له في الدين فيه خطر على خلقه ودينه وماله، فالأولى بالمؤمن بكل حال أن يبتعد عن هذه الخلطة حفظاً لدينه وحفظاً لعرضه وحفظاً لماله، وحذرًا من خيانة عدوه في الدين إلا عند الضرورة والحاجة التي قد تدعو إلى ذلك فإنه لا حرج عليه بشرط السلامة كما تقدم بشرط أن لا يكون في ذلك مضرة على دينه أو عرضه أو ماله، وبشرط أن يتولى ذلك فإنه أحوط له، لا يتولاها الكافر بل يتولى الشركة والعمل فيها المسلم، أو مسلم ينوب عنهما جميعًا.

* * *

شكل العلاقة ما بين المسلمين وبعضهم البعض عند مخالطة من لا يتمسكون بشعائر الإسلام

من السائل: س، أ. ع من العراق محافظة ديالي، يقول: أنا شاب مسلم أعبد الله وأريد أن أعمل بكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، ولكن

المشكلة أنني أعيش وسط قوم أكثرهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتصدقون، ويعملون بالبدع ومحدثات الأمور، ويحلفون بغير الله، وينذرون لغير الله، وبعض الناس يكفر بالله ورسوله باللفظ، وأنا شاب أدرس في المرحلة المتوسطة، وأكثر طلابها سيئو الأخلاق، لا يفعلون أوامر الله، وتوجد معنا فتيات غير محجبات، والمدرسات كذلك، حتى أصبح فعل الشر سهلاً وارتكاب المحرم ميسورًا، وأمورًا يطول شرحها، لكن والدي لا يسمح لي أن أترك الدراسة وأنا أرغب أن أترك هذه المدرسة، وأبتعد عن هذا الجو، وأعمل في الزراعة وأعبد الله بعيدًا عن شر الناس، لكن والدي لا يسمح لي بذلك، وأريد أن أسأل هل يجوز لي أن أترك المدرسة؟ وهل يجوز لي السفر من هذه البلاد إلى بلاد أخرى، ولو لم يرض والدي؟ أفيدوني أفادكم الله.

الإجابة:

إذا كان الحال ما ذكره السائل فالواجب عليك ترك هذه المدرسة والحذر من شرها والبعد عنها وعن أهلها، حفاظاً على دينك وحذرًا على عقيدتك وأخلاقك من هؤلاء السيئين من طلبة وطالبات ومجتمع سيئ، عليك أن تبذل وسعك في الانتقال إلى مدرسة سليمة أو إلى بلدة سليمة أو إلى مزرعة أو إلى ما تكون فيه بعيدًا عن الخطر على دينك وعلى أخلاقك، هذا هو الواجب عليك، ولو لم يرض والدك ؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف» ولقوله ﷺ أيضًا: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، فالجلوس بين أهل الشر وأهل الشرك وتاركي الصلوات وبين الفتيات المتبرجات والسافرات فيه خطر عظيم على العقيدة والأخلاق، فلا يجوز للمسلم البقاء على هذه الحال، بل يجب عليه أن يحذر هذا المجتمع ويبتعد عنه إلى مجتمع أصلح وأسلم لدينه ولو بالسفر من بلد إلى بلد آخر كمكة والمدينة للدراسة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، لوجود مدرسين فيهما من أهل العلم والفضل والعقيدة السلفية، سواء رضيا والداه أم لم يرضيا ؛ لأن الطاعة لهما إنما تكون في المعروف لا في المعاصي.

* * *

مجالسة الأصدقاء الذين لا يصلون

أنا شاب في الثانية والعشرين من عمري، متدينٌ والحمد لله ولكني أجالس أصحابًا لي لا يصلون، نصحتهم مرارًا وتكرارًا ولكن دون جدوى، ولم يزدهم نصحي إلا إصرارًا على المعاصي، حاولت هجرهم ولكن لم أستطع على ذلك ؛ لأنهم أصحاب لي منذُ الصغر ولا أحب سواهم من الشباب.

الإجابة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد.. فالحمد لله الذي هداك ووفقك لما فيه رضاه سبحانه، ورزقك الاستقامة على دينه فاحمد الله على هذا الخير العظيم واشكر الله، ونوصيك بالحذر من هؤلاء الأصحاب الذين لا يصلون فإن صحبتهم تضرك في دينك ودنياك وسمعتك، فاتقِ الله واحذرهم وسوف تجد ـ إن شاء الله ـ خيرًا منهم، فالتمس الأخيار والزملاء الطيبين فإنهم يعينونك على الخير ويرشدونك إلى أسباب النجاة، أما الأشرار فهم شرٌ عليك وضرر عليك في دينك ودنياك فاحذرهم وابتعد عن صحبتهم ما داموا لم ينتفعوا بالنصيحة فاحذرهم واهجرهم وابتعد عنهم، واسأل الله لهم الهداية، نسأل الله أن يهديهم وأن يكفيك شرهم، فالحذر الحذر منهم ما داموا على حالهم الرديئة والتمس الأصحاب الطيبين وأبشر بالخير والله يعينك كما قال سبحانه: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا»، «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»، فاستقم على أمر الله وحافظ على طاعته، واسأل ربك التوفيق والإعانة وابتعد عن الأشرار غاية البعد لعلك تنجو من شرهم وسوف يعوضك الله خيراً منهم.. جزاكم الله خيرًا.

***

ترك مؤاكلة ومجالسة تاركي الصلاة

أسكن في حجرة مع بعض الإخوة المصريين وهم لا يصلون وأنا أصلي والحمد لله، ولكنني أنصحهم بالصلاة فيعتذرون بأعذار غير مقنعة، ولذلك فأنا لا أقبل أن أشترك معهم في الأكل وآكل لوحدي، وعندما تكلموا كثيراً حول سبب أكلي وحدي ذكرت لهم أني لا آكل مع مسلمٍ لا يصلي، فهل فعلي هذا معهم صحيح أم لا؟

الإجابة:

قد أحسنت وأصبت، ماداموا يكابرون في ترك الصلاة ولم يقبلوا نصيحتك فالواجب بغضهم في الله وعدم مصاحبتهم وعدم الأكل معهم لأن هؤلاء مرتدون عن الإسلام في أصح قولي العلماء، من ترك الصلاة صار مرتدًا في أصح قولي العلماء، فالواجب نبذهم وعدم صحبتهم وينبغي أن لا تبقى معهم في الحجرة أيضًا، بل تكون في محل آخر حتى لا يضرك قربهم؛ لأن صحبة الأشرار والقرب منهم فيه خطر عظيم، فنسأل الله أن يمن عليهم بالتوبة وأن يهديهم إلى رشدهم، وأن يعيذهم من شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وأن يمنَّ عليهم بالتوبة، أما أنت فقد أحسنت في نصيحتهم، وقد أحسنت في مفارقتهم حتى لا يصيبك شيء من شرهم.

***

لي أخٌ من أبي وأمي لا يصلي، وقد نصحته وبينت له ما وعد الله به قاطع الصلاة في الدنيا وفي الآخرة، وما يحل به من عذاب في القبر، ولم يستجب للنداء، وقد أمضى معي في الغربة حوالي أربع سنوات وأنا أنصحه ولكن بدون فائدة، والسؤال: هل يجوز لي مقاطعته، وهل يجوز رد السلام عليه، وهل إذا قاطعته وكانت هذه المقاطعة سببًا في غضب والدتي عليّ هل علي في ذلك إثم؟ ويسأل عن الأكل والشرب معه.. الخ.

الإجابة:

قد أحسنت في نصيحته والاستمرار في ذلك، أما كونه استمر في مقاطعة الصلاة ولم يوفق لقبول النصيحة فهذا إلى الله سبحانه وتعالى، هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فعليك أن تدعو له كثيرًا بالهداية، وهكذا الوالدة تدعو له بالهداية أن الله يهديه ويرده إلى الصواب في السجود في آخر الصلاة في أوقات الإجابة مثل آخر الليل مثل بين الأذان والإقامة لعل الله يهديه ولعل الله يستجيب دعاءك ودعاء الوالدة، أما المقاطعة فالواجب مقاطعته مادام لم يقبل فالواجب هجره ومقاطعته لعله يستفيد من هذا الهجر ولعل الله يهديه بذلك، ولا تتخذه جليساً يكون أكيلك أو شريبك، ولا تجب دعوته إذا كان في بيت آخر إذا دعاك بل تظهر له المقاطعة والبغضاء حتى يهديه الله عز وجل، وهكذا الوالدة عليها أن تنكر عليه وعليها أن تبغضه في الله وعليها أن تقاطعه حتى يهديه الله ؛ لأن ترك الصلاة كفر أكبر في الصحيح من قولي العلماء، يقول النبي ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة»، ويقول النبي أيضاً عليه الصلاة والسلام: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» فالصلاة عمود الإسلام من أضاعها أضاع دينه، نسأل الله العافية، ويقول النبي ﷺ لما ذكر الصلاة يومًا قال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف»، وهؤلاء من صناديد الكفار ومن أخبث الكفار فبين ﷺ أن من ضيع الصلاة يحشر مع هؤلاء الكفرة، نسأل الله العافية، فالمقصود أن الواجب عليك وعلى الوالدة النصيحة وقد بذلت منك النصيحة وعلى الوالدة أن تبذل النصيحة وبعد ذلك لا بد من المقاطعة ولا بد من إعلان البغضاء له حتى يعرف أنكما تبغضانه في الله، وأنكما تقاطعانه في هذا الأمر لعل الله يهديه ويمن عليه بالتوبة ولا مانع من النصيحة بعد ذلك بين وقت وآخر بالكلام أو بالتلفون أو بالبرقيات والكتابة ونحو ذلك لا مانع أن يستمر المؤمن في النصيحة، لكن مع

البغضاء في الله ومع الهجر في الله كما قال الله عز وجل: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»، فترك الصلاة كفر وضلال، نسأل الله العافية، نسأل الله له الهداية، ونسأل الله أن يعينك والوالدة على كل خير، وأن ينفع بنصيحتكما وأن يقبل دعواتكما له حتى يهديه الله.

* * *

مرافقة الصديق الذي لا يصلي

إن لي صديق لا يصلي، هل أمشي معه؟ أم أتركه في حال سبيله، وأبقى في سبيلي جزاكم الله خيرًا؟

الإجابة:

الرفيق الذي لا يصلي لا تجوز مرافقته، بل يجب الحذر منه وهجره مع نصيحته وحثه على تقوى الله وإرشاده إلى الخير وإعلامه أن الصلاة عمود الإسلام وأنها أحد أركان الإسلام الخمسة، بل هي أعظم الأركان وأكبر الأركان بعد الشهادتين، فعليك أن تنصحه وأن تبلغه أمر الله وأن تجتهد في دعوته إلى الخير لعله يهتدي بأسبابك حتى يكون لك مثل أجره، فإن أبى وأصر فارفض رفقته ولا تزره ولا يزرك ولا تتخذه صاحبًا، بل اتخذه عدوًا وفارقه واهجره حتى يتوب إلى الله سبحانه وتعالى.. جزاكم الله خيرًا.

* * *

العيش في بلاد لا تطبق الشريعة

يقول السائل: أنا أعيش في مجتمع لا يطبق الشرع الإسلامي في جميع النواحي ولا أستطيع جعلهم يطبقونه: فهل عليَّ شيء في ذلك؟

الإجابة:

إذا أمكن من يعيش في بلاد لا تطبق الشريعة أن يهاجر إلى بلاد تطبق الشريعة وجب عليه الهجرة إذا استطاع ذلك، فإن لم يستطع فلا حرج عليه في الإقامة، ويتقي الله ما استطاع ويرشد إلى الخير وينصح العباد، ويدعو إلى تحكيم الشريعة حسب طاقته، وهو مأجور في هذه الحالة.

وإذا كان هناك قدرة على إلزام بالحق ومنع باطل لكونه رئيسًا أو شيخ قبيلة أو أمير قرية فمثل هذا يستطيع فعل هذه الأشياء إذا علم الله منه الصدق أعانه فهو يفعل ما يستطيع من تحكيم الشريعة حسب طاقته، كأن يكون شيخ قبيلة فيحكم الشريعة فيهم إذا كان يعلم وعنده معلومات في دينه.

إذا كان أمير قرية يستطيع أن يحكم الشريعة فيما يتنازعون فيه عنده وما أشبه ذلك.

المقصود أنه يجتهد ويتقي الله ما استطاع ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ويدعو الله لولاة الأمور بالهداية أن يهديهم ويوفقهم أو يأتي بغيرهم يحكموا الشريعة هكذا.

أما إن قدر أنه يهاجر وينتقل إلى بلاد تحكم الشريعة فهذا واجب عليه، إلا إذا كان عالمًا ذا علم وبصيرة وهدى، ويرى أن إقامته في هذه البلد فيها دعوة إلى الله وفيها توجيه الناس إلى الخير وفيها إرشادهم إلى توحيد الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور هذا له أجر في ذلك من أجل الدعوة، من أجل التوجيه إلى الخير، من أجل إنقاذ الناس مما هم فيه من الباطل، فهو على خير عظيم ولا تلزمه الهجرة في هذه الحال؛ لأنه ينشر دينه، ولأن عنده علماً في دينه لا يخشى على نفسه من شبهاتهم فلا بأس.

* * *

في ذكر النبي وأهله

نعلم أن هناك مجلساً لذكر الله، وعندنا أصبح مجلس اسمه مجلس الصلاة على النبي، فنقول: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى والديه وسلم !!! أو: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم على حسب الإمام ؛ فهل هذا المجلس جائز؟

الإجابة:

الصلاة على والدي النبي لا تجوز ؛ لأن والدي النبي ماتا على الجاهلية فلا يصلى عليهما ولا يدعى لهما، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي»، وقال لرجل سأله عن أبيه: «إن أبي وأباك في النار»، فلا يجوز الصلاة عليهما ولا الدعاء لهما، ولكن تصلي على النبي ﷺ تقول: «اللهم صل على محمد»، «اللهم صل على نبينا محمد، على سيدنا محمد» هذا طيب، يقول النبي ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا» في أي وقت، أما جعل مجالس خاصة للصلاة على النبي بصوت جماعي أو بلفظ جماعي هذا لا أصل له، لكن إذا سمعت من يصلي على النبي تصلي عليهِ عليه الصلاة السلام، إذا سمعت من يذكر النبي صليت عليهِ عليه الصلاة والسلام، وأنت في طريقك في بيتك في المسجد تصلي على النبي عليه الصلاة والسلام لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا»، والله يقول في كتابه العظيم في القرآن: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»، اللهم صل عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، وإذا قلت: «اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه، أو اللهم صل على محمد وعلى

أزواجه وذريته» كله طيب، المقصود الصلاة عليه وعلى آله كله طيب، أما ذكر والديه فهذا لا، ولا يدخل والـداه في آلــه ؛ لأنهمـا لم يسـلما، فهمـا غير داخلين في آله، آله يعني أهل بيته المسلمين وأتباعه هم آله، أتباعه وأهـل بيتـه الطيبـون كفاطمـة وكزوجاتـه وكعلي وكالحسـن والحسـين وغيرهم ممن أسلم من بني هاشم هم من آله، أما أبـواه فليسـا من آلـه الذين يصلى عليهم ويدعى لهم ؛ لأنهما ماتا على دين الجاهلية.

حول كلمة الولاء للوطن

يبـالغ البعض بـالقول أن كلمـة الـولاء للـوطن من التـوثين في بلـد إسلامي يدين أهله بالولاء لله فما ترون سماحتكم في ذلك؟

الإجابة:

الواجب الولاء لله ولرسوله بمعنى أن يوالي العبـد في اللـه ويعـادي في الله وقد يكون وطنه ليس بإسلامي فكيف يوالي وطنه، أمـا إن كـان وطنه إسلاميًا فعليه أن يحب له الخير ويسعى إليه، لكن الـولاء للـه ؛ لأن من كان من المسلمين مطيعًا لله فهو وليه، ومن كان مخالفاً لـدين اللـه فهو عدوه وإن كان من أهل وطنه وإن كان أخاه أو عمـه أو أبـاه أو نحـو ذلك، فالموالاة في اللـه والمعـاداة في اللـه، أمـا الـوطن فيحب إن كـان إسـلاميًا، وعلى الإنسـان أن يشـجع على الخـير في وطنـه وعلى بقائـه إسلامياً، وأن يسعى لاستقرار أوضاعه وأهله، وهذا هو الواجب على كــل المسلمين، نسـأل اللـه لنـا ولكم ولجميـع المسـلمين التوفيـق والهدايـة وصـلاح النيـة والعمـل، وصـلى اللـه وسـلم على نبينـا محمـد وعلى آلـه وصحبه.

* * *

جماعة الإخوان وجماعة التبليغ.. هل هما من أهل السُـنة؟

أخ يسأل عن بعض الجماعات الإسلامية، مثل جماعة التبليغ وجماعــة الإخوان المسلمين، ويقول: هل هؤلاء من أهل السُـنة والجماعة؟

الإجابة:

كلهم عندهم نقص، جماعة التبليغ وجماعة الإخـوان المسـلمين يجب أن يحاسبوا أنفسهم وأن يستقيموا على الحق، وأن ينفـذوا مـا دل عليـه الكتـاب والسُــنة، في توحيـد اللـه والإخلاص لـه، والإيــمان بـه واتبـاع شريعته، وعلى الإخوان المسلمين وفقهم الله أن يحاسبوا أنفسهم وأن يحكموا شرع الله فيما بينهم، وأن يسـتقيموا على دين اللـه قـولاً وعملاً وعقيدة، وأن يحذروا مخالفة أمره أينما كانوا، وعلى جماعة التبليغ أيضًــا أن يحذروا ما كان يفعلـه أسـلافهم من تعظيم القبـور، والبنـاء عليهـا أو جعلها في المسـاجد أو دعائهـا والاسـتغاثة بهـا، كـل هـذا من المنكـرات، والاستغاثة بها من الشـرك الأكـبر، فعليهم أن يحـذروا ذلـك، لهم نشـاط

في الـدعوة إلى اللـه، وكثـير منهم ينفـع اللـه بـه النـاس، لكن عنـد أسـلافهم عقيـدة غـير صـالحة، فيجب على الخلـف أن يتطهـروا منهـا، وأن يحذروا العقيدة الرديئة وأن يسـتقيموا على توحيـد اللـه حـتى ينفـع الله بهم وبجهادهم.

(ب)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة من المجلد الثامن والعشرون:

المرأة والرجل في العمل

خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على رسـوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجـال المـؤدي إلى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلـويح بحجـة أن ذلـك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة، أمر خطير جدًا له تبعاته الخطـيرة، وثمراته المرة، وعواقبه الوخيمة، رغم مصادمته للنصوص الشرعية الـتي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيـام بالأعمـال الـتي تخصـها في بيتهـا ونحوه.

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جنـاه الاختلاط من المفاسـد الـتي لا تحصى فلينظر إلى تلـك المجتمعـات الـتي وقعت في هـذا البلاء العظيم اختيارًا أو اضطرارًا بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه يجد التـذمر على المستوى الفردي والجماعي، والتحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الأسر، ويجد ذلـك واضـحًا على لسـان الكثـير من الكتـاب بـل في جميع وسائل الإعلام وما ذلك إلا لأن هذا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه.

والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية وتحريم النظر إليها، وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيمـا حـرم اللـه أدلـة كثيرة قاضية بتحريم الاختلاط ؛ لأنه يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

وإخراج المرأة من بيتهـا الـذي هـو مملكتهـا ومنطلقهـا الحيـوي في هذه الحيـاة إخراج لها عما تقتضـيه فطرتهـا وطبيعتهـا الـتي جبلهـا اللـه عليهـا.

فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي <u>تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه</u>.

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيبًا خاصًا يختلف تمامًـا عن تـركيب الرجـال هيأهـا بـه للقيـام بالأعمـال الـتي في داخـل بيتهـا والأعمال التي بين بنات جنسه.

ومعنى هذا: أن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجا لها عن تركيبها وطبيعتها، وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنوياتها وتحطيم لشخصيتها، ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث ؛ لأنهم يفقدون التربية والحنان ذو العطف، فالذي يقوم بهذا الدور هو الأم قد فصلت منه وعزلت تمامًا عن مملكتها التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول.

والإسلام جعل لكل من الزوجين واجبات خاصة على كل واحد منهما أن يقوم بدوره ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وفي خارجه.

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب، والمرأة تقوم بتربية الأولاد والعطف والحنان والرضاعة والحضانة والأعمال التي تناسبها لتعليم الصغار وإدارة مدارسهن والتطبيب والتمريض لهن ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء. فترك واجبات البيت من قبل المرأة يعتبر ضياعًا للبيت بمن فيه، ويترتب عليه تفكك الأسرة حسيًا ومعنويًا وعند ذلك يصبح المجتمع شكلاً وصورة لا حقيقة ومعنى.

قال الله جل وعلا: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ»، فسُنة الله في خلقه أن القوامة للرجل بفضله عليها كما دلت الآية الكريمة على ذلك، وأمر الله سبحانه للمرأة بقرارها في بيتها ونهيها عن التبرج معناه: النهي عن الاختلاط وهو: اجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات في مكان واحد بحكم العمل أو البيع أو الشراء أو النزهة أو السفر أو نحو ذلك ؛ لأن اقتحام المرأة في هذا الميدان يؤدي بها إلى الوقوع في المنهي عنه، وفي ذلك مخالفة لأمر الله وتضييع لحقوقه المطلوب شرعًا من المسلمة أن تقوم به.

والكتاب والسُنة دلا على تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه قال الله جل وعلا: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا»، فأمر الله أمهات المؤمنين ــ وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك ــ بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد ؛ لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى التبرج كما يفضي إلى شرور أخرى، ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر، وذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله ﷺ، ثم وجههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة وذلك بأن يكن على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة اللذين

فيهما ما يجلو صدأ القلوب ويطهرها من الأرجاس والأنجاس ويرشد إلى الحق والصواب، وقال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»، فأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ــ وهو المبلغ عن ربه ــ أن يقول لأزواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وذلك يتضمن ستر باقي أجسامهن بالجلابيب وذلك إذا أردن الخروج لحاجة مثلاً لئلا تحصل لهن الأذية من مرضى القلوب. فإذا كان الأمر بهذه المثابة فما بالك بنزولها إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم، وإبداء حاجتها إليهم بحكم الوظيفة، والتنازل عن كثير من أنوثتها لتنزل في مستواهم وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة.

قال الله جل وعلا: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» الآيتان.

يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا بغض النظر وحفظ الفرج عن الزنا ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزكى لهم. ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها ولا شك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة في العمل له. فاقتحامها هذا الميدان معه واقتحامه الميدان معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارته.

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها ؛ لأن الجيب محل الرأس والوجه، فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال؟ والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير، كيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما تقوم به؟

والإسلام حرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المحرمة، وكذلك حرم الإسلام على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي

إلى الطمع فيهن كما في قوله عز وجل: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ»، يعني مرض الشهوة. فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط؟

ومن البدهي أنها إذا نزلت إلى ميدان الرجال لا بد أن تكلمهم وأن يكلموها، ولا بد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام، والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له، والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب، وما ذاك إلا لأن الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر فالحجاب يمنع- بإذن الله- من الفتنة ويحجز دواعيها، وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء، والبعد عن مظان التهمة قال الله عز وجل: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» الآية.

وخير حجاب المرأة بعد حجاب وجهها باللباس هو بيتها، وحرم عليها الإسلام مخالطة الرجال الأجانب؛ لئلا تعرض نفسها للفتنة بطريق مباشر أو غير مباشر، وأمرها بالقرار في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة مباحة مع لزوم الأدب الشرعي، وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قرارًا، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها، فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي محرم وعن السفر إلا مع ذي محرم، سدًا لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الإثم وحسمًا لأسباب الشر، وحماية للنوعين من مكايد الشيطان، ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»، وصح عنه ﷺ أنه قال: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

وقد يتعلق بعض دعاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التي لا يدرك مغزاها إلا من نور الله قلبه وتفقه في الدين وضم الأدلة الشرعية بعضها إلى بعض وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض، ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول ﷺ في بعض الغزوات، والجواب عن ذلك أن خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يخشى عليهن من الفساد، لإيمانهن وتقواهن وإشراف محارمهن عليهن وعنايتهن بالحجاب بعد نزول آيته بخلاف حال الكثير من نساء العصر، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها إلى العمل يختلف تمامًا عن الحالة التي خرجن بها مع رسول الله ﷺ في الغزو فقياس هذه على تلك يعتبر قياسا مع الفارق. وأيضا فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا، وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم، وأقرب إلى التطبيق

العملي لكتاب الله وسنة رسـوله ﷺ فمـا هـو الـذي نقـل عنهم على مـدار الزمن؟ هل وسعوا الدائرة كما ينادي دعـاة الاختلاط فنقلـوا مـا ورد في ذلك إلى أن تعمل المرأة في كل ميـدان من ميـادين الحيـاة مـع الرجـال تزاحمهم ويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها؟ أم إنهم فهموا أن تلك قضايا معينة لا تتعداها إلى غيرها؟

وإذا استعرضنا الفتوحات الإسلامية والغـزوات على مـدار التـاريخ لم نجد هذه الظاهرة، أما ما يدعى في هذا العصر من إدخالها كجندي يحمـل السلاح ويقاتل، كالرجل فهو لا يتعدى أن يكون وسـيلة لإفسـاد وتـذويب أخلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنـود ؛ لأن طبيعـة الرجـال إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما عند الخلوة ما يكون بين كل رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحـديث والكلام، وبعض الشـيء يجـر إلى بعض، وإغلاق الفتنـة أحكم وأحـزم وأبعـد من الندامـة في المسـتقبل، فالإسلام حريص جـدًا على جلب المصـالح ودرء المفاسـد وغلـق الأبـواب المؤدية إليها.

ولاختلاط المرأة مع الرجل في ميدان العمل تأثير كبير في انحطـاط الأمة وفساد مجتمعها كما سـبق ؛ لأن المعـروف تاريخيًـا عن الحضـارات القديمة: الرومانية واليونانيـة ونحوهمـا أن من أعظم أسـباب الانحطـاط والانهيار الواقـع بهـا هـو خـروج المـرأة من ميـدانها الخـاص إلى ميـدان الرجال ومزاحمتهم مما أدى إلى فساد أخلاق الرجال، وتركهم لمـا يـدفع بـأمتهم إلى الـرقي المـادي والمعنـوي.. وانشـغال المــرأة خـارج الـبيت يؤدي إلى بطـالة الرجل وخسران الأمة، وعـدم انسـجام الأسـرة وانهيـار صرحها، وفساد أخلاق الأولاد، ويـؤدي إلى الوقـوع في مخالفـة مـا أخـبر الله به في كتابه من قوامة الرجل على المـرأة، وقـد حـرص الإسـلام أن يبعد المرأة عن جميع ما يخالف طبيعتها فمنعها من تولي الولاية العامـة كرئاسة الدولة والقضاء وجميـع مـا فيـه مسـئوليات عامـة لقولـه ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري في صحيحه، ففتح الباب لهـا بأن تنزل إلى ميدان الرجال يعتبر مخالفاً لما يريده الإسلام من سـعادتها واستقرارها، فالإسلام يمنع تجنيد المرأة في غير ميـدانها الأصـيل، وقـد ثبت من التجارب المختلفة ـ وخاصة في المجتمع المختلط ـ أن الرجـل والمــرأة لا يتسـاويان فطريًـا ولا طبيعيًـا، فضـلاً عمـا ورد في الكتـاب والسُـنة واضحًا جليًا في اختلاف الطبيعـتين والواجـبين، والـذين ينـادون بمساواة الجنس اللطيف ـ المنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ـ بالرجال، يجهلون أو يتجاهلون الفوارق الأساسية بينهم.

لقد ذكرنا من الأدلة الشرعية والواقع الملموس ما يـدل على تحـريم الاختلاط واشـتراك المـرأة في أعمـال الرجـال، مـا فيـه كفايـة ومقنـع لطالب الحق، ولكن نظرًا إلى أن بعض الناس قـد يسـتفيدون من كلمـات

رجال الغرب والشرق أكثر مما يستفيدون من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام علماء المسلمين، رأينا أن ننقل لهم ما يتضمن اعتراف رجال الغرب والشرق بمضار الاختلاط ومفاسده لعلهم يقتنعون بذلك، ويعلمون أن ما جاء به دينهم العظيم من منع الاختلاط هو عين الكرامة والصيانة للنساء وحمايتهن من وسائل الإضرار بهن والانتهاك لأعراضهن.

قالت الكاتبة الإنجليزية اللادي كوك: (إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة.. إلى أن قالت: علموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد).

وقال شوبنهور الألماني: (قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته، وسهل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها).

وقال اللورد بيرون: (لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها اليوم في حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة، ولرأيت معي وجوب إشغال المرأة بالأعمال المنزلية، وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير) أهـ.

وقال سامويل سمايلس الإنجليزي: (إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم فصار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة، إذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية، ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل خالية وأضحت الأولاد تشب على عدم التربية، وتلقى في زوايا الإهمال وأطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل، وصارت زميلته في العمل والمشاق، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبًا التواضع الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة).

وقالت الدكتورة إيدايلين: (إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق ثم قالت: إن التجارب

أثبتت أن عودة المـرأة إلى الحـريم هـو الطريقـة الوحيـدة لإنقـاذ الجيـل الجديد من التدهور الذي يسير فيه).

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: (إن المرأة تستطيع أن تخـدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة).

وقال عضو آخر: (إن اللـه عنـدما منح المـرأة مـيزة إنجـاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمـل في الخـارج بـل جعـل مهمتهـا البقـاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال).

وقال شوبنهور الألماني أيضًا: (اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب ثم قابلوني بعد عام لـتروا النتيجـة ولا تنسـوا أنكم سـترثون معي الفضـيلة والعفــة والأدب، وإذا مت فقولـوا: أخطـأ أو أصـاب كبـد الحقيقة)، ذكر هذه النقول كلها الدكتور مصطفى السـباعي رحمـه اللـه في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون).

ولو أردنا أن نستقصي مـا قالـه منصـفو الغـرب في مضـار الاختلاط التي هي نتيجة نـزول المـرأة إلى ميـدان أعمـال الرجـال لطـال المقـال ولكن الإشارة المفيدة تكفي عن طول العبارة.

والخلاصة: أن استقرار المرأة في بيتها والقيام بمـا يجب عليهـا من تدبيره بعد القيام بأمور دينها هو الأمر الـذي يناسـب طبيعتهـا وفطرتهـا وكيانها، وفيه صلاحها وصلاح المجتمع وصـلاح الناشـئة فـإن كـان عنـدها فضـل ففي الإمكـان تشـغيلها في الميـادين النسـائية كـالتعليم للنسـاء والتطـبيب والتمـريض لهن ذلـك ممـا يكـون من الأعمـال النسـائية في ميادين النساء كمـا سـبقت الإشـارة إلى ذلـك، وفيهـا شـغل لهن شـاغل وتعاون مـع الرجـال في أعمـال المجتمـع وأسـباب رقيـه، كـل في جهـة اختصاصه، ولا ننسى هنا دور أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومن سار في سبيلهن، وما قمن بـه من تعليم للأمـة وتوجيـه وإرشـاد، وتبليـغ عن اللـه سـبحانه وعن رسـوله ﷺ فجـزاهن اللـه عن ذلـك خـيرًا، وأَكْثَـرَ في المسـلمين اليـوم أمثـالهن مـع الحجـاب والصـيانة والبعـد عن مخالطـة الرجال في ميدان أعمالهم.

واللـه المسـئول أن يبصـر الجميـع بـواجبهم، وأن يعينهم على أدائـه على الوجه الذي يرضيه، وأن يقي الجميع وسائل الفتنة وعوامل الفساد ومكايد الشيطان، إنه جواد كـريم وصـلى اللـه على عبـده ورسـوله نبينـا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

ما حكم اقتناء الصور للذكرى؟

الجواب: اقتناء الصور للذكرى محـــرم لأن النبي أخـبر أن الملائكـة لاتدخل بيتاً فيه صورة، وهذا يدل على تحـريم اقتنـاء الصـور في الـبيوت والله المستعان (فتوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله).

* * *

فتوى الشيخ عبد الله بن جبرين في الجهاد ضد الشيعة
ووجوب البصق في وجوههم.. والله المستعان

يكـثر الابتلاء بالشـيعة في كثـير من الـدوائر من مـدارس وجامعـات ودوائر حكومية، في هذه الحال نرى إذا كـانت الأغلبيـة لأهـل السُــنة أن يظهـروا إهـانتهم وإذلالهم وتحقـيرهم وكـذلك أن يظهـروا شـعائر أهـل السُــــنة فيـــذكرون دائم فضـــائل الصـــحابة ويـــذكرون الترضـــي عنهم ومـدائحهم وتشـتمل مجالسـهم على ذكـر فضـل القـرآن وعلى ذكـر ـــ تكفير من حرفه أو ما أشـبه ذلـك ـــ لعلهم أن ينقمعـوا بـذلك وأن يـذلوا ويبصـق في وجـوههم ويُهـانوا ؛ لتضـيق بـذلك صـدورهم ويبتعـدوا، أمـا معـاملتهم فيعـاملهم الإنسـان بالشـدة فيظهـر في وجـوههم الكراهيـة ويظهر البغض والتحقير والمقت لهم ولا يبدأهم بالسـلام ولا يقـوم لهم ولا يصــافحهم، لكن يمكن إذا ابتــدؤا بالســلام ـــ أن يــرد عليهم بقولــه وعليكم أو ما أشبه ذلك.

وعلى هذا إن كان لأهل السُـنة دولة وقـوة وأظهـر الشـيعة بـدعهم، وشركهم، واعتقاداتهم، فإن على أهل السُـنة أن يجاهدوهم بالقتال، بعد دعوتهم ليكفوا عن إظهار شـركهم، وبـدعهم، ويلزمـوا شـعائر الإسـلام، وإذا لم تكن لأهل السُـنة قدرة على قتال المشركين، والمبتـدعين، وجب عليهم القيام بما يقدرون عليـه من الـدعوة، والبيـان، لقولـه تعـالى: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا».

* * *

التقريب بين الرافضة وأهل السُـنة غير ممكن

التقريب بين الرافضة وبين أهـل السُــنة غـير ممكن ؛ لأن العقيـدة مختلفة، فعقيدة أهل السُـنة والجماعـة توحيـد اللـه وإخلاص العبـادة للـه سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحـد لا ملـك مقـرب ولا نـبي مرسـل، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب، ومن عقيـدة أهـل السُــنة محبة الصحابة رضي اللـه عنهم جميعـا والترضـي عنهم، والإيمـان بـأنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وأن أفضلهم أبـو بكـر الصـديق، ثم عمـر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عن الجميـع، والرافضـة خلاف ذلـك فلا يمكن الجمع بينهما، كمـا أنـه لا يمكن الجمـع بين اليهـود والنصـارى والوثنـيين وأهل السُــنة، فكـذلك لا يمكن التقـريب بين الرافضـة وبين أهـل السـنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها.

* * *

العمل في الجيش

ما حكم تحية العلم في الجيش وتعظيم الضباط وحلق اللحية فيه؟

الجواب: لا تجوز تحية العلم، بل هي بدعة محدثة، وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وأما تعظيم الضباط باحترامهم وإنزالهم منازلهم فجائز، أما الغلو في ذلك فممنوع، سواء كانوا ضباطا أم غير ضباط، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم (فتاوى علماء البلد الحرام، ص 80).

أفيدوني عن حكم من يعمل بالجيش، وهذا مصدر رزقه، وتفرض عليه نظم الجيش وقوانينه أن يحلق لحيته، ويعظم بعضنا بعضًا، كما تفعله الأعاجم، وأن نلقي التحية بكيفية ليست بالتي أمرنا بها الله ورسوله، وأن نعظم علم الدولة، ونحكم ونحتكم فيما بيننا بشريعة غير شريعة الله (قوانين عسكرية)، وإذا حاربت دفاعًا عن الوطن، ولكن ليس تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وشاء الله أن أقتل، فما حكمي من القرآن والسُنة؟

وهل يمكن أن أحارب بنية مغايرة لنية الجيش الذي أحارب ضمن صفوفه؟ وإذا عملت ما قد سلف دفعًا لأذى يمكن أن يلحق بي فهل أأثم بهذا؟ وهل يمكن لمسلم أن يعمل في الجيش بنية تعلم فنون القتال التي لا يمكن أن يتعلمها خارجه في ظروفنا الحالية؟

وأفيدوني عن طاعة الوالدين في هذا الأمر، إذا اختلفت وجهات النظر، في حالة إذا كان الوالدان لا يحتكمان لقرآن ولا لسُنة، ولكن لتقاليد مجتمع وما اجتمع عليه الناس، ويعتبران أن الدين ليس سوى صلاة وصيام، وغير هذا فهو تطرف، وفقكم الله إلى ما فيه رضاه، وسدد خطاكم وحفظكم.

الجواب: الحمد لله.

أولاً: يحرم حلق اللحية، ويجب إعفاؤها.

ثانيًا: لا تجوز تحية العلم.

ثالثاً: يجب الحكم بشريعة الإسلام، والتحاكم إليها، ولا يجوز للمسلم أن يحيي الزعماء أو الرؤساء تحية الأعاجم ؛ لما ورد من النهي عن التشبه بهم، ولما في ذلك من الغلو في تعظيمهم.

رابعًا: من قاتل لإعلاء كلمة الله، والذود عن المسلمين، والحفاظ على بلاد المسلمين من العدو، فهو في سبيل الله، وإن قتل فهو شهيد ؛ لأن العبرة بالمقاصد والغايات، ويمكن أن تنوي نية مغايرة لنية الجيش ؛ كأن تنوي إعلاء كلمة الله بجهادك، وإن كان غيرك ينوي خلاف ذلك، كالجهاد للوطن.

خامسًا: طاعة الوالـدين واجبـة في غـير معصـية الله، فإنـه لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق، وبالله التوفيق وصلى اللـه على نبينـا محمـد وآله وصحبه وسلم (فتاوى علماء البلد الحرام، ص 80).

* * *

العمل في الفرق الموسيقية

أحد أقاربي من الذين أنعم اللـه عليهم بعمـل في إحـدى القطاعـات العسكريه ولكن للأسف كان تخصصه في الفرقـه الموسـيقية، والسـؤال هو هل مايتقاضاه من راتب حلال أم حرام؟؟؟؟

الفتـــــوى:

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـه وصـحبه ومن والاه أما بعد:

سئلت اللجنة الدائمة هذا السؤال:

الرجل يحترف الموسـيقى ويقتات منها كأجـــواق الإذاعـات مثلاً، مـا حكم الله؟

فأجابت اللجنـة: لا يجـوز للمسـلم أن يحـترف الموسـيقى، والكسـب الذي يحصل عليه محرم، وينبغي له أن يحترف حرفة يكـون كسـبها طيًبـا لكونها من آلات اللهو المحرمـة الـتي دل الكتـاب والسُـنة على تحريمها، مثل قوله تعـالى: سـورة لقمـان الآيـة 6 «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُـزُوًا»، وقـد فسـر أهـل العلم لهو الحديث باتخاذ آلات اللهو، ولقوله ﷺ: في صحيح البخــاري العلم (116)،- صحيح مسلم فضائل الصـحابة (2537)،- سـنن الترمـذي الفتن (2251)،- سنن أبو داود الملاحم (4348)،- مسـند أحمـد بن حنبـل (2/88) «ليكونن من أمتي أقوام يسـتحلون الحـر والحريـر والخمـر والمعـازف»، والمعازف تشمل: الموسيقى وغيرها من آلات اللهو.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحـوث العلميـة والإفتـاء (الجـزء رقم: 26، الصـفحة رقم: 244) رقم الفتوى (2768).

* * *

حكم قيادة المرأة للسيارة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد كثر حديث الناس في صحيفة الجزيرة عن قيادة المرأة للسيارة ومعلوم أنها تؤدي إلى مفاسد لا تخفى على الداعين إليها، منها: الخلـوة المحرمة بالمرأة، ومنها: السفور، ومنها: الاختلاط بالرجـال بـدون حـذر،

ومنها: ارتكاب المحظور الذي من أجله حرمت هذه الأمور، والشرع المطهر منع الوسائل المؤدية إلى المحرم واعتبرها محرمة، وقد أمر الله جل وعلا نساء النبي ونساء المؤمنين بالاستقرار في البيوت، والحجاب، وتجنب إظهار الزينة لغير محارمهن لما يؤدي إليه ذلك كله من الإباحية التي تقضي على المجتمع قال تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ» وقال تعالى: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ».

وقال النبي ﷺ: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»، فالشرع المطهر منع جميع الأسباب المؤدية إلى الرذيلة بما في ذلك رمي المحصنات الغافلات بالفاحشة وجعل عقوبته من أشد العقوبات صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة.

وقيادة المرأة من الأسباب المؤدية إلى ذلك، وهذا لا يخفى ولكن الجهل بالأحكام الشرعية وبالعواقب السيئة التي يفضي إليها التساهل بالوسائل المفضية إلى المنكرات مع ما يبتلى به الكثير من مرضى القلوب من محبة الإباحية والتمتع بالنظر إلى الأجنبيات، كل هذا يسبب الخوض في هذا الأمر وأشباهه بغير علم وبغير مبالاة بما وراء ذلك من الأخطار وقال الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ»، وقال سبحانه: «وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ».

وقال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعده من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه

دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها»، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك متفق عليه.

وإنني أدعو كل مسلم أن يتق الله في قوله وفي عمله، وأن يحذر الفتن والداعين إليها، وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جل وعلا أو يفضي إلى ذلك، وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف. وقانا الله شر الفتن وأهلها، وحفظ لهذه الأمة دينها وكفاها شر دعاة السوء، ووفق كتاب صحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(مجموع فتاوى ابن بازج 3 عن فتاوى علماء البلد الحرام، (1098)

* * *

أحكام وفتاوى

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

التاريخ: 7/9/1421هـ

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بياناً بشأن تحريم المسلسلات المخالفة للشرع المطهر، ومنها مسلسل (طاش ما طاش)، وكذلك بالنسبة لعدد من الحالات الطارئة.

* * *

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده.. وبعد:

فنظرًا لكثرة التَشَكِيات والاستفتاءات على مدى ست سنوات متواليات من عام 1416هـ إلى عام 1421هـ بشأن مسلسلات (طاش ما طاش) لما فيها من مخالفات للشرع المطهر والآداب والقيم ويمكن إجمال ما لاحظه الناصحون والمستفتون على المسلسلات المذكورة على النحو الآتي:

(1) السخرية بأهل الخير والصلاح وإلصاق المعايب بهم.

(2) خروج المرأة مع الرجال الأجانب وما يتبع ذلك من اختلاط وتبرج وسفور وخضوع بالقول وغير ذلك.

(3) العمل على توهين الأخذ بأحكام الشرع المطهر والترغيب فيما نهى عنه كترك الحجاب وإبداء الزينة للأجانب وقيادة المرأة للسيارة والسفر إلى بلاد الكفر وإلى البلاد التي تشتهر بالرذيلة وتحارب الفضيلة.

(4) لمزة المتصفين بالغيرة على محارمهم ونسائهم.

(5) إثارة الشهوات في مشاهد بشعة تقتل الحياء وتقضي على العفة.

(6) القيام بأفعال رعونة وسخرية وخرم مروءة كالتزيي باللحى المصطنعة ونحوها.

(7) تناول عادات بعض البلدان والمناطق ومحاكاة لهجاتهم على وجه التحقير لأهلها وإظهار معايبهم.

وإنه بعد دراسة اللجنة لتلك الاستفتاءات واطلاعها على رصد موثوق لهذا المسلسل، فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء تبين لعموم المسلمين ما يلي:

أولاً: يحرم إنتاج هذه المسلسلات وبيعها وترويجها وعرضها على المسلمين لأمور منها:

(1) اشتماله على الاستهزاء ببعض أمور الدين والسخرية ممن يعمل بها، وهذا أمر في غاية الخطورة على من ينتجها ويخشى عليهم سوء عاقبتها الوخيمة.

(2) اشتماله على ما يعارض الشرع المطهر، وحمل الناس والخروج على أحكام دينهم وشريعة ربهم وذلك من خلال: ترسيخ العلاقات غير المشروعة بين النساء والرجال الأجانب، وعيب الغيرة على المحارم، والتهاون بالحجاب وغير ذلك.

(3) اشتماله على الدعاية للبلاد التي تظهر فيها شعائر الكفر، والبلاد التي اشتهرت بالفساد الأخلاقي.

(4) اشتماله على ما يثير النعرات والعصبيات الجاهلية عن طريق السخرية بالعادات واللهجات وهذا ينافي مقاصد الشرع المطهر من الحث على المحبة والألفة والإخاء والصفاء بين المسلمين والبعد عن أسباب الشحناء والبغضاء قال الله تعالى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا

بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُـوقُ بَعْـدَ الإِيمَـانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ».

(5) إفضاؤه إلى نشـر الرذيلة، وطمس معالم الفضيلة، وإشاعة الفسـاد، ومحبة المنكرات والاستئناس بها.

ثانيًا: تحـرم مشـاهدة هـذه المسلسـلات والجلـوس عنـدها لمـا فيهـا من المنكـرات وتعـدي حـدود اللـه، قـال اللـه تعـالى في وصـف عبـاده المتقين: «وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» أي: لا يحضرون القول والفعل المحرم وأعياد الكفـار، وقـال سـبحانه: « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُـونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْـرِهِ وَإِمَّا يُنسِـيَنَّكَ الشَّـيْطَانُ فَلا تَقْعُـدْ بَعْـدَ الـذِّكْرَى مَـعَ الْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ»، قـال أهـل العلم: المراد بالخوض في آيـات اللـه: التكلم بمـا يخـالف الحـق: من تحسين المقالة الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلهـا، والإعـراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله. وفي الآية دليل على أن مجالسة أهـل المنكر لا تحل، وقال الله جل وعلا: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَـا وَيُسْتَـهْزَأُ بِهَـا فَلا تَقْعُـدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْـرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ»، قـال أهـل العلم: ويـدخل في عموم الآية حضـور مجـالس المعاصـي والفسـوق الـتي يسـتهان فيها بأوامر الله ونواهيه.

ثالثـاً: تحـرم الدعايـة لهـذه المسلسـلات وتشـجيعها والإعلان عنهـا بأيـة وسيلة لأن ذلك من التعاون على الإثم والعـدوان وقـد نهى اللـه عن ذلك فقال جل وعلا: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِـرِّ وَالتَّقْـوَى وَلا تَعَـاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ»، والـواجب هـو الإنكـار على هـؤلاء وبغضـهم في اللـه حـتى يتوبـوا إلى اللـه تعـالى ويقلعوا عن معصيته.

رابعًا: إن تخصيص الكلام في هذا المسلسـل (طـاش مـا طـاش) لا يعـني سـلامة غـيره من المسلسـلات، بـل الحكم يتعـدى إلى كـل مسلسـل يشتمل على مخالفة للشرع المطهر، وانتهاك لحرمات الله، وإفسـاد للأخلاق، وقتـل للغيرة الدينيـة، وتحطيم للمـروءة الإنسـانية، ودعـوة إلى الانحراف بشتى أنواعه.

خامسًا: يجب على أهل الإسلام أن تكون حياتهم جدًا لا هزلاً وأن يشتغلوا بمـا ينفعهم في دينهم ودنيـاهم، وأن يجتنبـوا كـل مـا فيـه إضـعاف لدينهم، وتوهين لقوتهم، وإهدار لأوقاتهم، وحط لأقـدارهم، وتمكين لعدوهم منهم.. وإن الحياة لثمينة فليربأ أهـل الإسـلام عن عمارتهـا بالباطل وسفاسف الأمور، وليقومـوا بحـق اللـه عليهم من التمسـك بهـذا الـدين، وحمايـة حرماتـه، وتربيـة شـبابه على الحـق والفضـيلة

وإبعادهم عن العبث والفساد والرذيلة، والواجب على القائمين بإعداد هذه المسلسلات التوبة الى الله، ونسأل الله جل وعلا أن يصلح أحوال الجميع وأن يهدينا جميعًا الى سواء السبيل إنه سميع قريب مجيب وبالله التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس

عضو

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو

عضو

صالح بن فوزان الفوزان بكر بن عبد الله أبو زيـــــــــد

* * *

حكم الإضراب عن العمل

ما حكم الإضراب عن العمل لتحقيق بعض المطالب للعامل أو تحسين بعض الأوضاع؟

الإجابة:

الحمد لله.. إن الإضراب إخلال في عقد العمل بين العامل من جهة وصاحب العمل من جهة أخرى، ولقد دعا الله عز وجل في كتابه الكريم إلى الالتزام والوفاء بالعهود والمواثيق التي يقطعها الإنسان على نفسه تجاه الغير، ولا بد أن يقوم العامل بجميع الأعمال الموكلة إليه على الوجه الذي يرضي الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»، وقد يصاحب الإضراب بعض المفاسد وأعمال الشغب ومظاهر العنف، وهذا ما لا يرتضيه الشارع بناء على القاعدة الفقهية: درء المفاسد أولى من جلب المنافع، وهناك العديد من الوسائل التي يمكن اللجوء إليها لتحقيق المطالب وقد تكون أكثر فاعلية وجدوى من الإضراب، والإنسان العاقل لا يترك بابًا وفق أسس سليمة شرعية إلا وَطـَرَقـَهُ، أما الانقطاع عن العمل بسبب عدم دفع الأجور والرواتب فهذا جائز، لأن رب العمل أخل بالعقد، فللعامل أن ينقطع عن العمل حتى يدفع له أجره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) رواه ابن ماجه والله أعلم.

* * *

حكم العمل بمصنع لإنتاج التلفاز

جار لأخ لنا يعمل بمصنع التلفاز، وطبيعة العمل أن يقوم بدهان التلفاز، فهل يجوز له العمل؟ مع رجاء ذكر العلة.

الإجابة:

لا يجوز له هذا العمل، لأن الاستخدام الأعم في التلفاز هو الاستعمال المحرم، وقد قال تعالى «وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»، حتى وإن كان يقوم بالدهان فقط لأنه خطوة ضرورية من أجل الانتفاع بالتلفاز.

* * *

حكم العمل كحارس شخصي

عندي سؤال أرجو من سيادتكم الإجابة عليه بارك الله فيكم، والسؤال بخصوص صديق أمريكي أسلم قبل سنتين وله شركة مجال عملها حماية الشخصيات هنا في أمريكا، والآن يريد أن يعرف حكم الشرع في شرعية هذا العمل وهو حماية الشخصيات يكون هنا بحماية

شخصيات سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة والذي يعمل في هذا المجال ربما يقدم حياته في سبيل حماية الشخصية المناط بحمايتها؟

الإجابة:

فأما حماية المسلمين فلا بأس بهذا العمل ؛ لأن المسلم معصوم الدم والمال حيث كان ومعاونته على حفظ نفسه وماله معاونة على حق، ويجوز أخذ الأجرة على ذلك، أما الكفار فأنصحه ألا يعمل في ذلك، فمن الكفار من هو معصوم، ومنهم من ليس بمعصوم الدم والمال وهم الحربيون، ولا يجوز للمسلم أن يعرض حياته للخطر من أجل هؤلاء.

* * *

حكم إصلاح الثلاجات في الدول الأجنبية

أنا مقيم بفرنسا وأعمل في تصليح الثلاجات، وفي بعض الأحيان تستعمل في تبريد اللحم غير المذبوح وحتى لحم الخنزير.. أفتونا في هذه المسألة.. جزاكم الله خيرًا.

الإجابة:

فما أمكن استعماله في حلال وحرام، وليس الحرام هو المقصود الأغلب فلا بأس من بيعه وإجارته وإصلاحه، وإثم استعماله في الحرام على من يستعمله فيه، والثلاجات تستعمل في تبريد أشياء كثيرة غير اللحم، فيجوز لك العمل في إصلاح الثلاجات.

* * *

حكم العمل في مجال صيانة الكمبيوتر

(1) ما حكم العمل في صيانة الحاسب الآلي وخصوصًا أن معظم الأجهزة يكون عليها من فتن ومحرمات من غناء وغيره؟

(2) وكذلك من يقول إن ماله حلال مع الإثم، فكيف ذلك وأنا أعلم يقيناً وأرى بعيني أن على الجهاز محرمات أقلها الغناء؟ وقد قال البعض بأنه ينصح صاحب الجهاز، فكيف لو أخذ النصيحة بموضع الاستهوان وأنا أعلم أنه لن يغير شيئاً؟ علمًا بأنه من الإخوة من يعمل بالحاسب ونرى أنهم يقومون بالصيانة ولا دخل لهم بما على الجهاز.. فقط أنهم لا يدخلون له شيئاً حرمًا، ولكنني أجهز له الجهاز وأكون متأكدًا أنه بكفاءة لتشغيل كل ما هو عليه من محرمات، فهل المال حلال مع الإثم أم ماذا؟

الإجابة:

(1) الذي يعمل في صيانة الحاسب الآلي إما أن يغير ما بها من منكرات ويشترط على صاحب الجهاز عدم استعماله في حرام، وإما لا يصلحه لمن يستعين به على المحرم.

(2) إذا عمل وأصلح الجهاز وهو يعلم أنه يستعمل في محرم كان متعاوناً على الإثم والعدوان، لكنه يستحق الأجرة ؛ لأن أصل العمل مباح وإنما أثم لعلمه باستعماله في الحرام، فهنا القول بانفكاك الجهة هو الصحيح، وإذا نصح صاحب الجهاز فأظهر القبول جاز له أن يصلحه، وأن استهزأ وعلم أنه لن يعتبر فلا يصلحه له.

واستحقاق المصلح للأجرة مع الإثم يعني أنه يمكنه استعمال هذا المال في مصالحه ولا يرده للشخص الذي أخذه منه.

* * *

حكم توصيل قسيس إلى كنيسة؟

هل يجوز أن يقوم سائق ميكروباص بتوصيل قسيس من بيته إلى كنيسة مخصوص؟

الإجابة:

لا يجوز لك ذلك ؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، فإذا علمتَ – مثلاً – أنه يذهب إلى خمارة فتوصيله حينئذٍ حرام، والكنيسة أشد من ذلك، فما يفعلونه فيها ويأمرون به من الكفر أعظم ؛ فلا يجوز لك أن تعين على ذلك.

* * *

حكم العمل في شركة لتصنيع أمواس الحلاقة

ما هو حكم العمل في شركة لتصنيع أموال الحلاقة؟

الإجابة:

في البلاد التي عامة استعمال أمواس الحلاقة في حلق اللحية؛ والعمل في هذه الشركة تعاون على محرم «وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»، فلا يجوز.

* * *

حكم زيارة الأهرامات والمتحف الفرعونية

ما حكم زيارة الأهرامات والمتاحف الفرعونية وغيرها؟

الإجابة:

المشهور أن هذه الأهرامات هي قبور الفراعنة المشركين عباد الأوثان، وقد قال النبي (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها).

فنقول: من أراد أن يذهب إلى زيارة الأهرامات فليدخل باكيًا، فإن لم يكن باكيًا فلا يدخل عليهم، فمن يدخل للاتعاظ والاعتبار فنعم، ولكن عامة من يدخلها إنما يذهب لمجرد النظر، وتعظيم هذه الآثار، والافتخار

بـأن الفراعنـة قـد صـنعوها ونحـو ذلك، وليس ممن يتعظ، واللـه أعلى وأعلم. فنقول: من أراد الزيـارة على سـبيل الاتعـاظ فيجـوز ذلك، ولكن يدخل باكيًا كما قال النبي.

* * *

حكم الاحتراف في نادي أوروبي

أخ لي غير ملتزم جاءه عرض لاحتراف كرة القـدم من نـادي أوروبي كبير جدًا والأخ غير ملتزم تقريبًا، فـأرجو الإجابـة مـع الوضـع في اعتبـار فضيلتكم أنه غير ملتزم والنادي كبـير جـدًا فعلاً (أقصـد أن هـذا بالنسـبة إليه.. عرض لا يستطيع رفضـه)، وقـد طلب نصـيحتي وأنـا في حـيرة من أمري كيف أقنعه بذلك؟

الإجابة:

فقـد قـال النـبي (لا سـبق إلا في خـف أو في حـافر أو نصـل) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وصححه الألبـاني، ومـا يمكن أن يقـال على هذه الثلاثة هو ما فيه نفع للمسلمين كالمسابقات الدينية وكـل مـا يعين على الجهـاد، أمـا الكـرة فهي ملهـاة للشـعوب وتعصـب جـاهلي للأنديـة والدول، فأخذ الأجر على مثل هـذا لا يجـوز، وأنت عليـك النصـيحة وليس عليك إلزامه.

* * *

حكم العمل كمفتش آثار

أعمل مفتش آثار والعمل يكـون بـه بعض الأشـياء الـتي أرتـاب منهـا مثل التعامل مـع الحفـر بالمقـابر الفرعونيـة ودخولهـا بحكم عملي وقـد تكون هذه المقابر ليست لفراعنة ولكن لأفراد كـانوا عـاديين، كمـا أنـني بعد ذلك أقوم باستخراج الآثار المكتشفة بهذه المقابر وقد تكون تماثيـل أو موميـاوات أو أوان فخاريـة أو عملات وغـير ذلـك، مـع العلم بـأن هـذه الآثار قد يقـوم عليهـا دراسـة تفيـد الناحيـة التاريخيـة، ولكن أهم هـدف لاستخراجها هو عرضها، وهذا والحمد لله ليس تخصصي، كمـا أنـه بعملي هذا يوجد بعثات أجنبية قد أكلف بمرافقتهم، هـذا كلـه يحـدث في معظم المناطق الأثرية، فهل هناك شـبهة حرمـة بـه؟ مـع العلم أنـني ممكن أن أعمل بمنطقة أخرى ليس بها عمل أو غير مركزية، ولكن هـذه المنـاطق لا يوجـد فيهـا حضـور وقـد أكـون مسـؤولاً عن مـوظفين ويتطلب هـذا الإمضاء لهم بـدفتر الحضـور والانصـراف وعـدم التقيـد بمواعيـد العمـل، وذلك بعلم الإدارة وعدم تعطيل أية مصلحة للناس، فأي المكانين أفضل؟

الإجابة:

لا شك أنه توجد شبهات كثيرة في عملـك هـذا، فاسـتخراج التماثيـل المدفونـة ثم عرضـها وكـذا عـرض الموميـات ولـو لكفـار لا يجـوز ؛ لأن

الواجب دفن الآدمي أيًا ما كان، لقول النبي لعليٍّ (اذهب فوارٍ أباك) لما قاله له (إن عمك الشيخ الضال قد مات) (وراه أبو داود والنسائي وصححه الألباني)، وعرض التماثيل تعاون على الإثم والعدوان، فالمكان الآخر على ما فيه أقل شرًا.

* * *

حكم العمل كطبيب في مستشفى تابعة لكنيسة

أعمل طبيبًا وقد عرض على العمل في مستشفى يتبع إحدى الكنائس، هذا المستشفى قامت الكنيسة ببنائه وتشارك في الإشراف عليه ويذهب جزء من ريعه (أرباحه) إلى الكنيسة الراعية له، فهل يجوز لي العمل بذلك المستشفى؟ جزاكم الله خيرًا.

الإجابة:

لا تعمل في هذا المستشفى الذي يراد بخدماته غير وجه الله تعالى ولا يراد بها مصلحة المسلمين، بل هو نوع من التجسس الناعم للمسلمين كخطوة لتضييع معالم الولاء والبراء ثم خطوات بعد ذلك نحو التنصير.

* * *

حكم تصنيع البنطلون الجينز الضيق

ما حكم المكسب من تصنيع وبيع وتسويق البنطلون الجينز الضيق الذي يلبسه معظم الشباب؟

الإجابة:

المال الذي يكسبه من صناعة البنطلون الجينز الضيق ما له، والإثم يقع على الشاب الذي يشتري البنطلون ثم يلبسه ضيقاً، لأنه يعمل على تجسيم عورته، ولهذا يجب ارتداء شيء طويل لكي يستر عورة الشاب، ولكن إن كان صاحب المصنع يعلم أن الشباب يلبسه ضيقاً فيخشى عليه من التعاون على الإثم.

* * *

حكم العمل في مطعم في منطقة سياحية

أعمل في الحسابات في أحد المطاعم ليس لدينا خمور وجميع الأكل حلال، لكن المشكلة هي أن المطعم في شرم الشيخ، هل عملي حرام أم حلال؟ وهل يعتمد العمل على المكان أم طبيعة العمل نفسه؟

الإجابة:

عامة من يحضر من السياح يحضر في هيئة منكرة، ويأتون للتمتع بالشواطئ أيضًا في هيئة محرمة، والنوادي الليلية وسائر الفواحش والمنكرات هي مدار السياحة في هذا المكان، فأنصحك بالبحث عن مكان

آخر وعمل آخر ؛ لأنك تـرى المنكـرات كـل لحظـة وأنت لا تحـرك سـاكناً، وأظن أن القلب يسكن بعد حين تبعًا لليد واللسان.

* * *

حكم في صناعة الشموع على شكل أرقام

أنا أعمل في مجال صناعة الشمع وأنا اصنع شمعًا على شكل أرقـام وهذا الشمع يسـتخدم في بعض الاحتفـالات مثـل الاحتفـال بعيـد الميلاد وعيد الزواج وغيرها، مـع العلم أني لا أملـك الإمكانيـات الـتي تسـاعدني على صناعة شمع الإنارة العادي لضعف الإمكانيات، فهل هذا حرام أم لا؟

الإجابة:

فإذا كان الأغلب في استعمال هذا الشمع الاحتفالات البدعية فابحث عن عمل آخر، ولا يجـوز لـك الاسـتمرار فيـه، أمـا إذا كـان الأمـر محتملاً لأمـور جـائزة وأخـرى محرمـة ولا يغلب على الظن الاسـتعمال المحـرم، فيجوز لك العمل في هذا المجال.

* * *

حكم عمل المرأة مأذوناً

ما حكم عمل المرأة كمأذون؟

الإجابة:

عمل المأذون هو عمل حكـومي في توثيـق الأوراق وليس فيـه ولاية فليس هناك حرج في أصل الشرع، إلا أن هذه المهنة أخـذت عرفيًا نوعًـا من المكانة والتصـدر للإفتـاء والـبروز للنـاس لإشـهار العقـود، وكثيرًا ما يكون الأمر في المسجد والمرأة ربما كـانت حائضـًا أو نفسـاء، فلا يجـوز لها دخول المسجد، والنـاس قد تعـودوا أن يـرددوا خلـف المـأذون صـيغة العقـد فلا يحسـن أن يـرددوا خلف المـرأة، والخطـورة حاصـلة في أمـر الإفتاء وفي كثير من الأحيان لا يُحْسِنُ كثير من أصـحاب هـذه المهن من الرجال الفتوى فكيف بالنساء؟!

فالنصـيحة: إهمـال التعامل مـع هـؤلاء النسـوة حـتى تضـمحل هـذه المفاسد ؛ لأن غـــرض المجـــيزين لهـــا تحقيق المســـاواة بين الرجـــال والنساء، وليس فقط فعل ما يجوز فعله.

* * *

حكم العمل كهربائي في فندق خمس نجوم

أنا حاصل على دبلـوم كهربـاء فـوق متوسـط منـذ خمس سـنين ولم أعمل في شـركة حـتى الآن ولكن أعمـل الكهربـاء في الـبيوت لمن أراد

ذلك أحضر لي أحد الأقارب عملاً كفني كهرباء في فندق 5 نجوم، فهل يجوز لي العمل فيها؟ مع ذكر العلة.

الإجابة:

الفنادق الخمس نجوم تقدم الخمور لنزلائها، ولابد من وجود حمام سباحة به، وهو مختلط بين الرجال والنساء، وغالبًا ما يكون فيها ملهى ليلي، وكل هذه المنكرات تمنع من التعاون على إقامة مثل هذه المؤسسة المعدة لنشر الفساد «وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

* * *

حكم بيع الجرائد وشراؤها

ما حكم بيع جرائد الأهرام والأخبار والوفد وغيرها؟ وما حكم شرائها؟ وما حكم توزيع جريدة الوسيط الإعلانية؟ علمًا بأنها تعلن عن وظائف جديدة كثيرة ولكن قد يوجد فيها بعض صور النساء المتبرجات؟

الإجابة:

أكثر الصحف اليوم لا تخلو من الغث والسمين، وفي الوقت نفسه قد تكون فيها تحقيقات نافعة وتحليلات مفيدة، وقد تحوي أخبارًا يحتاج إليها المرء لمعرفة واقعه المحيط به، وربما تحوي أخبارًا عن العالم الإسلامي قد تشكل جزءً من ثقافة الداعية لا غنى له عنه، ولهذا فالأقرب والله أعلم جواز شراء مثل تلك الصحف، مع تجنب الصحف المخصصة للإذاعة والتليفزيون، أو حتى التي تعنى بأخبار أولئك الساقطين والساقطات من الفنانين والفنانات، أو التي تعتمد على الصور العارية ونحو ذلك مما هو محرم، أما البيع فلا لأنه يشتريها العامة وغالبهم يتأثر سلبًا بما فيها من منكرات وأكاذيب.

* * *

حكم عمل المرأة في القضاء

هل يجوز للمرأة أن تعمل قاضية يتخاصم إليها المتخاصمون؟ سواءً في أمر من أمور الدنيا، أو أمر من أمور الدين، كحكم شرعي مثلاً، مع اعتبار أنها ستعمل بالضوابط الشرعية من حجاب شرعي، وعدم خضوع بالقول، أو خلوة إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية، علما بأنني لا أقصد أن تكون رئيس جمهورية، أو حاكم، أو خليفة ؛ لأني أعلم حديث النبي في ذلك، وإنما أقصد القضاء فقط؟

الإجابة:

القضاء من جملة الولايات العامة التي لا يجوز للمرأة أن تتولاها، وداخل في عموم قول النبي (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه

البخاري، وإن كانت المرأة لا تقبل شهادتها فيما يتعلـق بالزنـا والسـرقة وغيرهما، فالأولى منعها من القضاء في مثل هذه القضايا، وقـد يمنعهـا أبوها أو زوجها من الخروج، فماذا تصـنع عندئـذ في القضـايا الـتي تحكم فيها؟